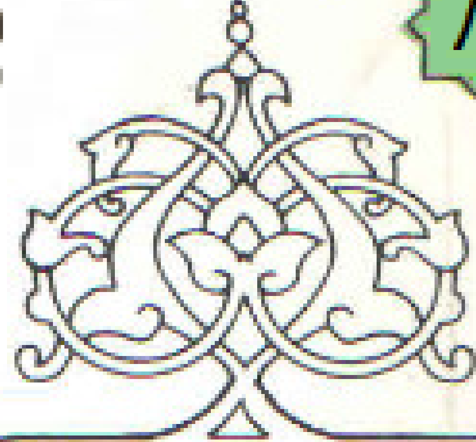
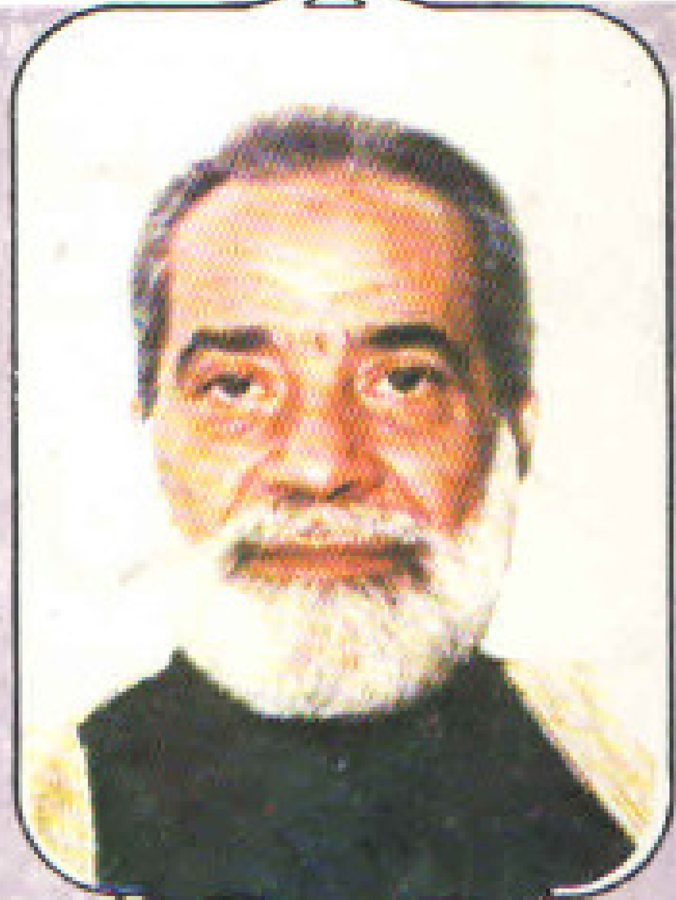
سلسلة
كتب إسلامية

٨

الطريق إلى الله

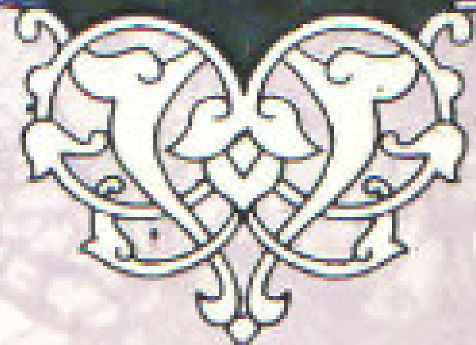
في رحاب الأصحاب





الداعية الإسلامى

ياسين رشدى

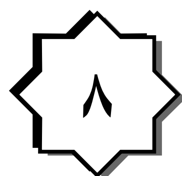




نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

الطَّرِيقُ إِلَى اللهِ

سلسلة كتب إسلامية



في رحاب الأصحاب

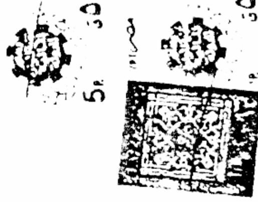
الداعية الإسلامى

ياسين رشدى

بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج رقم ١٧

AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACA
GENERAL DEPARTME
For Research, Writting & Tr





الأزهـــر
مجمـع البحـوث الاسـلامية
الادارة العـامة
للبحـوث والتـأليف والترجمـة

السـلام عليـكم ورحمـة اللـه وبركاته ـ وبعـد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : (في رحاب الأحباب)

تاليف : فضيلة الشيخ/ إبراهيم رشدي

نفيد بان الـكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مـانع من طبعـه على نفقتـكم الخـاصة .

مع التـأكيد على ضرورة العنـاية التامة بكتـابة الآيات القـرآنية والأحاديث النبـوية الشريفـة .

واللـه المـوفق ،،،

والسـلام عليـكم ورحمـة اللـه وبركاته ،،،

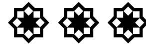
مدير عـام
ادارة البحوث والتـأليف والترجمـة

تحريرا في ٢ / ٢ / ١٤١٢ هـ
الموافق ١٢ / ٨ / ١٩٩١ م



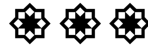
تقديم

الْحَمْـــــــدُ للهِ الْخَـــــــافِضِ الرَّافِـــــــع ..
حَجَبَ الْجِنَّ عَنْ غَيْبِه بَعْدَ أَنْ كَانَ لَهُـــمْ فِــى السَّــمَاءِ مَوَاضِــع ..
أَنْزَلَ الْقُــرْآنَ نُــورًا يُتْلَــى فَــإِذَا النَّــاسُ مَحْجُــوبٌ وَسَــامِع ..
إِذَا قُــرِئَ عَلَــى الْعَلِيــلِ ذَهَبَــتْ عَــنْ جِسْــمِه الْمَوَاجِــع ..
وَإِذَا اسْــتَمَعَ لَــهُ الْحَــزِينُ هَــانَ فِــى عَيْنَيْــهِ كُــلُّ ضَــائِع ..
نَحْمَــدُهُ تَبَــارَكَ وَتَعَــالَى عَلَــى كُــلِّ حَــالٍ وَوَاقِــع ..
وَنَعُــوذُ بِنُــورِ وَجْهِــهِ الْكَــرِيمِ مِــنَ الْعَوَائِــقِ وَالْمَوَانِــع ..
وَنَسْــأَلُهُ أَنْ يَحْفَــظَ عَلَيْنَــا الْعُقُــولَ وَالأَبْصَــارَ وَالْمَسَــامِع ..
وَنَرْجُوهُ أَنْ يَكُونَ عَنَّا ضِــدَّ الْحَاقِدِينَ وَالْحَاسِــدِينَ هُــوَ الْمُدَافِــع ..



وَأَشْــــهَدُ أَنْ لاَ إِلَــــهَ إِلاَّ اللهُ الضَّــــارُّ النَّــــافِع ..
جَعَــلَ فِــى السَّــمَاءِ بُرُوجًــا ، وَالنُّجُــومُ لَهَــا مَوَاقِــع ..
وَمِــنَ الرِّيَــاحِ لَــوَاقِحُ ، وَمِنْهَــا الْمُــدَمِّرُ ذُو الْفَظَــائِع ..
وَمِــنَ الْجِبَــالِ غَرَابِيــبُ سُــودٌ وَحُمْــرٌ وَبِــيضٌ نَوَاصِــع ..
وَفِى الْبِحَارِ أَمْوَاجٌ مُهْلِكَــاتٌ ، وَفِيهَــا طَعَــامٌ وَلُؤْلُــؤٌ وَقَوَاقِــع ..
وَفِى الأَرْضِ صَخْرٌ وَحَجَــرٌ وَمَــدَرٌ ، وَفِيهَــا الْجَــوْهَرُ اللاَّمِــع ..

وَمِــنَ النَّبَــاتِ حُلْــوٌ وَمُــرٌّ ، ومِــنَ السُّــمُومِ نَوَاقِــع ..
وَمِنَ الدَّوَابِّ وُحُوشٌ كَاسِرَاتٌ ، وَفِى الْبَهَــائِمِ رَكَائِــبُ وَمَنَــافِع ..
وَمِنَ الطُّيُورِ حَامِلاَتُ رَسَائِلَ ، وَمِــنَ الطُّيُــورِ فَوَاسِــقُ وَنَــوَازِع ..
وَمِنَ النَّاسِ أَهْلٌ لِلْمَعْــرُوفِ ، وَمِــنْهُمْ مَــنْ فِــى الشَّــرِّ ضَــالِع ..
وَمِنَ الأَيَّامِ إِسْعَادٌ وَمُبَشِّرَاتٌ ، وَمِنْهَــا بِــالْفِتَنِ وَالشُّــرُورِ طَوَالِــع ..
أُمُورٌ حَارَتِ الْبَرِيَّــةُ فِيهَــا ، وَنُــورُ الْحَــقِّ لِلظُّلُمَــاتِ قَاشِــع ..
فَالْخَيْــرُ مُرَادٌ فِى الأُمُــورِ لِذَاتِهِ ، وَالشَّــرُّ فِى بَعْضِ الأُمُــورِ بَرَاقِــع ..



وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِى أَقَضَّ لِلْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِع ..
وُلِــدَ يَتِيمًــا فَقِــيرًا ، فَزَهِــدَتْ فِيــهِ الْمَرَاضِــع ..
وَشَــبَّ عَفِيفًــا كَرِيمًــا ، وَأَتْرَابُــهُ فِــى اللَّهْــوِ لَهُــمْ مَرَاتِــع ..
دَانَــتِ الــدُّنْيَا لِغَيْــرِهِ ، وَأَتْحَفَتْــهُ هُــوَ بِــالْفَوَاجِع ..
رَعَى الأَغْنَامَ صَغِيرًا ، وَعَمِلَ فِى التِّجَارَةِ أَجِيرًا ، وَظَهَرَ مِنْ بَرَكَتِهِ الْبَــدَائِع ..
سَجَدَ لِلأَصْنَامِ قَوْمُهُ ، وَالْحَقُّ فِى صَــدْرِهِ لِمَــا يَعْبُــدُونَ مُنَــازِع ..
فَــامْتَلأَ حِــرَاءُ بِتَأَمُّــلٍ مِنْــهُ ، وَتَحَنُّــثٍ لِلْحَــقِّ ضَــارِع ..
وَفَاجَأَهُ الأَمِينُ فِيــهِ بِقَوْلِــهِ ((اقْــرَأْ)) فَإِنَّــكَ بِــالْحَقِّ صَــادِع ..
فَعَادَ يَرْجُفُ مِنَ الْخَوْفِ فُؤَادُهُ : هَلْ يَبْقَى فِــى الْقَــوْمِ مُــوَادِع ؟ ..
وَاللهِ لَــنْ يُخْزِيَــكَ اللهُ أَبَــدًا فَأَنْــتَ فِــى الْخَيْــرَاتِ بَــارِع ..

صَــــادقٌ وَأَمــــينٌ ، وَوَاصِـــــلٌ وَرَحِـــــيمٌ ، وَلِلْمَعْـــــرُوفِ زَارِع ..
وَضَمَّتْهُ الْحَبِيبَةُ إِلَى صَـــدْرِهَا ، فَكَـــانَ حَنَانُهَـــا الـــدَّوَاءَ النَّـــاجِع ..
وَعَاوَنَتْهُ عَلَى أَمْرِ الْمَلِيك بِرِفْقِهَا ، مَعَ الصِّدِّيقِ ، وَالْفَارُوقُ لَهُ خَيْرُ طَــائِع ..
وَحَاصَرَهُ الأَرَاذِلُ فِى الظَّلاَمِ مُسَالِمًا ، مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ صَارِمٌ فِى يَدِ فَـــارِع ..
فَنَامَ أَبُو الْحَسَـــنَيْنِ مَكَانَـــهُ رَمْـــزًا لِلْفِـــدَاءِ مِـــنْ صَـــغِيرٍ يَـــافِع ..
وَخَرجَ الْمَعْصُومُ عَلَى الأَعَادِى مُكَبِّرًا ، يَحْثُو التُّرَابَ على الرُّءُوسِ بِلاَ مُمَانِع ..
وَاسْتَقْبَلَتْهُ الْمَدِينَةُ بِكَلِّهَا وَكَلِيلِهَا ، طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا ، مَرْحَبًا بِبَهَائِه السَّاطِع ..
وَأَشْرَقَتْ شُمُوسُ الأَصْحَابِ عَلَى الْوَرَى فَهَوَى الْمُشْرِكُونَ إِلَى الْمَصَارِع ..
وَأَضَاءَتِ الدُّنْيَا بِنُورِ الْحَقِيقَةِ وَأَمِـــنَ الْخَلاَئِـــقُ بِعَـــدْلِ الشَّـــارِع ..
فَطُوبَى لِمَنْ تَبِعَ سَبِيلَهُ وَهُدَاه ، فَهُوَ الطَّرِيقُ إِلَـــى النَّعِـــيمِ الْوَاسِـــع ..
وَطُوبَى لَنَا بِمَنْ بُعِثَ لِلْعَالَمِينَ رَحْمَةً ، وَهُوَ فِى الآخِرَةِ خَيْرُ شَـــافِع ..
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ مَـــا دَامَ لِلنُّجُـــومِ مَغَـــارِبُ وَمَطَـــالِع ..
وَاجْعَـــلْ صَلاَتَنَـــا عَلَيْهِ وَدِيعَـــةً يَـــا مَنْ لاَ تَضِيـــعُ عِنْـــدَهُ الْوَدَائِـــع ..

أما بعد ،،

فإن الإسلام لا يقوم بالنُّصُوص ، وإنما يقوم على أكْتاف الرِّجَال ، الَّذين يَحْمِلُون الأمانة .. ولا تتنازَعهم الأهواء .. ولا تَخْطَفُ أبصارَهم الأضْوَاء .. ولا يسْعَوْن إلى زعامَة ، أو سُلْطة .. ولا يطلبون الدنيا بالدِّين ..

يجاهدون فى سبيل الله ، ولا يخافون لَوْمَة لائم .. ويقولون الْحَقَّ ولو كان مُرًّا ..

يحافظون على كتاب رَبِّهم ، وسُنَّة نبيِّهم (ﷺ) .. عاملين بِمَا جاء فيهما .. مُتخلِّقِينَ بِمَا تخلَّق به رَسُولُهم – فقد كان (صلوات الله وسلامه عليه) قُرْآنًا يَمْشى على الأَرْض – لا يضرُّهم مَنْ خالَفَهم حتى تقوم الساعة .. يتنافَسُون فى نَشْر الدِّين ، وبيان أحْكامه .. يُرَبُّون أجيالاً مِن الشباب .. لا يُخْشَى مِنْهم ، ولا يُخْشَى عليهم .. يُمَهِّدُونَ الأَرْض ، ويزرعونــــها بمبادئ الدِّين الْحَنِيف .. ولا ينتظرُون حصاد جِهَادِهم فى دُنْيَاهم .. فإنَّها لَيْسَتْ لهم بدَارٍ .. وإنما دارُهم هناك عند رَبِّهم .. إليها يَسْعَوْن .. ومِنْ أجْلِها يعملون .. تآلفت قلوبُهم .. وصَفَت نُفُوسُهم .. وتشابكَتْ أيديهم .. فكانوا كالبُنْيَان الْمَرْصُوص ، لا تُؤَثِّر فيهم الأَنْوَاء .. ولا تتنازعهم الأَهْواءُ .. فهم كالْجَسَدِ الوَاحِد : إذا اشْتَكى مِنْه عُضْوٌ ، تَدَاعَى له سائر الأعضَاء بالْحُمَّى والسَّهَر ..

وقد اختار الله تبارك تعالى لِنَبِيِّه (ﷺ) أصحابًا ، فجعلهم له وزراء وأنصارًا ، وفضَّلَهم على سائر الأُمَّة .. فرفع قَدْرهم ، وأعْلَى شأنــــهم ، وأتى فى القرآن بذكْرهم ، وسبقت منه الْحُسْنَى لهم ، وبالرضا والرضوان عمَّهم .. فطُوبَى ثم طُوبَى لهم ، ولِمَنْ رآهم وأحبَّهم ، ولكل عبد عرف قَدْرهم .. فسار على نَهجهم ، واتَّبع طريقهم .. فهم الذين نشروا الإسلام ، وحملوا القرآن ، ونقلوا إلينا سُنَّة سَيِّد الأنام ، وأخذ برأيهم واجتهادهم كافَّةُ عُلَماء الإسلام .. فوَجَبَ على كل مُسْلِم توقيرُهم ، وعدمُ الخوض فى شأنــــهم ، وفى شأن اختلافهم ، وحُرُوبــــهم .. وقد حذَّر النبى (ﷺ) مَنْ يأتى بعدهم فقال : (**اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي .. اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي .. لا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ ، وَمَنْ**

أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ ، وَمَنْ آذاهُمْ فَقَدْ آذاني ، وَمَنْ آذانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ تَبارَكَ وَتَعالَى ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ)[1] .. وقال : (**إذا ذُكِرَ أَصْحابِى فَأَمْسِكُوا ، وإذا ذُكِرَتِ النُّجُومُ فَأَمْسِكُوا ، وإذا ذُكِرَ القدرُ فَأَمْسِكُوا**)[2] ..

ولقد رأينا – أيها القارئ الكريم – أن نُقدِّم لك نماذج من هذه الشخصيَّات الفذَّة ، والتى هى كالنجوم الزَّوَاهِر ، بأيِّهم اقتديتَ اهتديت .. فى وقت يفتقد فيه الناس القُدْوة الْحَسَنَة ، والأُسْوة الطيِّبة .. وفى زمان اختلَّت فيه المعايير ، وانْهَارت فيه القِيَم ، وأصبح لاعبو الكرة ، وممثلو الأفلام والمسلسلات نجومًا يُشَارُ إليهم بالبَنَان ، وتحفل الصُّحُف والمجلات بأخبارهم ، وصورهم مما أَثَّرَ فى أجيالنا ، وبراعمنا الصغيرة تأثيرًا سيِّئًا ، وأصبح شبابنا فَرِيسة للانحراف ، والضلال ، والغَزْو الفِكْرِي ، والثقافي الذى يثمر شخصيَّات مشوَّهة ، ضعيفة ، ذات خيال مريض ، لا تستطيع أن تبني مستقبلها ومستقبل أُمَّتها ، ولا تَهْتم إلا باللَّهو واللَّعب ، والتقليد الأعمى لكل وارد ووَافِد من تقاليد وسلوكيات لا تتفق مع تقاليد وقيم أُمَّة قال الله سبحانه وتعالى فى شأنـــها : (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ)[3] ..

ولا شك أن خير ما يمثل هذه الأمة هم الأوائل الذين تخلَّقوا بأخلاقيَّات سيِّد

---

(1) رواه أحمد مسند البصريين . (2) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير .

(3) سورة آل عمران آية ١١٠ .

الأنام (ﷺ) فعزَّ بـــهم الإسلام ، وسادوا الأمم ، ونشروا الحضارة فى ربوع العالَم ..

واللَّهَ أسألُ أن يوفِّق شبابنا لسلوك مسلك الأوائل الذين كانوا فرسانًا بالنهار ، ورُهْبانًا بالليل ، وشهد لهم رسول الله (ﷺ) فقال : (**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**)[1] ..

ياسين رشدى

[1] متفق عليه .. واللفظ للبخارى كتاب المناقب .

أبُـو بَـكْـرٍ الصِّدِّيــق (رضى الله عنه)

هو شَيْخ الأصحاب ، الْمُقَدَّم عليهم فى الخطاب ، الذى أقامه النبي (ﷺ) مكانه فى المحراب ، الصَّاحِب فى الغار وفى الطريق ، الْمُسَمَّى بعبد الله ، والْمُلَقَّب بعَتيق ، الذى قال فيه سيد كل قبيلة وفريق : (**ما طَلَعَت الشَّمْسُ ، ولا غَرَبَتْ ، عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ النَّبِيِّينَ والْمُرْسَلِينَ أَفْضَلَ مِنْ أَبِى بَكرٍ الصِّدِّيق**)[1] ..

هو « عَبْد الله بن عُثْمَان بن عَامِر القُرَشِيّ التَّيْمِيّ » ، ويُكْنى « أبا بَكْر » .. أما أبوه فيُكْنى بـــ « أبِى قُحَافَة » .. وكان أبو بكر (رضي الله عنه) من رؤساء قُرَيْش فى الجاهلية ، مُحَبَّبًا فيهم ، مَأْلَفًا لهم [2] ، وكانت له الدِّيَات فى الجاهلية ، إذَا تَحمَّلَهَا صدَّقَتْه قريش وأمضوا حمالَته وحمالَة مَنْ قام معه ، وإن احتملها غيره خذلوه ولم يصدِّقوه ..

ولما جاء الإسلام سبق (رضي الله عنه) إليه ، فكان أول مَنْ أسلم من الرجال على الإطلاق ، ويروِى (رضي الله عنه) قصة إسلامه فيقول : كنت قبل سفرى فى الحرم فسمعت « أُمَيَّة بْن أَبِى الصَّلْتِ » يقول لـــ « زَيْد بْن عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ » : هل آن الأوان لظهور النبى المنتظر ؟ فقال له : نعم .. وكان « زَيْد بْن عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ » فى الجاهلية لا يعبد الأصنام ، ولا يسجد للأوثان ، ويتقرب إلى الله على الحنيفية

---

[1] فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل .

[2] مألفًا لهم : يألفه الناس .

السمحاء ، ومات و لم يحضر النبى (ﷺ) ، وحين سُئِلَ النبى (ﷺ) عنه قال فى شأنــه : (يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ)[١] ، وهو والد « سعيد » الصحابيّ الجليل وأحد العشرة المبشرين بالجنة .. ثم سافر « أبو بكر » إلى اليَمَن ويروِى قائلا : خرجتُ إلى اليمن قبل أن يُبْعث النبى (ﷺ) فنــزلتُ على شيخ من الأَزْد [٢] عالِم قد قرأ الكتب ، وعلم من علم الناس كثيرًا ، فلما رآنى قال : أحسبك حرميًّا ؟ قلت : نعم أنا من أهل الْحَرَم .. قال : وأحسبك قُرَشِيًّا ؟ قلت : نعم أنا من قُرَيْش .. قال : وأحسبك تَيْمِيًّا ؟ قلت : نعم أنا من تَيْمِ بْنِ مُرَّة ، أنا عبد الله بن عُثْمَان ، من ولد كَعْب بن سَعْد بن تَيْمِ بْنِ مُرَّة .. قال : بقيتْ لى فيك واحدة ، قلت : ما هى ؟ قال : تكشف عن بطنك ، قلت : لا أفعل أو تخبرنى لم ذاك ؟ قال : أجد فى العلم الصحيح الصادق أن نبيًّا يبعث فى الحرم ، يعاونُهُ على أمره فتى وكهل ، فأما الفتى : فَخَوَّاض غمرات [٣] ، ودَفَّاع معضلات [٤] ، وأما الكهل : فأبيض نحيف على بطنه شامة ، وعلى فخذه اليسرى علامة .. وما عليك أن ترينـــى ما سألتك ، فقد تكاملت لى فيك الصفة إلا ما خفى عليّ .. فكشفتُ له عن بطنى فرأى شامة سوداء فوق سرتى ، فقال : أنت هو ورب الكعبة ، وإنى متقدم إليك فى أمر فاحذره .. قلت : وما هو ؟ قال : إياك والميل عن الهدى ، وتمسك بالطريقة المثلى الوسطى ، وخَفِ الله فيما خولك وأعطاك .. قال أبو بكر : فقضيت باليمن أَرَبِى [٥] ثم أتيت الشيخ لأودعه فقال : أحامل عنى أبياتًا من الشعر قلتها فى ذلك النبى ؟ قلت : نعم ، فذكر

---

(١) رواه النسائي فى السنن الكبرى . (٢) الأزد : قبائل فى اليمن . (٣) خواض غمرات : مقتحم للشدائد .
(٤) دفاع معضلات : مزيل للمشكلات . (٥) أربى : طلبى أو غرضى .

أبياتًا .. ثم قدمت مكة وقد بُعث النبى (ﷺ) فجاءنى « عُقْبَة بن أبى مُعَيْط » وفريق من صناديد قريش فقلت لهم : هل نابتكم نائبة أو ظهر فيكم أمر ؟ قالوا : يا أبا بكر ، أعظم الخطب : يتيم أبى طالب يزعم أنه نبى ، ولولا أنت ما انتظرنا به ، فإذ قد جئت فأنت الغاية والكفاية .. قال أبو بكر : فصرفتهم على أحسن مسّ [(١)] ، وسألت عن النبى (ﷺ) فقيل فى منـــزل خديجة ، فقرعت عليه الباب ، فخرج إِلَيَّ فقلتُ : يا محمد ، فقدت من منازل أهلك وتركت دين آبائك وأجدادك ؟ قال : (**يا أبا بكر ، إِنِّى رَسُولُ الله إِلَيْكَ وإِلَى النَّاسِ كُلِّهم فآمِنْ بِالله**) ، فقلت : ما دليلك على ذلك ؟ قال : (**الشَّيْخ الذى لقيتَ باليَمَن**) ، قلت : وكم من شيخ لقيت باليمن ! قال : (**الشَّيْخ الذى أَفَادَك الأَبْيَات**) ، قلت : ومن خبرك بـــهذا يا حبيبي ؟! قال : (**الملك المعظم الذى كان يأتى الأنبياء قبلى**) ، قلت : مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله .. قال أبو بكر : فانصرفتُ وما بين لابتيها أشد سرورًا من رسول الله (ﷺ) بإسلامي [(٢)] ..

وفي هذا يقول رسول الله (ﷺ) : (**مَا دَعَوْت أَحَدًا إِلَى الإِسْلامِ إلاَّ كَانَتْ لَهُ عَنْهُ كَبْوَة وَتَرَدُّد وَنَظَر ، إِلاَّ أَبَا بَكْرٍ ، مَا عَتَّمَ** [(٣)] **عَنْهُ حِينَ ذَكَرْتُهُ ، ومَا تَرَدَّدَ فِيهِ**)[(٤)] .. وحين سُئِل « ابن عَبَّاس » (رضي الله عنهما) : مَنْ أَوَّل مَنْ أَسْلَم ؟ قال : أما سمعت قَوْلَ « حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ » (رضي الله عنه) :

---

(١) المس : ما شفى الغَلِيل . (٢) رواه ابن عساكر ، وذكره ابن الأثير فى أُسد الغابة .

(٣) عتم : أبطأ . (٤) رواه البيهقي فى دلائل النبوة .. وذكره السيوطى فى تاريخ الخلفاء .

إِذَا تَذَكَّرْت شَجْوًا مِنْ أَخِي ثِقَةٍ   فَاذْكُرْ أَخَاك أَبَــا بَكْــرٍ بِمَا فَعَلاَ
خَيْرَ الْبَرِّيَّةِ أَتْقَاهَــا وَأَعْدَلَهَــا   بَعْــدَ النَّبِيِّ وَأَوْفَاهَــا بِمَا حَملاَ
وَالثَّانِيَ التَّالِيَ الْمَحْمُودَ مَشْهَدُهُ   وَأَوَّلَ النَّاسِ مِنْهُمْ صَدَّقَ الرُّسُلاَ [١]

هذا .. وقد أسلم على يَدَيْ « أبي بكر » (رضي الله عنه) سبعةٌ ، منهم خمسة من العشرة المبشَّرين بالجنة وهم : « عُثْمَان بن عَفَّان » ، و« عبد الرَّحْمَن بن عَوْف » ، و« أبو عُبَيْدَة بن الْجَرَّاح » ، و« الزُّبَيْر بن العَوَّام » ، و« طَلْحَة بن عُبَيْدِ الله » .. وكذلك أعتق سبعةً كلهم يُعَذَّبُ فى الله ، منهم : « بِلاَل بن رَبَاح » ، و« عَامِر بن فُهَيْرة » ، و« حَارِثَة بن عَمْرِو بن مُؤَمِّل » (رضي الله عنهم أجمعين) ..

ويَرْوِى « عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ » (رضى الله عنهما) فيقول : قُلْتُ لــ « عَبْدِ اللَّه بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ » : أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللَّه (صلى الله عليه وسلم) ؟ قَالَ : بَيْنَا رَسُولُ اللَّه (صلى الله عليه وسلم) يُصَلِّي بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ ، إِذْ أَقْبَلَ « عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ » فَأَخَذَ بِمَنْكِبِ رَسُولِ اللَّه (صلى الله عليه وسلم) ، وَلَوَى ثَوْبَهُ فِي عُنُقِه فَخَنَقَهُ بِه خَنْقًا شَدِيدًا ، فَأَقْبَلَ « أَبُو بَكْرٍ » فَأَخَذَ بِمَنْكِبِهِ ، وَدَفَعَ عَنْ رَسُولِ اللَّه (صلى الله عليه وسلم) ، وَقَالَ : (**أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ، وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ؟!**)[٢] ..

و« الصِّدِّيق » هو لقب حازهُ « أبو بكر » صبيحة الإسراء والمعراج ، لقَّبه به

[١] رواه الحاكم فى المستدرك ، وابن أبي شيبة ، والطبراني فى المعجم الكبير .
[٢] رواه البخارى كتاب تفسير القرآن .

النبى (ﷺ) كما لقبه به « جبريل » (عليه السلام) ، فعن السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) أنــها قالت : لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ (ﷺ) إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى أَصْبَحَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِذَلِكَ ، فَارْتَدَّ نَاسٌ مِمَّنْ كَانُوا آمَنُوا بِهِ وصَدَّقُوه ، وسَعَى رِجَالٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ (رضي الله عنه) ، فقالوا : (**هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ ، يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ؟! قال : أَوَقَالَ ذَلِكَ ؟ قالوا : نَعَمْ ، قال : لَئِنْ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ ، قالوا : أَوَتُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ ؟! فقال : نَعَمْ ، إِنِّي لأُصَدِّقُهُ فِي مَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ : أُصَدِّقُه فِي خَبَرِ السَّمَاءِ فِي غَدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ**) .. **فلذلك سُمِّيَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيق** (رضي الله عنه) [1] ..

ويُرْوَى أن رسول الله (ﷺ) انتهى إلى نَفَرٍ من قُرَيْش في الْحَطِيم [2] ، فيهم « الْمُطْعِم بْن عَدِيٍّ بن نَوْفَل » ، و« عَمْرُو بن هِشَام » ، و« الْوَلِيد بن الْمُغِيرة » ، فقال : (**إِنِّي صَلَّيْتُ اللَّيْلَةَ الْعِشَاءَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ ، وصَلَّيْتُ بِهِ الْغَدَاةَ ، وأَتَيْتُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، فنُشِرَ لِي رَهْطٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ ، منهم : إِبْرَاهِيم ، ومُوسَى ، وعِيسَى (عليهم السلام) ، فَصَلَّيْتُ بِهِمْ ، وكَلَّمْتُهُمْ**) .. فَضَجُّوا ، وأَعْظَمُوا ذاك ، فقال « الْمُطْعِم بْن عَدِيٍّ بن نوفل » : كل أَمْرِكَ قبل اليوم كان أَمَمًا [3] غير قَوْلِك اليوم ، أنا أَشْهَد أَنَّك كَاذِب ، نحن نَضْرِب أَكْبَاد الإبل إلى بَيْت الْمَقْدِس مصعدًا شَهْرًا ، ومنحدرًا شَهْرًا ، تَزْعُم أنك أَتَيْتَهُ في ليلة ؟!

---

(1) رواه الحاكم فى المستدرك ، والبيهقى فى دلائل النبوة .

(2) الحطيم : حِجْرُ إسماعيل .

(3) أَمَمًا : يسيرًا .

واللاَت والْعُزَّى لاَ أصدقكَ ، وما كان هذا الذي تقول قَطُّ .. فقال أبو بكر (رضي الله عنه) : يَا مُطْعِم ، بِئْسَ مَا قُلْتَ لابْنِ أَخِيكَ جَبَهْتَهُ [1] وكَذَّبْتَهُ !! أنا أَشْهَد أنَّه صَادِق .. فقال : يَا مُحَمَّد ، صِفْ لِي بَيْتَ الْمَقْدِس .. قال : (**دَخَلْتُهُ لَيْلاً ، وخَرَجْتُ مِنْهُ لَيْلاً**) .. فأَتَاهُ جِبْرِيلُ (عليه السلام) ، فَصَوَّرَهُ فِي جَنَاحِه ، فجعل يقول : (**بَابٌ مِنْهُ كَذَا فِي مَوْضِعِ كَذَا ، وبَابٌ مِنْهُ كَذَا فِي مَوْضِعِ كَذَا**) ، وأبو بكر (رضي الله عنه) عنده يقول : صَدَقْتَ ، صَدَقْتَ .. فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يومئذ : (**يَا أبَا بَكْرٍ ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَّل قَدْ سَمَّاكَ الصِّدِّيق**)[2] ..

وقد لُقِّب (رضي الله عنه) بـــ « عَتِيق » .. تقول السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) : إن أبا بكر دخل على النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فقال : (**يَا أبَا بَكْرٍ أَنْتَ عَتِيقُ اللهِ مِنَ النَّارِ**) فمن يومئذ سمي عَتِيقًا .. [3]

ولَمَّا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُونَ ، خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا نَحْوَ أَرْضِ الْحَبَشَة ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الْغمَاد لَقِيَهُ « ابْنُ الدَّغنَة » – وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ – فَقَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : **أَخْرَجَنِي قَوْمِي ، فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الأَرْضِ ، وَأَعْبُدَ رَبِّي** .. قَالَ « ابْنُ الدَّغِنَة » : **فَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لاَ يَخْرُجُ ، وَلاَ يُخْرَجُ ، إِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ** [4] ، **وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى**

---

[1] جبهته : استقبلته بكلام فيه غلْظة .

[2] رواه أبو يَعْلى عن أم هانئ .. والحافظ ابن حجر فى المطالب العالية .. وذكره ابن سيد الناس فى عيون الأثر في المغازي والسير .

[3] رواه الحاكم فى المستدرك .

[4] الكل : العاجز الفقير الذى يحتاج إلى مَنْ يعوله .

نَوَائِبِ [١] الْحَقِّ ، فَأَنَا لَكَ جَارٌ [٢] ، ارْجِعْ وَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبَلَدِكَ ..

فَرَجَعَ ، وَارْتَحَلَ مَعَهُ « ابْنُ الدَّغِنَة » ، فَطَافَ « ابْنُ الدَّغِنَة » عَشِيَّةً فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ لَهُمْ : (**إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لاَ يَخْرُجُ مِثْلُهُ ، وَلاَ يُخْرَجُ ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلاً يَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ ، وَيَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ !!**) .. فَلَمْ تُكَذِّبْ قُرَيْشٌ بِجِوَارِ ابْنِ الدَّغِنَة ، وَقَالُوا لاِبْنِ الدَّغِنَة : مُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ ، فَلْيُصَلِّ فِيهَا ، وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ ، وَلاَ يُؤْذِينَا بِذَلِكَ ، وَلاَ يَسْتَعْلِنْ بِهِ ، فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا .. فَقَالَ ذَلِكَ « ابْنُ الدَّغِنَة » لأَبِي بَكْرٍ ، فَلَبِثَ « أَبُو بَكْرٍ » بِذَلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ ، وَلاَ يَسْتَعْلِنُ بِصَلاَتِهِ ، وَلاَ يَقْرَأُ فِي غَيْرِ دَارِهِ .. ثُمَّ بَدَا لأَبِي بَكْرٍ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ ، وَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، فَيَنْقَذِفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ ، وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ، وَكَانَ « أَبُو بَكْرٍ » رَجُلاً بَكَّاءً : لاَ يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ .. وَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغِنَة ، فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالُوا : إِنَّا كُنَّا أَجَرْنَا أَبَا بَكْرٍ بِجِوَارِكَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ ، فَقَدْ جَاوَزَ ذَلِكَ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ ، فَأَعْلَنَ بِالصَّلاَةِ وَالْقِرَاءَةِ فِيهِ ، وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا ، فَانْهَهُ ، فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَعَلَ ، وَإِنْ أَبَى إِلاَّ أَنْ يُعْلِنَ بِذَلِكَ فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ ، فَإِنَّا قَدْ كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ [٣] ، وَلَسْنَا مُقِرِّينَ لأَبِي بَكْرٍ الاسْتِعْلاَنَ .. فَأَتَى « ابْنُ الدَّغِنَة » إِلَى « أَبِي

---

[١] نوائب : مصائب .
[٢] الإجارة : تعهد بالمنع والحماية فلا يحدث اعتداء بالإيذاء أو القتل .
[٣] نخفرك : ننقض عهدك .

بَكْرٍ » فَقَالَ : قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَاقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ ، فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيَّ ذِمَّتِي ، فَإِنِّي لا أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّي أُخْفِرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ .. فَقَالَ « أَبُو بَكْرٍ » : (**فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ ، وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**)[1] ..

هذا .. وعندما أُذِن لرسول الله (ﷺ) بالهجرة إلى المدينة المنورة كان « أبو بكر » يتمنى أن يصحبه ، وقد جهز لذلك راحلتين ، وتقول السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) : هَاجَرَ نَاسٌ إِلَى الْحَبَشَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) : (**عَلَى رِسْلِكَ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي**) ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَوَ تَرْجُوهُ بِأَبِي أَنْتَ ؟ قَالَ : (**نَعَمْ**) .. فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى النَّبِيِّ (ﷺ) لِصُحْبَتِهِ ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ .. قَالَتْ « عَائِشَةُ » : فَبَيْنَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِنَا فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ فَقَالَ قَائِلٌ لأَبِي بَكْرٍ : هَذَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) مُقْبِلاً مُتَقَنِّعًا فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا .. قَالَ أَبُو بَكْرٍ : فِدًا لَهُ بِأَبِي وَأُمِّي ، وَاللَّهِ إِنْ جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلاَّ لأَمْرٌ ، فَجَاءَ النَّبِيُّ (ﷺ) فَاسْتَأْذَنَ ، فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ ، فَقَالَ حِينَ دَخَلَ لأَبِي بَكْرٍ : (**أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ**) ، قَالَ : إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : (**فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ**) ، قَالَ : فَالصُّحْبَةَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : (**نَعَمْ**) ، قَالَ : فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ ، قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) : (**بِالثَّمَنِ**) .. قَالَتْ : فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الْجِهَازِ [2] .. [3]

---

[1] رواه البخارى كتاب المناقب . [2] أحث الجهاز : أعجله وأسرعه . [3] رواه البخارى كتاب اللباس .

وتروى السيدة « فاطمة » (رضى الله عنها) عن « أسْمَاء بنت أبى بَكْر » أنَّها قالت : فَلَمْ نَجدْ لسُفْرَته ، وَلاَ لسقَائه مَا نَرْبطُهُمَا به ، فَقُلْتُ لأَبِي بَكْرٍ : وَاللَّه مَا أَجدُ شَيْئًا أَرْبطُ به إلاَّ نطَاقي .. قَالَ : فَشُقّيه باثْنَيْنِ ، فَارْبطيه : بوَاحد السِّقَاءَ ، وَبالآخَرِ السُّفْرَةَ ، فَفَعَلْتُ .. فَلذَلكَ سُمِّيتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ [١] .. وقد استأجر « أبو بكر » عبدَ الله بن أُرَيْقط ليكون دليلاً لهما في سفرهما ، إذ كان خبيرًا بطرق الصحراء – وعلى رغم أن الرجل كان كافرًا إلا أنَّهما وثقا فى أمانته وإخلاصه – وواعده « أبو بكر » للقائه فى غار ثور بعد ثلاث ليال .. ثم خرج النبى (ﷺ) ومعه أبو بكر حتى انتهيا إلى الغار ، قال « أبو بكر » : **والله ، لا تَدْخُلُهُ حَتَّى أَدْخُلَهُ قَبْلك ، فإنْ كَانَ فيه شَيْء أَصَابَنى دُونك** .. فدخل فكسحه ، ووجد فى جوانبه ثُقُبًا فشقَّ إزاره وسدَّ بهَا تلك الثُّقُب ، وبقى منها اثنان فألقمهما رجله ، ثم قال لرسول الله (ﷺ) : ادخل .. فدخل رسول الله (ﷺ) ووضع رأسه فى حَجْرِه فنام ، فَلُدِغَ أبو بكر فى رجله من الْجُحْر ، فلم يتحرك مخافة أن يستنبه رسول الله (ﷺ) ، فسقطت دموعه على وجه رسول الله (ﷺ) ، فانتبه (ﷺ) فقال : (**مَا لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ؟**) .. قال : لُدِغْتُ .. فداك أبي وأمى .. فتفل عليه (ﷺ) ، فذهب ما يجده [٢] ..

وما إن لجأ النبى (ﷺ) وصاحبه إلى الغار حتى أسرعت العنكبوت إلى نسج بيتها لتستر به مَنْ فى الغار عن الأعين ، وجاءت حمامتان فباضتا عند بابه ، ونمت شجرة كبيرة لم تكن نامية .. وأثناء ذلك كانت قريش تَجِدُّ فى طلبهما غير وانية ،

---

[١] رواه البخارى كتاب الجهاد والسِّيَر .
[٢] الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري .

وكيف لا تفعل وهى ترى الخطر محدقًا بـــها إن هى لم تُدرك محمدًا و لم تَحُلْ بينه وبين يثرب ! .. وأقبل فتيان قريش بأسيافهم وعِصِيِّهم وهراواتِهم يدورون باحثين فى كل الأنحاء .. والتقوا براعٍ على مقربة من غار ثور فسألوه ، فكان جوابه : قد يكونان بالغار ، وإن كنت لم أر أحدا أَمَّه .. وتصبَّب أبو بكر عرقًا حين سمِع جواب الرَّاعى ، وخاف على رسول الله (ﷺ) من أن يقتحم الباحثون عنهما الغار ، فأمسك أنفاسه وبقى لا حَرَاك به وأسلم لله أمره .. وأقبل بعض القرشيِّين يتسلَّقون إلى الغار ، ثم عاد أحدهم أدراجَه ، فسأله أصحابه : ما لك لم تنظر فى الغار ؟ فقال : إن عليه العنكبوت من قبل ميلاد محمد ، وقد رأيت حمامتين وَحْشيتين بفم الغار فعرفت أن ليس أحد فيه [١] .. وازداد « أبو بكر » خوفًا فقال هامسًا : (**لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لأَبْصَرَنَا**) ، فأجابه النبى (ﷺ) : (**مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا !**)[٢] ..

ولذلك عندما عاتب ربنا تبارك وتعالى الصحابة (رضوان الله عليهم) بقوله : (إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[٣] خرج « أبو بكر » (رضي الله عنه) من هذه المعاتبة ، وهو الوحيد الذى

---

[١] رواه الحافظ ابن عساكر بنحوه ، وذكره ابن كثير فى البداية والنهاية .

[٢] رواه البخارى كتاب المناقب . [٣] سورة التوبة آية ٤٠ .

حاز هذا الفضل ..

ومكث النبي (ﷺ) ، و« أبو بكر » (رضي الله عنه) ثَلاَثَ لَيَالٍ يَبِيتُ عِنْدَهُمَا « عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ » – وَهُوَ غُلاَمٌ شَابٌّ لَقِنٌ ثَقِفٌ [1] – فَيَرْحَلُ مِنْ عِنْدِهمَا سَحَرًا [2] فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائت ، فَلاَ يَسْمَعُ أَمْرًا يُكَادَان به إلاَّ وَعَاهُ حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلاَمُ .. وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً [3] مِنْ غَنَمٍ ، فَيُرِيحُهَا [4] عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ .. فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلِهَا [5] حَتَّى يَنْعِقَ [6] بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ [7] .. يَفْعَلُ ذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلاَثِ .. [8]

وفى الطريق كان « أبو بكر » (رضي الله عنه) يمشي ساعة بين يدي رسول الله (ﷺ) ، وساعة خلفه ، حتى فَطِنَ له (ﷺ) فقال : (**يَا أَبَا بَكْرٍ ، مَا لَكَ تَمْشِي سَاعَةً بَيْنَ يَدَيَّ وسَاعَةً خَلْفِي ؟**) .. فقال : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَذْكُرُ الطَّلَبَ فَأَمْشِي خَلْفَك ، ثُمَّ أَذْكُرُ الرَّصَدَ فَأَمْشِي بَيْنَ يَدَيْك .. فقال : (**يَا أَبَا بَكْرٍ ، لَوْ كَانَ شَيْءٌ أَحْبَبْتَ أَنْ يَكُونَ بِكَ دُونِي ؟**) .. قال : **نَعَمْ ، وَالَّذِي بَعَثَك بِالْحَقِّ ، مَا كَانَتْ لِتَكُون من مُلِمَّة [9] إِلاَّ أَنْ تَكُون بِي دُونك ..** [10]

---

[1] لقن ثقف : حاذق فطن .
[2] السحر : آخر الليل قبل الفجر .
[3] المنحة : الدابة الحلوب تعار للانتفاع بلبنها .
[4] فيريحها : فيردّها .
[5] يبيتان فى رسلها : يبيتان يشربان من لبنها .
[6] ينعق : يصيح .
[7] الغلس : ظلمة آخر الليل .
[8] رواه البخارى ، كتاب اللباس .
[9] الملمة : النازلة الشديدة من شدائد الدهر ونوازل الدنيا . [10] رواه الحاكم فى المستدرك .

واستمر الركب المبارك فى طريقه ، وكلما لقيهم أحَدٌ سَأَلَ « أبا بكر » : مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذي بَيْنَ يَدَيْكَ ؟! فَيَقُولُ : (**هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ**) .. فَيَحْسَبُ الْحَاسِبُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي الطَّرِيقَ ، وَإِنَّمَا يَعْنِي سَبِيلَ الْخَيْرِ .. [1]

ولما شعرت قريش بخروج النبى (ﷺ) رصدت مائة بعير مكافأة لمَنْ يقتله أو يأسره .. ويحكى « سُرَاقَةُ بْنُ جُعْشُمٍ » فيَقُولُ : جَاءَنَا رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللَّه (ﷺ) وَأَبِي بَكْرٍ دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسَرَهُ .. فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدْلِجٍ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ فَقَالَ : يَا سُرَاقَةُ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنفًا أَسْوِدَةً [2] بِالسَّاحِلِ أُرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ .. قَالَ سُرَاقَةُ : فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلانًا وَفُلانًا انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا ..ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي ، وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكَمَةٍ [3] فَتَحْبِسَهَا [4] عَلَيَّ .. وَأَخَذْتُ رُمْحِي فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ ، فَحَطَطْتُ بِزُجِّهِ الأَرْضَ وَخَفَضْتُ عَالِيَهُ حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بِي حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ فَعَثَرَتْ [5] بِي فَرَسِي فَخَرَرْتُ [6] عَنْهَا ، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي [7] فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الأَزْلامَ [8] فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا [9] : أَضُرُّهُمْ أَمْ لا ؟ فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ .. فَرَكِبْتُ

---

[1] رواه البخارى كتاب المناقب . [2] أسودة : جماعة من الأشخاص . [3] أكمة : هضبة .
[4] الحبس : الإمساك والمنع . [5] العثرة : الزلة والسقطة . [6] خررت : سقطت ووقعت .
[7] الكنانة : إناء من جلد تحفظ فيه السهام . [8] الأزلام : أقداح فى الجاهلية كانوا يقترعون بها لانفاذ أمر ما .
[9] استقسم : طَلَبَ معرفة ما قُسِمَ وكُتِبَ له .

فَرَسِي – وَعَصَيْتُ الأَزْلاَمَ – تُقَرِّبُ بِي حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) وَهُوَ لاَ يَلْتَفِتُ وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الالْتِفَاتَ سَاخَتْ [١] يَدَا فَرَسِي فِي الأَرْضِ حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ فَخَرَرْتُ عَنْهَا ، ثُمَّ زَجَرْتُهَا [٢] فَنَهَضَتْ ، فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً إِذَا لأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ [٣] سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالأَزْلاَمِ فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ ، فَنَادَيْتُهُمْ بِالأَمَانِ فَوَقَفُوا ، فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الْحَبْسِ عَنْهُمْ أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ ، وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالْمَتَاعَ فَلَمْ يَرْزَآنِي [٤] ، وَلَمْ يَسْأَلاَنِي إِلاَّ أَنْ قَالَ : (**أَخْفِ عَنَّا**) ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ ، فَأَمَرَ « عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ » فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ [٥] ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) .. [٦]

وأقام النبي (ﷺ) بالمدينة المنورة ، وأبو بكر (رضي الله عنه) لا يفارقه ولا يتخلف عنه فى سَفَرٍ أو غَزْوٍ قط ، وهو الذى كان معه فى العريش الذى أقامه « سعد بن معاذ » لرسول الله فى غزوة بدر ، وهو الذى وقف خلف النبى (ﷺ) يَوْم بَدْرٍ عندما نَظَرَ النَّبِيُّ (ﷺ) إِلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ ثَلاَثُ مِائَةٍ وَنَيِّفٌ [٧] ، وَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ فَإِذَا هُمْ أَلْفٌ وَزِيَادَةٌ ، فَاسْتَقْبَلَ النَّبِيُّ (ﷺ) الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ وَعَلَيْهِ رِدَاؤُهُ وَإِزَارُهُ ثُمَّ قَالَ :

---

[١] أى غاصت فى الرمال . [٢] زجرتُها : حثثتها على السير . [٣] العثان : دخان من غير نار .

[٤] أى ينقصانى . [٥] الأديم : الجلد المدبوغ . [٦] رواه أحمد ، والبخارى كتاب المناقب .

[٧] النَّيِّف : الزائد على العقد .

(**اللَّهُمَّ أَيْنَ مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ أَنْجِزْ مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ فَلاَ تُعْبَدُ فِي الأَرْضِ أَبَدًا**) .. فَمَا زَالَ يَسْتَغِيثُ رَبَّهُ ، وَيَدْعُوهُ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَرَدَّاهُ ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ .. كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ .. [1]

و« أَبُو بَكْرٍ » (رضي الله عنه) من العشرة المبشَّرين بالجنة ، لقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (**أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ**)[2] .. ومناقب « أَبِى بَكْرٍ » (رضي الله عنه) كثيرة :

فعَنْ « أَبِي هُرَيْرَةَ » (رضي الله عنه) أنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (**مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ**) .. فَبَكَى « أَبُو بَكْرٍ » وَقَالَ : (**هَلْ أَنَا وَمَالِي إِلاَّ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟!**)[3] ..

كما رُوِىَ أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) صَعِدَ أُحُدًا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ فَقَالَ : (**اثْبُتْ أُحُدُ ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ**)[4] ..

وعَنْ « عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ » (رضي الله عنه) أنه قَالَ : كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) إِذْ طَلَعَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (**هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ [5] أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ إِلاَّ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، لاَ تُخْبِرْهُمَا يَا عَلِيُّ مَا دَامَا حَيَّيْنِ**)[6] ..

ويقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (**مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ لَهُ وَزِيرَانِ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ ، وَوَزِيرَانِ**

---

[1] رواه أحمد مسند العشرة المبشرين بالجنة .
[2] رواه الترمذى كتاب المناقب .
[3] رواه أحمد باقى مسند المكثرين .
[4] رواه البخارى كتاب المناقب .
[5] الكهل : مَن جاوز الثلاثين إلى نحو الخمسين .
[6] رواه الترمذى كتاب المناقب .

مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ ، فَأَمَّا وَزِيرَايَ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ : فَجِبْرِيلُ ، وَمِيكَائِيلُ .. وَأَمَّا وَزِيرَايَ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ : فَأَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ)[1] ..

وَيُرْوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ ، وَأَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِهِ ، وَالآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ ، وَهُوَ آخِذٌ بِأَيْدِيهِمَا ، وَقَالَ : (**هَكَذَا نُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)[2] ..

كما يُرْوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) رَأَى أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ ، فَقَالَ : (**هَذَانِ السَّمْعُ ، وَالْبَصَرُ**)[3] ..

وعَنْ « حُذَيْفَةَ » (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : (**اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي : أَبِي بَكْرٍ ، وَعُمَرَ**)[4] ..

ويقول « عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ » (رضي الله عنه) : أَتَيْتُ رَسُولَ الله (ﷺ) فَقُلْتُ : أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : (**عَائِشَةُ**) ، فَقُلْتُ : مِنَ الرِّجَالِ ؟ فَقَالَ : (**أَبُوهَا**) ، قُلْتُ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : (**ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ**) ، فَعَدَّ رِجَالاً ، فَسَكَتُّ مَخَافَةَ أَنْ يَجْعَلَنِي فِي آخِرِهِمْ[5] ..

هذا .. وقد رُوِيَ عن « أبي هريرة » (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) قال : (**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً لَهُ قَدْ حَمَلَ عَلَيْهَا ، الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ الْبَقَرَةُ ، فَقَالَتْ : إِنِّي لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا ، وَلَكِنِّي إِنَّمَا خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ**) .. فَقَالَ النَّاسُ : سُبْحَانَ اللَّهِ – تَعَجُّبًا وَفَزَعًا –

---

[1] رواه الترمذى كتاب المناقب . [2] رواه الترمذى كتاب المناقب . [3] رواه الترمذى كتاب المناقب .
[4] رواه الترمذى كتاب المناقب . [5] رواه البخارى كتابي المناقب والمغازى .

أَبَقَرَةٌ تَكَلَّمُ ؟! .. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) : (**فَإِنِّي أُومِنُ بِهِ ، وَأَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ**) .. وقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : (**بَيْنَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ ، عَدَا عَلَيْهِ الذِّئْبُ ، فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً ، فَطَلَبَهُ الرَّاعِي حَتَّى اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الذِّئْبُ فَقَالَ لَهُ : مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ ، يَوْمَ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي ؟**) .. فَقَالَ النَّاسُ : سُبْحَانَ اللَّهِ !! .. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : (**فَإِنِّي أُومِنُ بِذَلِكَ ، أَنَا ، وَأَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ**) .. وَمَا هُمَا ثَمَّ [1] .. [2]

ويروى سيدنا « عمر » فيقول : أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) أَنْ نَتَصَدَّقَ ، فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالاً ، فَقُلْتُ : (**الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ ، إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا** [3]) .. قَالَ : فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : (**مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ ؟**) .. قُلْتُ : **مِثْلَهُ** .. وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ ، فَقَالَ : (**يَا أَبَا بَكْرٍ ، مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ ؟**) .. قَالَ : **أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** .. قُلْتُ : **وَاللَّهِ لاَ أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا** [4] ..

وقد رُوِيَ أن رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قال : (**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا ؟**) ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رضي الله عنه) : أَنَا .. قَالَ : (**فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً ؟**) ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رضي الله عنه) : أَنَا .. قَالَ : (**فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا ؟**) ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رضي الله عنه) : أَنَا .. قَالَ : (**فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا ؟**) ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رضي الله عنه) : أَنَا .. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : (**مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ**)[5] ..

---

[1] أى لم يكن أبو بكر ولا عمر فى هذا المجلس . [2] متفق عليه .. واللفظ لمسلم كتاب فضائل الصحابة .
[3] أى : إن قُدِّر لي أن أسبقه يومًا ! . [4] رواه الترمذى كتاب المناقب . [5] رواه مسلم كتاب الزكاة .

ويُرْوَى أن رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قال : (**لِكُلِّ أَهْلِ عَمَلٍ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يُدْعَوْنَ بِذَلِكَ الْعَمَلِ ، وَلأَهْلِ الصِّيَامِ بَابٌ يُدْعَوْنَ مِنْهُ يُقَالُ لَهُ : الرَّيَّانُ**) ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ .. هَلْ أَحَدٌ يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا ؟ قَالَ : (**نَعَمْ .. وَأَنَا أَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ**)[1] ..

وعن « عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ » (رَضِي الله عَنْهمَا) أَنَّ أَبَا بَكْرٍ تَضَيَّفَ رَهْطًا[2] ، فَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ : **دُونَكَ أَضْيَافَكَ** ، **فَإِنِّي مُنْطَلِقٌ إِلَى النَّبِيِّ** (ﷺ) ، **فَافْرُغْ مِنْ قِرَاهُمْ**[3] **قَبْلَ أَنْ أَجِيءَ** .. فَانْطَلَقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، فَأَتَاهُمْ بِمَا عِنْدَهُ ، فَقَالَ : **اطْعَمُوا** .. فَقَالُوا : أَيْنَ رَبُّ مَنْزِلِنَا ؟ .. قَالَ : **اطْعَمُوا** .. قَالُوا : مَا نَحْنُ بِآكِلِينَ حَتَّى يَجِيءَ رَبُّ مَنْزِلِنَا .. قَالَ : **اقْبَلُوا عَنَّا قِرَاكُمْ** ، **فَإِنَّهُ إِنْ جَاءَ وَلَمْ تَطْعَمُوا لَنَلْقَيَنَّ مِنْهُ** .. فَأَبَوْا ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يَجِدُ عَلَيَّ[4] .. فَلَمَّا جَاءَ تَنَحَّيْتُ عَنْهُ ، فَقَالَ : **مَا صَنَعْتُمْ** ؟ .. فَأَخْبَرُوهُ .. فَقَالَ : **يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ** .. فَسَكَتُّ .. ثُمَّ قَالَ : **يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ** .. فَسَكَتُّ .. فَقَالَ : **يَا غُنْثَرُ**[5] ، **أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِنْ كُنْتَ تَسْمَعُ صَوْتِي لَمَّا جِئْتَ** .. فَخَرَجْتُ ، فَقُلْتُ : **سَلْ أَضْيَافَكَ** .. فَقَالُوا : صَدَقَ ، أَتَانَا بِهِ .. قَالَ : **فَإِنَّمَا انْتَظَرْتُمُونِي ، وَاللَّهِ لاَ أَطْعَمُهُ اللَّيْلَةَ** .. فَقَالَ الآخَرُونَ : وَاللَّهِ لاَ نَطْعَمُهُ حَتَّى تَطْعَمَهُ .. قَالَ : **لَمْ أَرَ فِي الشَّرِّ كَاللَّيْلَةِ ، وَيْلَكُمْ مَا أَنْتُمْ لِمَ لاَ**

---

[1] رواه أحمد باقى مسند المكثرين من الصحابة . [2] الرهط : الجماعة من الرجال دون العشرة .

[3] قراهم : ضيافتهم . [4] يجد علي : يغضب مني .

[5] الغنثر : الذباب ، وهى كلمة زجر واحتقار ، وقيل : معناها اللئيم .

تَقْبَلُونَ عَنَّا قِرَاكُمْ ؟! **هَات طَعَامَكَ** .. فَجَاءَهُ ، فَوَضَعَ يَدَهُ ، فَقَالَ : **باسْمِ اللَّه .. الأُولَى**[1] **للشَّيْطَانِ** .. فَأَكَلَ ، وَأَكَلُوا ، فَجَعَلُوا لاَ يَرْفَعُونَ لُقْمَةً إِلاَّ رَبَا [2] مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنْهَا .. فَقَالَ : **يَا أُخْتَ بَنِي فِرَاسٍ ، مَا هَذَا ؟!** .. فَقَالَتْ : وَقُرَّةِ عَيْنِي ، إِنَّهَا الآنَ لأَكْثَرُ قَبْلَ أَنْ نَأْكُلَ !! .. فَأَكَلُوا ، وَبَعَثَ بِهَا إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ) ، فَذَكَرَ أَنَّهُ أَكَلَ مِنْهَا .. [3]

ويُرْوَى أن رَسُول اللَّهِ (ﷺ) قال : (**مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاَءَ** [4] ، **لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّ أَحَدَ شِقَّيْ ثَوْبِي يَسْتَرْخِي إِلاَّ أَنْ أَتَعَاهَدَ [5] ذَلِكَ مِنْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : (**إِنَّكَ لَسْتَ تَصْنَعُ ذَلِكَ خُيَلاَءَ**)[6] ..

وقد رُوِى أنَّ رَسُول الله (ﷺ) قَال لـــ « حَسَّان بن ثَابِت » : (**قُلْتَ فِي أَبِي بَكْرٍ شَيْئًا ؟**) قال : نعم ، قال : (**قُلْ حَتَّى أَسْمَع**) ، قال :

وثَانِيَ اثْنَيْنِ فِي الْغَارِ الْمُنِيفِ وقَدْ ... طَافَ الْعَدُوُّ به إِذْ صَاعد الْجَبَلا
وكَانَ حِبَّ رَسُولِ اللهِ – قَدْ عَلِمُوا – ... مِنَ الْخَلاَئِقِ لَمْ يَعْدِلْ بِـــهِ بَدَلا

فتبسم رسول الله (ﷺ) [7] ..

ومن مناقبه (رضي الله عنه) أنه كان يفتي على عهد رسول الله (ﷺ) .. ويُرْوَى أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) فَكَلَّمَتْهُ فِي شَيْءٍ ، فَأَمَرَهَا بِأَمْرٍ ، فَقَالَتْ : أَرَأَيْتَ يَا

---

[1] أى الحالة التى غضب فيها وحلف . [2] ربَا : زاد . [3] رواه البخارى كتاب الأدب .
[4] الخيلاء : الفخر والتكبر . [5] المعاهدة : العناية والمراقبة . [6] رواه البخارى كتاب المناقب .
[7] رواه الحاكم فى المستدرك .

رَسُولَ اللَّهِ إِنْ لَمْ أَجِدْكَ ؟ – كَأَنَّهَا تَعْنِي الْمَوْتَ – قَالَ : (**إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ**)[1] ..

ويخبرنا « عُمَرُ » (رضي الله عنه) بِمَا فعل ، بعد أن تَأَيَّمَتْ[2] « حَفْصَةُ » ابنته مِنْ « خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ » – وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) مِمَّن شَهِدَ بَدْرًا ، وتُوُفِّيَ بِالْمَدِينَة – فيقول : **فَلَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ ، فَقُلْتُ : إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ ، قَالَ : سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي** .. فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ، فَقَالَ : **قَدْ بَدَا لِي أَلاَّ أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا** .. قَالَ « عُمَرُ » : فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ : **إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ** .. فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا .. فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ .. فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ .. فَلَقِيَنِي « أَبُو بَكْرٍ » فَقَالَ : **لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ ؟** قُلْتُ : **نَعَمْ** ، **قَالَ : فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ إِلاَّ أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَدْ ذَكَرَهَا ، فَلَمْ أَكُنْ لأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) ، وَلَوْ تَرَكَهَا لَقَبِلْتُهَا** ..[3]

هذا .. وقد أمر النبى (ﷺ) أبا بكر أن يخرج فى الناس حاجًّا ، فخرج فى ثلاثمائة مسلم قاصدًا إلى بيت الله الحرام ، ويقول أبو هريرة (رضي الله عنه) : (**بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ فِي تِلْكَ الْحَجَّةِ فِي مُؤَذِّنِينَ يَوْمَ النَّحْرِ ، نُؤَذِّنُ بِمِنًى : أَنْ لاَ يَحُجَّ بَعْدَ الْعَامِ**

---

[1] رواه البخارى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة .
[2] تأيمت : مات عنها زوجها .
[3] رواه البخارى كتاب المغازى .

مُشْرِكٌ ، وَلاَ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ)[1] ..

وعَنْ « أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ » (رضي الله عنه) قَالَ : خَطَبَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ : (**إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّه**) ، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ (رضي الله عنه) ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ إِنْ يَكُنِ اللَّهُ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّه ؟! - فَكَانَ رَسُولُ اللَّه (صلى الله عليه وسلم) هُوَ الْعَبْدَ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا - قَالَ : (**يَا أَبَا بَكْرٍ لاَ تَبْكِ ، إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِه وَمَالِه أَبُو بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً مِنْ أُمَّتِي لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ وَمَوَدَّتُهُ ، لاَ يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلاَّ سُدَّ إِلاَّ بَابُ أَبِي بَكْرٍ)**[2] ..

وتقول السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) : لَمَّا مَرِضَ رَسُولُ اللَّه (صلى الله عليه وسلم) مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيه ، فَحَضَرَت الصَّلاَةُ فَأُذِّنَ ، فَقَالَ : (**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**) ، فقُلْتُ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ [3] ، إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ .. فَقَالَ : (**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ**) ، فقلتُ لِحَفْصَةَ : قُولِي لَهُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ .. فَفَعَلَتْ حَفْصَةُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه (صلى الله عليه وسلم) : (**مَهْ** [4] ، **إِنَّكُنَّ لأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ** [5] ، **مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ**) ..

---

[1] رواه البخارى ، كتاب الصلاة .
[2] رواه البخارى كتاب الصلاة .
[3] أسيف : رقيق القلب ، سريع البكاء .
[4] مه : كلمة زجر ، وإنكار بمعنى اكفف .
[5] صواحب يوسف : مثلهن فى الجدال والإلحاح .

فَقَالَتْ لى حَفْصَةُ : مَا كُنْتُ لأُصِيبَ مِنْك خَيْرًا .. وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فَصَلَّى ، فَوَجَدَ النَّبِيُّ (ﷺ) مِنْ نَفْسِه خِفَّةً ، فَخَرَجَ يُهَادَى [1] بَيْنَ رَجُلَيْنِ ، كَأَنِّي أَنْظُرُ رِجْلَيْهِ تَخُطَّانِ فِى الأَرْضِ مِنَ الْوَجَعِ ، فَأَرَادَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَتَأَخَّرَ ، فَأَوْمَأَ إِلَيْه النَّبِيُّ (ﷺ) أَنْ مَكَانَكَ ، ثُمَّ أُتِيَ بِهِ حَتَّى جَلَسَ إِلَى جَنْبِهِ ، فَكَانَ النَّبِيُّ (ﷺ) يُصَلِّي ، وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِصَلاَتِهِ ، وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلاَةِ أَبِي بَكْرٍ .. [2]

هذا .. ولما انتقل النبى (ﷺ) إلى الرفيق الأعلى كان « أبو بكر » هو الذى لَمَّ شمل الأمة .. وكان رابط الجأش حيث ذهل « عمر » عن نفسه وقال : لا يتكلم أحد بموته إلا ضربته بسيفي هذا ! وقيل لـــ « سَالِم بن عُبَيْد » – وكان من أهل الصفة – : يا سَالِم ، اذهب إلى صاحب النبي (ﷺ) فادعه – يعنى أبا بكر – قال : فخرجتُ ، فوجدتُ أبا بكر قائمًا في المسجد ، قال أبو بكر : مات رسول الله (ﷺ) ؟ قلت : إن عمر يقول : لا يتكلم أحد بموته إلا ضربته بسيفي هذا .. فوضع يده على ساعدي ثم أقبل يمشي حتى دخل ، فوسعوا له حتى أتى النبي (ﷺ) فأكب عليه ، حتى كاد أن يمس وجهه وجه النبي (ﷺ) حتى استبان له أنه قد مات ، فقال أبو بكر : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ) .. قالوا : يا صاحب رسول الله (ﷺ) ، أمات رسول الله (ﷺ) ؟ قال : نعم .. فعلموا أنه كما قال .. قالوا : يا صاحب النبي (ﷺ) ، هل نصلي على النبي (ﷺ) ؟ قال : نعم ، قالوا : وكيف يُصَلَّى عليه ؟ قال : يدخل قوم فيكبرون ويدعون ثم يخرجون ويجيء

---

[1] يهادى بين رجلين : يمشى بينهما معتمدًا عليهما لضعفه .

[2] رواه البخارى ، كتاب الأذان .

آخرون .. قالوا : يا صاحب النبي (ﷺ) ، هل يدفن النبي (ﷺ) ؟ قال : نعم ، قالوا : وأين يدفن ؟ قال : في المكان الذى قبض الله فيه روحَهُ ، فإنه لم يقبض روحه إلا في مكان طيب [(١)] .. ثم خرج (رضي الله عنه) إلى الناس فَحَمِدَ اللَّهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ : (**أَلاَ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا (ﷺ) فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ**) .. وَقَالَ : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ)[(٢)] ، وَقَالَ : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ)[(٣)] .. فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ .. [(٤)]

هذا .. وقد اجتمعت الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة يتشاورون فى أمر الخلافة ، فلما علم « أبو بكر » بذلك أخذ « عمر بن الخطاب » وذهب إليهم ، فقالت الأنصار: (مِنَّا أَمِيرٌ ، وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ) ، فقال « عمر » : سَيْفَان فى غِمْدٍ وَاحِدٍ إذًا لا يَصْطَحِبان .. **يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ الله (ﷺ) أَمَرَ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يَؤُمَّ النَّاسَ** ؟ قالوا : بلى .. قال : **فَأَيُّكُمْ تَطِيبُ نَفْسُهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ** ؟ قالت الأنصار : **نَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ نَتَقَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ** [(٥)] .. ثم أخذ بِيَد أبي بكر ،

---

(١) رواه النسائى فى السنن الكبرى كتاب وفاة النبي (ﷺ) .. وفى رواية للبخارى : (فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّه (ﷺ) فَقَبَّلَهُ قَالَ : بِأَبِى أَنْتَ وَأُمِّى .. طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا .. وَالَّذِى نَفْسِى بِيَده ، لاَ يُذِيقُكَ اللَّهُ الْمَوْتَتَيْنِ أَبَدًا .. ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ : أَيُّهَا الْحَالِفُ عَلَى رِسْلِكَ .. فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ) ..

(٢) سورة الزمر آية ٣٠ . (٣) سورة آل عمران آية ١٤٤ . (٤) رواه البخارى كتاب فضائل الصحابة .

(٥) رواه أحمد مسند العشرة المبشرين بالجنة ، والنسائى فى السنن الكبرى .

فقال : من له هذه الثلاث : (إِذۡ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ) : مَنْ صاحبه ؟ .. (إِذۡ هُمَا فِى ٱلۡغَارِ) : مَنْ هما ؟ .. (لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا) مع مَنْ ؟ .. ثم بايعه [1] .. فكان « عمر بن الخطاب » أول مَنْ بايع أبا بكر ، ثم بايع بعده الناس من الأنصار والمهاجرين ، ثم تلاهم مبايعة العامة .. فقام (رضي الله عنه) على المنبر فحمد الله ، وأثْنَى عليه بِمَا هو أهْلُه ، ثم قال : (**أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ ، فَإِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ .. فَإِنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي ، وَإِنْ أَسَأْتُ فَقَوِّمُونِي .. الصِّدْقُ أَمَانَةٌ .. والْكَذِبُ خِيَانَةٌ .. والضَّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حَتَّى أُرِيحَ عَلَيْه حَقَّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .. والْقَوِيُّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .. لاَ يَدَعُ قَوْمٌ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إلاَّ ضَرَبَهُمُ اللَّهُ بِالذُّلِّ .. ولاَ تَشِيعُ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ إلاَّ عَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْبَلاَءِ .. أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللَّهَ ورَسُولَهُ ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلاَ طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ**)[2] ..

ومن أهم المواقف التي حفظت الإسلام ووحدة الأمة موقفه (رضي الله عنه) فى حروب الردة التى كان قد أمر بهَا ، ولما ناقشه فيها سيدنا « عمر » قائلا : كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، فَمَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ ، وَنَفْسَهُ ، إِلاَّ بِحَقِّهِ ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ**) ! فَقَالَ : (**وَاللَّهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ .. وَاللَّهِ ، لَوْ مَنَعُونِي عِقَالاً كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم)**

---

[1] رواه النسائى فى السنن الكبرى كتاب وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) .

[2] سيرة ابن هشام .

لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعه) .. فَقَالَ « عُمَرُ » : فَوَاللَّهِ ، مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ .. [1]

وقد كان « أبو بكر » (رضي الله عنه) فى تواضعه وفى تقواه مثلاً يُحْتَذَى ، ويقول بعض العلماء إنه نزل فيه قول الله تعالى : (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ)[2] .. كما قيل أيضًا إنه قد نزل فيه قول الله : (حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ)[3].. وكذلك قوله عز وجل : (ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ)[4] ..

وتقول السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) لابن أختها « عُرْوَة بن الزُّبَيْر » حين سألها عن قول الله عز وجل : (ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾)[5] : **يَا ابْنَ أُخْتِي ، كَانَ أَبَوَاكَ مِنْهُمْ : الزُّبَيْرُ ، وَأَبُو بَكْرٍ** .. لَمَّا أَصَابَ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) مَا أَصَابَ يَوْمَ

---

(1) رواه البخارى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة .
(2) سورة الليل الآيات من ٥ : ٧ .
(3) سورة الأحقاف الآيتان ١٥ ، ١٦ .
(4) سورة الليل الآيات من ١٨ : ٢١ .
(5) سورة آل عمران آية ١٧٢ .

أُحُد وَانْصَرَفَ عَنْهُ الْمُشْرِكُونَ خَافَ أَنْ يَرْجِعُوا ، قَالَ : (**مَنْ يَذْهَبُ فِي إِثْرِهِمْ ؟**) .. فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلاً ، كَانَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ ، وَالزُّبَيْرُ .. [١]

ومن أمثلة رقته وتواضعه (رضي الله عنه) : أن « عمر بن الخطاب » كان يتعهد عجوزًا كبيرة عمياء ، في بعض حواشي المدينة من الليل ، فيسقي لها ، ويقوم بأمرها ، فكان إذا جاء وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت .. فجاءها غير مرة كلاًّ يُسْبَق إليها ، فرصده عمر ، فإذا هو بأبي بكر الصديق الذي يأتيها – وهو يومئذ خليفة – فقال عمر : أنت هو لَعَمْرِي !! [٢]

وتقول « أُنَيْسَة » : نزل فينا أبو بكر ثلاث سنين : سنتين قبل أن يستخلف ، وسنة بعدما استخلف ، فكان جواري الحي يأتينه بغنمهن ، فيحلبهن لهن .. [٣]

ولَمَّا بُويِع له (رضي الله عنه) بالخلافة قالت جارية من الحي : الآن لا تُحْلَب لنا مَنَائِحُ [٤] دارنا .. فسمعها « أبو بكر » فقال : (**بَلَى ، لَعَمْرِي لأَحْلِبَنَّهَا لَكُنّ ، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ لاَ يُغَيِّرَنِي مَا دَخَلْتُ فِيهِ عَنْ خُلُقٍ كُنْتُ عَلَيْهِ**) .. فكان يحلب لهنّ ، فربما قال للجارية من الحي : (**يا جَارِيَة ، أَتُحِبِّين أن أُرغِي لكِ أم أصرِّح ؟**)[٥] .. فربما قالت : أَرْغِ ، وربما قالت : صرِّح ، فأي ذلك قالت فعل .. [٦]

وكان (رضي الله عنه) إذا مُدِح قال : (**اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي ، وأَنَا أَعْلَمُ**

---

[١] رواه البخارى كتاب المغازى . [٢] أُسد الغابة لابن الأثير . [٣] أُسد الغابة لابن الأثير .

[٤] المنائح : جمع منيحة ، وهى كل دابة تعار للانتفاع بلبنها ووبرها وولدها .

[٥] فى حلب الشاة طريقتان : أن ترغى أى يكون اللبن ذا رغوة ، أو تصرح أى يكون اللبن بغير رغوة .

[٦] رواه ابن سعد فى الطبقات الكبرى ، وذكره ابن الأثير فى أسد الغابة .

بِنَفْسِي مِنْهُمْ .. **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى مَا لاَ يَعْلَمُونَ ، وَلاَ تُؤَاخِذْنِى بِمَا يَقُولُون ، واجْعَلْنِى خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّونَ**)[1] ..

هذا .. وقد تم جمع القرآن الْجَمْعَة الأولى فى مصحف واحد فى عهده ، وقد استمرت خلافته (رضي الله عنه) سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام .. وتقول السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) إنه اغتسل فى يوم بارد فَحُمَّ [2] ، فاستَخْلَف « عمر بن الخطاب » على الناس ، ثم ثقل عليه المرض .. وتقول السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) : دَخَلْتُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ (رضي الله عنه) ، فَقَالَ : **فِي كَمْ كَفَّنْتُمُ النَّبِيَّ** (ﷺ) ؟ .. قَالَتْ : فِي ثَلاثَة أَثْوَاب بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ [3] ، لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ ، وَلاَ عِمَامَةٌ .. وَقَالَ لَهَا : **فِي أَيِّ يَوْمٍ تُوُفِّي رَسُولُ اللَّه** (ﷺ) ؟ .. قَالَتْ : يَوْمَ الاثْنَيْنِ .. قَالَ : **فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟** .. قَالَتْ : يَوْمُ الاثْنَيْنِ .. قَالَ : **أَرْجُو فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّيْلِ** .. فَنَظَرَ إِلَى ثَوْبٍ عَلَيْه كَانَ يُمَرَّضُ فِيه بِه رَدْعٌ [4] مِنْ زَعْفَرَان [5] ، فَقَالَ : **اغْسِلُوا ثَوْبِي هَذَا ، وَزِيدُوا عَلَيْه ثَوْبَيْنِ ، فَكَفِّنُونِي فِيهَا** .. قُلْتُ : إِنَّ هَذَا خَلَقٌ [6] ! .. قَالَ : **إِنَّ الْحَيَّ أَحَقُّ بِالْجَدِيدِ مِنَ الْمَيِّت ، إِنَّمَا هُوَ** [7] **لِلْمُهْلَة** [8] .. فَلَمْ يُتَوَفَّ حَتَّى أَمْسَى مِنْ لَيْلَةِ الثُّلاثَاءِ ، وَدُفِنَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ .. [9]

وتذهب السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) تنفذ وصية أبيها (رضي الله عنه) التى

---

[1] أسد الغابة لابن الأثير . [2] أى فأصابته الْحُمَّى . [3] سحولية : مصنوعة من القطن .
[4] ردع : لطخ . [5] أى الصبغة المستخرجة من نبات الزعفران .
[6] خلق : قديم بال . [7] أى الكفن .
[8] المهلة : القيح أو صديد الميت خاصة . [9] رواه البخارى كتاب الجنائز .

أوصاها بهَا لَمَّا احتضر : (**يَا عَائشَةُ ، انظري اللَّقْحَة** [١] **الَّتي كُنَّا نَشْرَبُ منْ لَبَنهَا ، والْجَفْنة** [٢] **الَّتي كُنَّا نَصْطَبِحُ** [٣] **فيهَا ، والقَطيفَة الَّتي كُنَّا نَلْبَسُهَا ، فَإِنَّا كُنَّا نَنْتَفِعُ بذَلكَ حينَ كُنَّا في أَمْرِ الْمُسْلمينَ ، فَإِذَا متُّ فَارْدُديه إِلَى عُمَر**) .. فقال عمر : (**رَضِيَ اللهُ عَنْكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ، لَقَدْ أَتْعَبْتَ مَنْ جَاءَ بَعْدَكَ**)[٤] ..

وقد بلغ « عمر بن الخطاب » (رضي الله عنه) في خلافته أن بعض القوم فضَّله على « أبي بكر » (رضي الله عنه) فجاء إلى المسجد ومعه دِرَّته [٥] فأقبل على الذين فضلوه على « أبي بكر » ، فجعل يضربُهم بالدِّرَّة ، حتى ما يتقي أحدهم إلا برجله ، فقال له « الْجَارُود بن الْمُعَلَّى » – وكان ممن فضل أبا بكر على عمر – : أفق .. أفق يا أمير المؤمنين ، فإن الله عز وجل لم يكن يرانا نفضلك على أبي بكر ، وأبو بكر أفضل منك في كذا ، وأفضل منك في كذا .. فَسُرِّي عن عمر ثم انصرف .. فلما كان من الْعَشيِّ صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : (**أَلاَ إِنَّ أَفْضَلَ هَذه الأُمَّة بَعْد نَبيِّهَا أَبُو بَكْر ، فَمَنْ قَال غَيْر ذَلك بَعْدَ مَقَامي هَذَا فَهُوَ مُفْتَرٍ ، عَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُفْتَرِي**)[٦] .. وكان « عمر » (رضي الله عنه) يقول : (**أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا ، وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا** [٧])[٨] ..

وقد رُوِيَ عن « عَلِيّ بن أبي طَالِب » (رضي الله عنه) أنه قال : (**قَدَّمَ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أَبَا بَكْر فصلَّى بالناس ، وإني لشَاهِد غَيْر غائب ، وإِنِّي لَصَحِيح غَيْر مَرِيض ، ولو**

---

[١] اللقحة : الناقة الحلوب . [٢] الجفنة : القصعة . [٣] نصطبح : نشرب أول النهار .
[٤] رواه الطبراني في المعجم الكبير . [٥] الدِّرَّة : سوط مَضْفور من جلد أو ليف أو ما شاكل .
[٦] أُسد الغابة لابن الأثير . [٧] يَعْنِي بِلاَلَ بن رَبَاح . [٨] رواه البخاري كتاب المناقب .

شَاء أن يُقَدِّمنى لَقَدَّمَنِى ، فرضينا لِدُنْيَانَا مَنْ رضيه الله ورسُوله لِدِينِنَا)[1] ..

ويقول « محمد بن الزُّبَيْر » : أرسلنى « عُمَر بن عبد العَزِيز » إلى « الْحَسَن البَصْرِىّ » أسأله عن أشياء ، فصعدت إليه فإذا هو متكئ على وسادة من أَدَمٍ [2] ، فقلت : أرسلنى إليك عمر أسألك عن أشياء .. فأجابنى فيما سألته عنه ، وقلت : اشفني فيما اختلف الناس فيه : هل كان رسول الله (ﷺ) استخلف أبا بكر ؟ فاستوى الْحَسَن قاعدًا فقال : أو فى شك هو لا أبا لك ؟ إى والله الذى لا إله إلا هو لقد استخلفه ، ولهو كان أعلم بالله ، وأتقى له ، وأشد مخافة من أن يموت عليها لو لَمْ يُؤَمِّرْهُ .. [3]

ومن هنا اتفقت الأمة على أن « أبا بكر الصديق » هو أفضل الأمة بعد النبي (ﷺ) لا يرقى إلى مقامه أحد ..

هذا .. والحديث عن شيخ الأصحاب يطول ولكن مهما تحدثنا عنه فلن نوفِّيه حقَّه ، ونكتفي بقول بعض الشيوخ : (**مَنْ أحَبَّ أبا بكر فقد أحَبَّ رسولَ الله (ﷺ) ، ومَنْ أحَبَّ رسولَ الله (ﷺ) فقد أحَبَّ الله ، ومَنْ أحَبَّ الله دخل الجنة**) ..

نَسْأَلُ اللهَ الْعَلِيَّ الْقَدِير أَنْ يَرْزُقَنَا حُبَّهُ ..

وأَنْ يَجْزِيَهُ عَنْ أُمَّةِ « مُحَمَّدٍ » (ﷺ) خَيْرَ مَا جَازَى به إِمَامًا عَنْ أُمَّةِ نَبِيِّهِ ..

---

(1) أُسد الغابة لابن الأثير .

(2) أدم : جلد .

(3) أُسد الغابة لابن الأثير .

عُمَرُ بْنُ الخَطَّـاب (رضى الله عنه)

هو الإمام الأَوَّاب ، الناطق بالصَّواب ، الموافق حُكْمُه حُكْمَ الكتاب ، الذى قال للنبىّ احجُب نساءك فنــزلت آية الحجاب ، الذى قال فيه رسول الْمَلِك الوَهَّاب : (**لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ**)[1] ..

وقد أسلم « عمر » (رضي الله عنه) بعد تسعة وثلاثين رجلا وإحدى عَشْرَةَ امرأة ، وبإسلام « عمر » تم الرجال أربعين ، ولم يكن منهم من أظهر إسلامه سوى خمسة فقط هم : « أبو بَكْر » ، و« خَبَّاب » ، و« صُهَيْب » ، و« بِلال » ، و« عَمَّار » (رضى الله عنهم أجمعين) ..

ولقد كان إسلامه (رضي الله عنه) استجابة لدعوة النبى (صلى الله عليه وسلم) حيث كان يدعو الله قائلا : (**اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ بِأَحَبِّ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ : عُمَر بن الْخَطَّاب ، أو عَمْرِو بن هِشَام** [2])[3].. فاستجاب الله لدعوة النبى (صلى الله عليه وسلم) وأعَزَّ الإسلام بأحب الرجلين إليه ، وكان ذلك الرجل هو « عمر بن الخطاب » ..

ولقد تعددت الروايات عن إسلام عمر ، وأرجحها وما نعتقد أنَّها آكد الروايات ما رواه الإمام « أحمد بن حنبل » (رحمه الله) فقال : كان إسلام « عمر ابن الخطاب » فيما بَلَغَنِي أن أخته « فاطمة بنت الخطاب » كانت قد أسلمت ،

---

[1] رواه الترمذى كتاب المناقب . [2] عَمْرُو بن هِشَام هو أبو جَهْل . [3] رواه الحاكم فى المستدرك .

وأسلم زوجها « سَعِيد بْن زَيْد » معها ، وهم يستخفون بإسلامهم من « عمر » ، وكان « نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ النَّحَّامُ » رجلاً من قومه من « بَنِي عَدِيّ بْنِ كَعْب » قد أسلم ، وكان أيضًا يستخفي بإسلامه فَرَقًا [1] من قومه ، وكان « خَبّابُ بْنُ الأَرَتّ » يختلف [2] إلى « فاطمة بنت الخطاب » يُقْرِئُهَا الْقُرْآنَ ، فخرج « عمر » يومًا مُتَوَشِّحًا سَيْفَهُ يريد رسولَ الله (ﷺ) ورَهْطًا من أصحابه ، فذُكِر له أنّهم قد اجتمعوا في بيت عند الصَّفَا ، وهم قريب من أرْبعين من رجال ونساء ، ومع رسول الله (ﷺ) عَمّهُ « حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ » ، و« عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ » ، و« أَبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ » ، في رجال من المسلمين مِمَّنْ كان أقام مع رسول الله (ﷺ) بمكة ، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة ، فلقيه « نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ الله » فقال له : **أين تُرِيدُ** ؟ قال : **أُرِيدُ مُحَمَّدًا ، هَذَا الصَّابِئ الَّذي قد فَرَّقَ أَمْرَ قُرَيْشٍ ، وَسَفَّهَ أَحْلاَمَهَا** [3] ، **وَعَابَ دِينَهَا ، وَسَبَّ آلِهَتَهَا ، فَأَقْتُلُهُ** .. فقال له « نُعَيْمٌ » : **وَاللهِ ، لَقَدْ غَرّتْكَ نَفْسُك مِنْ نَفْسك يَا عُمَرُ ، أَتَرَى بَنِي عَبْد مَنَاف تَارِكِيك تَمْشِي عَلَى الأَرْضِ وَقَدْ قَتَلْتَ مُحَمَّدًا ؟ أَفَلا تَرْجِعُ إلَى أَهْلِ بَيْتك فَتُقِيمُ أَمْرَهُمْ ؟ .. قَالَ : وَأَيّ أَهْلِ بَيْتِي ؟ قَالَ : خَتَنُكَ** [4] **وَابْنُ عَمّكَ : سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ** [5] ، **وَأُخْتُكَ : فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّاب ، فَقَدْ أَسْلَمَا ، وَتَابَعَا مُحَمَّدًا عَلَى دِينِه ، فَعَلَيْك بِهِمَا** .. فرجع « عمر » عامدًا لِخَتَنِه وأخته ، وعندهما « خَبّابُ بْنُ الأَرَتّ » معه صحيفة فيها : (طه) يُقْرِئُهُمَا إيَّاهَا ، فلما سمعوا حِسَّ عمر تَغَيَّبَ

---

[1] فرقا : خوفا .
[2] يذهب ويتردد .
[3] أحلامها : عقولها .
[4] ختنك : زوج أختك .
[5] سعيد بن زيد هو أحد العشرة المبشرين بالجنة .

« خَبّابُ بْنُ الأَرَتّ » في مَخْدَعٍ لَهُم [١] أو في بعض البيت ، وأخذت « فاطمة بنت الخطاب » الصحيفة فجعلتها تحت فَخذها ، وقد سمع عمر حين دنَا من البيت قراءته عليهما ، فلما دخل قال : **مَا هَذه الْهَيْنَمَةُ التي سَمعتُها ؟** .. **قالا : ما سَمعْتَ شَيْئًا** .. **قال : بَلَى وَالله لَقَدْ أُخبِرْت أَنَّكُما تَابَعْتُما مُحَمَّدًا عَلَى دِينِه** .. وبَطَشَ بِخَتَنِه سَعِيد بن زَيْدٍ ، وقامت إليه فاطمة أخته لِتَكُفّهُ عن زوجها ، فضَرَبَها فشَجَّهَا ، فلما فعل ذلك قالت له أخته : **نَعَمْ قَدْ أَسْلَمْنَا ، وَآمَنَّا بِالله وَرَسُولِه ، فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ** .. ولما رأى عمر ما بأخته من الدم نَدمَ على ما صنع فَارْعَوَى [٢] وقال لأخته : **أَعْطِينِي هَذِه الصَّحِيفَةَ الّتِي سَمِعْتُكُمْ تَقْرَءُونَ آنفًا** [٣] **أَنْظُرْ مَا هَذَا الَّذِي جَاءَ بِه مُحَمّدٌ** – وكان عمر كاتبًا [٤] – فلما قال ذلك ، قالت له أخته : **إِنَّا نَخْشَاك عَلَيْهَا** .. قَالَ : لاَ تَخَافِي – وَحَلَفَ لَهَا بِآلِهَته لَيَرُدَّنَّهَا إِلَيْهَا إِذَا قَرَأَهَا – فلما قال لها ذلك طَمعَتْ في إسلامه ، فقالت له : **يَا أَخِي ، إِنّك نَجَسٌ عَلَى شِرْكِك ، وَإِنَّهُ لاَ يَمَسّهَا إلاَّ الطَّاهِرُ** .. فقام عمر فاغتسل ، ثم أعطته الصَّحِيفَة ، وفيها (طه) ، فقرأها ، فلما قرأ صَدْرًا منها [٥] قال : **مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلاَمَ وَأَكْرَمَهُ** .. فلما سمع « خَبّابُ » ذلك خرج إليه فقال له : **يَا عُمَرُ ، وَالله إِنّي لأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللهُ قَدْ خَصَّكَ بِدَعْوَة نَبِيّه** (ﷺ) **فَإِنّي سَمِعْته وَهُوَ يَقُولُ : (اللَّهُمَّ أَيِّدِ الإِسْلاَمَ بِأَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ ، أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ)** ، **فَاللَّهَ اللَّهَ**

---

[١] المخْدَع : هو البيت الصغير الذي يكون داخل البيت الكبير .
[٢] فارعوى : أى فرجع عن جهله . [٣] آنفا : قبل قليل . [٤] أى يعرف الكتابة .
[٥] صدرا منها : بدايتها ومقدمتها .

يَا عُمَرُ .. فقال له عند ذلك : **فادللني عليه يا خبَّاب حتى آتيه فأُسْلِم** .. فقال له خباب : **هُوَ فِي بَيْت عِنْدَ الصَّفَا ، مَعَهُ فِئَة** – يعني من أصحابه – فأخذ عُمَرُ سَيْفَهُ فَتَوَشَّحَهُ ، ثم عَمَدَ إلى رسول الله (ﷺ) وأصحابه فضرب عليهم الباب ، فقام رجل منهم فنظر من خَلَلِ الباب ، فرآه متوشِّحًا السيف ، فرجع إلى رسول الله (ﷺ) وهو فزع فقال : **يَا رَسُولَ اللهِ ، هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب مُتَوَشِّحًا السَّيْفَ !!** فقال « حَمْزَةُ بْنُ عَبْد الْمُطَّلِبِ » : **فائْذنْ لَهُ ، فإن كان يُرِيدُ خَيْرًا بَذَلْنَاه لَهُ ، وإنْ كان يُرِيد شَرًّا قَتَلْنَاهُ بِسَيْفِه** .. فقال رسول الله (ﷺ) : (**ائْذَنْ لَهُ**) .. فأذن له الرجل ونَهَض إليه رسول الله (ﷺ) حتى لقيه في الْحُجْرَة ، فَأَخَذَ بِحُجْزَتِهُ [1] أو بجمع رِدَائه ، ثم جذبه جذبة شديدة ، وقال : (**مَا جَاءَ بِك يَا ابْنَ الْخَطَّاب ؟ وَاللهِ مَا أَرَى أَنْ تَنْتَهِيَ حَتَّى يُنْزِلَ اللهُ بِك قَارِعَةً** [2]) .. فقال له عمر : **يَا رَسُولَ اللهِ ، جِئْتُكَ أؤمنُ بِاللهِ وَبِرَسُوله وَبِمَا جِئْتَ بِه مِنْ عِنْد الله** .. قال : فَكَبَّر رَسُولُ الله (ﷺ) تَكْبِيرَةً عَرَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله (ﷺ) أَنَّ عُمَرَ قَدْ أَسْلَمَ .. فَتفَرَّقَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله (ﷺ) من مَكَانِهِم ذلك وقد عزوا في أنفسهم حين أَسْلَمَ عُمَرُ مع إسلام حَمْزَة بن عَبْد الْمُطَّلِبِ ، وَعرفوا أَنَّهُمَا سَيَمْنَعَانِ [3] رَسُولَ الله ، فَيَنْتَصِفُونَ [4] بِهِمَا مِنْ عَدُوِّهِمْ .. [5]

ولَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ نَزَلَ « جِبْرِيلُ » (عليه السلام) فَقَالَ : (**يَا مُحَمَّدُ ، لَقَدِ اسْتَبْشَرَ**

---

(1) الحجزة : مكان عقد الإزار .
(2) قارعة : داهية .
(3) سيمنعان : سيحميان .
(4) ينتصفون : يأخذون حقهم .
(5) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل .. وكذلك ذكره ابن الأثير فى الكامل فى التاريخ .

أَهْلُ السَّمَاءِ بِإِسْلاَمِ عُمَرَ) [١] .. ويُرْوَى أن النبي (ﷺ) ضرب صدر عمر بيده حين أسلم ثلاث مرات ، وهو يقول : (**اللَّهُمَّ أَخْرِجْ مَا فِي صَدْرِهِ مِنْ غِلٍّ ودَاءٍ ، وأَبْدِلْهُ إِيـــمَانًا**) يقول ذلك ثلاثا [٢] ..

ويقول « ابن عمر » (رضى الله عنهما) : كنت مَعَ أبي يوم أسلم غلامًا أتبعه ، أعقل ما يصنع ، حتى أتى « جَمِيل بن مَعْمَر الْجُمَحِيّ » – وكان امرأً يذيع الحديث – فقال : (**يا جَمِيلُ ، أَعَلِمْتَ أَنِّي اتَّبَعْتُ مُحَمَّدًا ؟**) .. فقام جميلٌ يجرّ رداءه من العجلة ، يطوف على أندية قريش ويقول : **إن ابن الخطاب صَبَأَ** [٣] ، وأبي يتبعه ويقول : (**كَذَبَ ، ولكنِّي أَسْلَمْتُ**) .. فلم يصنعوا شيئًا ، فصاح أبي : (**أشْهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلاَّ الله ، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله**) .. فقاموا إليه فجعلوا يضربونه ، ويضربـــهم حتى قامت الشمس على رأسه ، فجلس وقد أعيا ، وهو يقول : (**أمَا والله لو قَدْ بَلَغْنَا ثلاثمائة لقد أَخْرَجْنَاكُم منها ، أو أَخْرَجْتُمُونَا**) .. إلى أن جاء رجل عليه رداء حِبَرَة [٤] ، فقال : **ما هذا** ؟ قالوا : **صبأ ابن الخطاب** ، فقال : **رجل اختار لِنَفْسِه أمرًا ، ما لكم وله ؟! أترون بني عدي تاركيكم وصاحبكم هكذا** ؟ فكأنما كسف بالناس يومًا [٥] .. فقلت لأبي بالمدينة : يا أبه ، من الرجل الذي أتاك يوم أسلمت ؟ قال : العَاصُ بن وَائِل .. [٦]

---

[١] رواه ابن ماجه فى المقدمة . [٢] رواه ابن عساكر . [٣] خرج عن دينه وارتد .

[٤] حبرة : مُزَيَّن من كتان أو قطن . [٥] أى فعل بالناس ما تفعله الشمس إذا كسفت وذهب نورها .

[٦] رواه ابن عساكر ، وذكره ابن هشام فى سيرته .

وتدور الأيام ، ويؤمر المسلمون بالهجرة إلى المدينة ..

وعن هجرة « عمر » (رضي الله عنه) يقول « علي بن أبي طالب » (كرم الله وجهه) : ما علمت أن أحدًا من المهاجرين هاجر إلا مختفيًا ، إلا عمر بن الخطاب ، فإنه لَمَّا هم بالهجرة تَقَلَّد سَيْفَه ، وتَنَكَّبَ قَوْسَه [1] ، وانْتَضَى في يده أسهمًا [2] ، واخْتَصَرَ عَنَزَتَه [3] ، ومضى قِبَل الكعبة ، والملأ من قريش بفنائها ، فطاف بالبيت سبعًا متمكنًا ، ثم أتى المقام فصلى متمكنًا ، ثم وقف على الْحَلَق [4] واحدة واحدة ، وقال لهم : (**شَاهَتِ الْوُجُوه** [5] .. **لا يُرْغِم** [6] **اللَّهُ إِلا هذه الْمَعَاطِس** [7] .. **مَنْ أراد أن تَثْكَلَه أمُّهُ ، ويُوتِمَ وَلَدَه ، ويُرَمِّلَ زَوْجَتَهُ ، فليلقني وراء هذا الوَادِي**)[8] ..

وقد جمع « عمر » المستضعفين وأخذهم فى حمايته وخرج إلى المدينة ومعه عشرون راكبًا ، ونزل على بنى « عَمْرو بن عَوْف » ، وكانت هجرة « عمر » قبل هجرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فلما سأله الناس ما فعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؟ قال : (**هو على إِثْرِى**)[9] ..

وقد شهد « عمر » (رضي الله عنه) غزوة « بَدْر » مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وشهد كذلك غزوة « أُحُد » ، وكان فيمن ثبت حول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وشهد معه

---

(١) تنكب قوسه : وضعه على كتفه .
(٢) انتضى أسهما : أخرجها من كنانتها .
(٣) العَنَزَة : عصا كالعكازة حادة الطرف ، واختصرها : أى وضعها على خَصْرِه .
(٤) الحلق : حلقات مجالس واجتماع القوم .
(٥) شاهت الوجوه : قبحت وذلّت .
(٦) يرغم : يذل .
(٧) المعاطس : الأُنوف .
(٨) أُسد الغابة لابن الأثير .
(٩) أُسد الغابة لابن الأثير .

المشاهد كلها ، وهو من العشرة المبشَّرين بالجنة ، لقول النبي (ﷺ) : (**عُمَرُ فِي الْجَنَّةِ**)[1] .. ومن أقوال النبى (ﷺ) فيه ما يلي :

- (**لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ**)[2] ..
- (**مَنْ أَبْغَضَ عُمَرَ فَقَدْ أَبْغَضَنِي ، ومَنْ أَحَبَّ عُمَرَ فَقَدْ أَحَبَّنِي ، وإِنَّ اللهَ بَاهَى بِالنَّاسِ عَشِيَّة عَرَفَة عامَّة ، وبَاهَى بِعُمَر خَاصَّة**)[3] ..
- (**عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ سِرَاجُ أَهْلِ الْجَنَّةِ**)[4] ..
- (**إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ ، وهُوَ الفَارُوقُ : فَرَقَ اللهُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ والبَاطِلِ**)[5] ..
- (**رَحِمَ اللَّهُ عُمَرَ يَقُولُ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا ، تَرَكَهُ الْحَقُّ وَمَا لَهُ صَدِيقٌ**)[6] ..
- (**مَا فِي السَّمَاءِ مَلَكٌ إِلاَّ وهُوَ يُوَقِّرُ عُمَرَ ، ولاَ فِي الأَرْضِ شَيْطَانٌ إِلاَّ وهُوَ يفْرَقُ [7] مِنْ عُمَرَ**)[8] ..
- (**لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ ، فَإِنْ يَكُنْ مِنْ أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَعُمَرُ**)[9] .. والمحدَّث هو الملهم وهى درجة أقل من درجة الوحى ، فالوحى صريح ينــزل به « جبريل » على الرسل ، أما المحدَّث فهو مَنْ يُلقَى فى روعه

---

[1] رواه الترمذى كتاب المناقب .
[2] رواه الترمذى كتاب المناقب .
[3] رواه الطبرانى فى المعجم الأوسط .
[4] فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل .
[5] رواه ابن سعد فى الطبقات الكبرى .
[6] رواه الترمذى كتاب المناقب .
[7] يفرق : يخاف ويفزع .
[8] رواه ابن عساكر .
[9] رواه البخارى كتاب المناقب .

بالأمور وتحدثه الملائكة دون أن يراهم ، وهو الممنوح من الفِراسة ما يجعله ينطق بالأمور التي قد حدثت بعيدًا عنه و لم يشهدها فَيصْدُقُ في كل ما يُخبِر به ..

هذا .. وقد رُوِيَ عن « سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ » (رضي الله عنه) أنه قال : اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ [1] يُكَلِّمْنَهُ ، وَيَسْتَكْثِرْنَهُ [2] ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُمْنَ يَبْتَدِرْنَ الْحِجَابَ [3] ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) وَرَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَضْحَكُ ، فَقَالَ عُمَرُ : **أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ** .. قَالَ : (**عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللاَّتِي كُنَّ عِنْدِي ، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ**) .. قَالَ عُمَرُ : **فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ يَهَبْنَ** .. ثُمَّ قَالَ : **أَيْ عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ ، أَتَهَبْنَنِي وَلاَ تَهَبْنَ رَسُولَ اللَّهِ** (صلى الله عليه وسلم) ؟! .. قُلْنَ : نَعَمْ ، أَنْتَ أَفَظُّ ، وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) [4] .. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (**إِيهًا** [5] **يَا ابْنَ الْخَطَّابِ .. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا** [6] **قَطُّ إِلاَّ سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ**)[7] ..

وعَنْ « أَنَسٍ » (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (**دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ قَصْرًا مِنْ**

---

[1] هن من أزواجه (صلى الله عليه وسلم) . [2] يستكثرنه : يطلبن منه المزيد من النفقة .

[3] يبتدرن الحجاب : يتسارعن وراءه .

[4] لم يكن النبي (صلى الله عليه وسلم) فظًا ولا غليظًا ، وكان (صلى الله عليه وسلم) لا يواجه أحدًا بما يكره إلا في حق من حقوق الله ، وكان عمر يبالغ في الزجر عن المكروهات مطلقًا ، وطلب المندوبات ، فلهذا قال النسوة له ذلك .

[5] إيهًا : أى لا تبتدئنا بحديث ، وإيهَا : أى كف عن لومهن .

[6] الفجّ : هو الطريق الواسع بين جبلين . [7] رواه البخارى كتابي بدء الخلق والمناقب .

ذَهَبٍ ، قُلْتُ : لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ ؟ قَالُوا : لِشَابٍّ مِنْ قُرَيْشٍ – فَظَنَنْتُ أَنِّي أَنَا هُوَ – قَالُوا : لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ)[1] ..

وقد رُوِيَ أَنَّ « أَبَا هُرَيْرَةَ » (رضي الله عنه) قَالَ : بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّه (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ ، قُلْتُ : لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ ؟ قَالُوا : لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ .. فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ ، فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا**) .. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَبَكَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ثُمَّ قَالَ : **أَعَلَيْكَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغَارُ ..** [2]

وقد بشره النبى (صلى الله عليه وسلم) بالشهادة أكثر من مرة ، فحينما رجف جبل « أُحُد » وكان أبو بكر وعمر وعثمان معه ، قال له : (**اثْبُتْ أُحُدُ ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ** [3] ، **وَصِدِّيقٌ** [4] ، **وَشَهِيدَانِ** [5])[6] .. وكذلك حينما رجف « حِرَاء » وكان عليه العشرة : رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) ، وَأَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَعُثْمَانُ ، وَعَلِيٌّ ، وَطَلْحَةُ ، وَالزُّبَيْرُ ، وَسَعْدُ بن أَبِى وَقَّاص ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ ، قال (صلى الله عليه وسلم) : (**اثْبُتْ حِرَاءُ فَإِنَّهُ لَيسَ عَلَيْكَ إِلاَّ نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ**)[7] ..

وكما بشَّره النبى (صلى الله عليه وسلم) بالشهادة بشَّره كذلك بكمال الدين والعلم ، إذ يقول : (**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدْيَ ،**

---

[1] رواه أحمد باقي مسند المكثرين . [2] رواه البخارى كتاب التعبير . [3] هو الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

[4] هو أبو بكر (رضي الله عنه) . [5] هما عمر وعثمان (رضى الله عنهما) . [6] رواه البخارى كتاب المناقب .

[7] رواه الترمذى كتاب المناقب .

وَمِنْهَا مَا دُونَ ذَلِكَ ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ) ، قَالُوا : فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّه ؟ قَالَ : (**الدِّينَ**)[1] .. ثم يقول مرة أخرى : (**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ ، فَشَرِبْتُ مِنْهُ ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي** [2] **عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ**) ، قَالُوا : فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللَّه ؟ قال : (**الْعِلْمَ**)[3] ..

وعن « أَنس بْن مَالك » (رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) خَرَجَ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ ، فَصَلَّى الظُّهْرَ ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ ، فَذَكَرَ السَّاعَةَ ، وَذَكَرَ أَنَّ بَيْنَ يَدَيْهَا أُمُورًا عِظَامًا ، ثُمَّ قَالَ : (**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ فَلْيَسْأَلْ عَنْهُ ، فَوَاللَّهِ لاَ تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلاَّ أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ مَا دُمْتُ فِي مَقَامِي هَذَا**) .. قَالَ « أَنَسٌ » : فَأَكْثَرَ النَّاسُ الْبُكَاءَ ، وَأَكْثَرَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) أَنْ يَقُولَ : (**سَلُونِي**) .. فَقَالَ « أَنَسٌ » : فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ ، فَقَالَ : أَيْنَ مَدْخَلِي يَا رَسُولَ اللَّه ؟ قَالَ : (**النَّارُ**) .. فَقَامَ « عَبْدُ اللَّه بْنُ حُذَافَةَ » فَقَالَ : مَنْ أَبِي يَا رَسُولَ اللَّه ؟ قَالَ : (**أَبُوكَ حُذَافَةُ**) .. قَالَ : ثُمَّ أَكْثَرَ أَنْ يَقُولَ : (**سَلُونِي .. سَلُونِي**) .. فَبَرَكَ « عُمَرُ » عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ : **رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ** (صلى الله عليه وسلم) **رَسُولاً** .. قَالَ : فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّه (صلى الله عليه وسلم) حِينَ قَالَ عُمَرُ ذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّه (صلى الله عليه وسلم) : (**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَقَدْ عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ آنِفًا فِي عُرْضِ هَذَا الْحَائِطِ وَأَنَا أُصَلِّي ، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ**)[4] ..

---

[1] رواه البخارى كتاب الإيمان .

[2] فضلى : ما فضل من اللبن فى القدح .

[3] رواه البخارى كتاب التعبير .

[4] رواه البخارى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة .

وعن « شقيق » قال : سمعتُ « حُذَيْفَة بن اليمان » قال : (**كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ عُمَرَ** (رضي الله عنه) **فَقَالَ : أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ** (صلى الله عليه وسلم) **فِي الْفِتْنَةِ ؟ قُلْتُ : أَنَا ، كَمَا قَالَهُ .. قَالَ : إِنَّكَ عَلَيْهِ – أَوْ عَلَيْهَا – لَجَرِيءٌ .. قُلْتُ : فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ ، وَمَالِهِ ، وَوَلَدِهِ ، وَجَارِهِ تُكَفِّرُهَا الصَّلاَةُ ، وَالصَّوْمُ ، وَالصَّدَقَةُ ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ .. قَالَ : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ ، وَلَكِنِ الْفِتْنَةُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَا يَمُوجُ الْبَحْرُ .. قَالَ : لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا بَأْسٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا .. قَالَ : أَيُكْسَرُ أَمْ يُفْتَحُ ؟ .. قَالَ : يُكْسَرُ .. قَالَ : إِذًا لاَ يُغْلَق أَبَدًا**) .. قُلْنَا : أَكَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ الْبَابَ ؟ .. قَالَ : (**نَعَمْ ، كَمَا أَنَّ دُونَ الْغَدِ اللَّيْلَةَ .. إِنِّي حَدَّثْتُهُ بِحَدِيثٍ لَيْسَ بِالأَغَالِيطِ**) .. فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَ حُذَيْفَةَ ، فَأَمَرْنَا « مَسْرُوقًا » فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : الْبَابُ عُمَرُ .. [1]

ويقول « عمر » (رضي الله عنه) عن نفسه : وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلاَثٍ : فَقُلْتُ : **يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى** .. فَنَزَلَتْ : (وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى)[2] .. وَآيَةُ الْحِجَابِ : قُلْتُ : **يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ ، فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ** .. فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ [3] .. وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) فِي الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ لَهُنَّ : **عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ ..** فَنَزَلَتْ : (عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ)[4] .. [5]

---

[1] رواه البخارى كتابى مواقيت الصلاة ، والمناقب . [2] سورة البقرة آية ١٢٥ .
[3] سورة الأحزاب آية ٥٣ . [4] سورة التحريم آية ٥ . [5] رواه البخارى كتاب الصلاة .

وكذلك لَمَّا نزل قول الله عَزَّ وجَلَّ : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ)[1] ، قال « عمر » : **تَبَارَكَ الله أَحْسَنُ الْخَالِقِين** ، فنزلت : (فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ)[2] ..

ولَمَّا استشار النبى (ﷺ) أصحابه فى شأن أُسَارَى غزوة « بَدْر » أشار « عمر » بقتل الأسرى ، بينما رفض « أبو بكر » وأشار بأن يؤخذ منهم فداءٌ يستعان به فى القتال ، فنَزَل قول الله عز وجل مؤيدًا لرأى عمر : (مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ)[3] .. [4]

ورُوِىَ أنه (رضي الله عنه) قال : **اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنا فِي الْخمْرِ بَيانًا شَافِيًا** .. فَنَزَلَ قول الله عز وجَلَّ : (يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ)[5] ، فَدُعِيَ عُمَرُ (رضي الله عنه) فَقُرِئَتْ عَلَيْه ، فَقَالَ : **اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنا فِي الْخمْرِ بَيانًا شَافِيًا** .. فَنَزَلَتِ الآيَةُ الَّتي فِي سُورَةِ النِّسَاءِ : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ)[6] ، فَكَانَ مُنَادي رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) إِذَا أَقَامَ الصَّلاَةَ نَادَى أَنْ لاَ يَقْرَبَنَّ الصَّلاَةَ سَكْرَانُ .. فَدُعِيَ عُمَرُ

---

(1) سورة المؤمنون الآيات من ١٢ : ١٤ .

(2) رواه الطبراني فى المعجم الأوسط .

(3) سورة الأنفال آية ٦٧ .

(4) رواه أبو داود كتاب الجهاد .

(5) سورة البقرة آية ٢١٩ .

(6) سورة النساء آية ٤٣ .

(رضي الله عنه) فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : **اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شَافِيًا** .. فَنَزَلَتِ الآيَةُ الَّتِي فِي الْمَائِدَةِ [1] ، فَدُعِيَ عُمَرُ (رضي الله عنه) فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ فَلَمَّا بَلَغَ : (فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ) قَالَ عُمَرُ (رضي الله عنه) : **انْتَهَيْنَا .. انْتَهَيْنَا** .. [2]

ويقول « ابْنُ عُمَرَ » (رضى الله عنهما) : لَمَّا تُوُفِّيَ « عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ [3] » جَاءَ ابْنُهُ « عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ » إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ يُكَفِّنُ فِيهِ أَبَاهُ ، فَأَعْطَاهُ ، ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ ، فَقَامَ « عُمَرُ » فَأَخَذَ بِثَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) ، فَقَالَ : **يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تُصَلِّي عَلَيْهِ وَقَدْ نَهَاكَ رَبُّكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ !** .. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : **إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللَّهُ فَقَالَ (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً)[4] وَسَأَزِيدُهُ عَلَى السَّبْعِينَ** .. قَالَ : **إِنَّهُ مُنَافِقٌ !!** .. قَالَ : فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : (وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ) [5] .. يقول « عُمَرُ » : **فَعَجِبْتُ بَعْدُ مِنْ جُرْأَتِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ** .. [6]

ودارت الأيام وجاءت خلافة « أبى بكر » ، وحين مرض (رضي الله عنه) دعا « عبد الرحمن بن عوف » وقال له : **أَخْبِرْنِى عَنْ عُمَر بن الْخَطَّاب** .. فقال « عبد

---

[1] الآيتان ٩٠ ، ٩١ .
[2] رواه أحمد مسند العشرة المبشرين بالجنة .
[3] عبد الله بن أبي ابن سلول هو شيخ المنافقين .
[4] سورة التوبة آية ٨٠ .
[5] سورة التوبة آية ٨٤ .
[6] رواه البخارى كتاب تفسير القرآن .

الرحمن » : **ما تَسْأَلُنِى عن أَمْرٍ إلا وأَنْتَ أعْلَم به مِنِّى !** قال « أبو بكر » : **وإن !** [1] فقال « عبد الرحمن » : **هو والله أفْضَلُ مِنْ رَأْيِكَ فِيه** .. ثم دعا « عثمان بن عفان » فقال : **أَخْبِرْنِى عَنْ عُمَر** .. فقال : **أنت أَخْبَرنا به !** فقال : **عَلَى ذلك يا أبا عبد الله ؟** [2] فقال « عثمان » : **اللهم علمى به أن سَرِيرَته خير من عَلاَنِيَته ، وأن ليس فينا مثله** .. فقال « أبو بكر » : **يَرْحَمُكَ الله ، والله لو تَرَكْتُهُ مَا عَدَوْتُك** [3].. وشاور معهما « سعيد بن زيد » و« أُسَيْد بن حُضَيْر » وغيرهما من المهاجرين والأنصار ، فقال « أُسَيْد » : **اللهم .. أعْلَمُه الْخيرَة بعدك ، يَرْضَى للرِّضَا ، ويَسْخَطُ للسَّخَطِ ، الذى يُسِرُّ خير مِنَ الذى يُعْلن ، ولَنْ يَلِيَ هَذَا الأَمْر أَحَدٌ أَقْوَى عَلَيْه مِنْهُ** .. وسمع بعض أصحاب رسول الله (ﷺ) بدخول « عبد الرحمن » و« عثمان » على « أبي بكر » وخلوتـــهما به ، فدخلوا على « أبي بكر » ، فقال له قائل منهم : **مَا أَنْتَ قَائِل لِرَبِّكَ إِذَا سَأَلَكَ عَنِ اسْتِخْلافِكَ عُمَرَ عَلَيْنَا ، وقَدْ تَرَى غِلْظَتَهُ ؟** .. فقال « أبو بكر » : **أَجْلِسُونِي ، أَبِالله تُخَوِّفُونَنِي ؟ خَابَ مَنْ تَزَوَّدَ مِنْ أَمْرِكُمْ بِظُلْمٍ ، أقول : اللَّهُمَّ ، اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْهِمْ خَيْرَ أَهْلِك .. أبْلِغْ عني ما قُلْتُ لكَ مَنْ وَرَاءك** .. ثم اضطجع ، ودعا « عثمان بن عفان » فقال : اكتب : (**بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيم ، هَذَا مَا عَهِدَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِى قُحَافَة فِى آخِرِ عَهْدِهِ بِالدُّنْيَا خَارِجًا مِنْهَا ، وعِنْدَ أَوَّل عَهْدِهِ**

---

[1] أى : وإن كان الأمر كذلك فإنى أستشيرك .

[2] أى : هل أنت موافق على رأيي فيه ؟ .

[3] أى : ما تجاوزتك إلى غيرك .

بالآخِرَة دَاخلاً فِيهَا ، حَيْثُ يُؤْمِن الكَافِر ، ويُوقِن الفَاجِر ، ويَصْدُق الكَاذِب ، إنَّنِى اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ بَعْدِى عُمَرَ بْن الْخَطَّاب ، فَاسْمَعُوا لَهُ وأَطِيعُوهُ ، وإنِّى لَمْ آلُ [1] **الله ورَسُوله ودِينه ونَفْسِى وإيَّاكُم خَيْرًا ، فَإنْ عَدَلَ فَذَلِكَ ظَنِّى بِه وعِلْمِى فِيهِ ، وإنْ بَدَّلَ فَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا اكْتَسَبَ ، والْخَيْرَ أَرَدْتُ ، ولا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ، وسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَىَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُون .. والسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله)** .. ثم أمر بالكتاب فختمه ، ثم أمره فخرج بالكتاب مختومًا ومعه « عمر بن الخطاب » ، و« أسد بن سعية القرظي » ، فقال « عثمان » للناس : **أتبايعون لِمَنْ في هذا الكتاب** ؟ فقالوا : **نعم** ، وقال بعضهم : **قد علمنا به وهو عمر ..** فأقروا بذلك جميعًا ورضوا به وبايعوا .. [2]

ولقد كان « عمر بن الخطاب » لغزًا ، إذ كان فى الجاهلية شديدًا جدًّا ولَمَّا دخل فى الإسلام كان رحيمًا جدًّا ، وكان قبل الخلافة بالغ القوة ، وبعد الخلافة بالغ الرقة .. ولقد ضرب مثلاً فى الزهد لم يضربه خليفة من بعده ، ففى فترة خلافته – وكانت عَشْرَ سنوات وستة أشهر – فتح مصر والعراق والشام وأذربيجان وأصفهان وبلاد فارس وبلاد الروم والحبشة واليمن وأرمينيا .. وغيرها ، وحُمِلَت إليه كنوز كسرى وكنوز هرقل ، وكثر المال وكثرت الغنائم ، وكانت الفرصة سانحة لكى يستمتع بما أفاء الله عليه ولكنه كان يحبس نفسه عن ذلك ، ويتحلَّى بأعلى مقامات الزهد والورع ..

---

[1] لم أقصر فى اختيار الخير .

[2] رواه ابن عساكر ، وذكره ابن الأثير فى أُسد الغابة .

فعن « زَيْد بن أَسْلَمَ » عن أبيه قال : أصاب الناس سنة غَلاَ فيها السَّمْنُ ، وكان عمر (رضي الله عنه) يأكله ، فلما قَلَّ قال : (**لا آكُلُهُ حَتَّى يَأْكُلَهُ النَّاسُ**) ، فكان يأكل الزيت فَيُقَرْقِر بَطْنه ، فيقول : (**قَرْقِرْ مَا شِئْتَ ، فوالله لا تَأْكُلُ السَّمْنَ حَتَّى يَأْكُلَهُ النَّاسُ**) .. ثم قال لي : (**اكْسِرْ حَرَّهُ عَنِّي بِالنَّارِ**) .. فكنت أطبخه له فيأكله [1] ..

ويقول « جَابِر بن عبد الله » : رأى عُمَرُ بن الْخَطَّاب لَحْمًا في يدي فقال : **ما هذا يا جابر !!** .. قلت : **اشْتَهَيْتُ لَحْمًا فَاشْتَرَيتُه** .. فقال « عُمَر » : **أوكُلَّمَا اشْتَهيتَ اشْتَريتَ يا جابر !! ما تخاف الآية يا جابر : (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا)**[2] .. [3]

ويروى أَنَّ « عُمَرَ » (رضي الله عنه) أُتِىَ بِفَرْوَةِ « كِسْرَى » [4] ، فَوُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْه ، وَفِى الْقَوْمِ « سُرَاقَةُ بْنُ مَالك بْنِ جُعْشُمٍ » ، فَأَلْقَى إِلَيْه سِوارَىْ « كسْرَى بْنِ هُرْمُزَ » ، فَجَعَلَهُمَا فِى يَدِه فَبَلَغَا مَنْكِبَيْه ، فَلَمَّا رَآهُمَا فِى يَدَىْ « سُرَاقَةَ » قَالَ : **(الْحَمْدُ للَّه ، سِوَارَا كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ فِى يَد سُرَاقَةَ بْنِ مَالك بْنِ جُعْشُمٍ أَعْرَابِىٌّ مِنْ بَنِى مُدْلِجٍ)** .. ثُمَّ قَالَ : **(اللَّهُمَّ إِنِّى قَدْ عَلمْتُ أَنَّ رَسُولَكَ (صلى الله عليه وسلم) كَانَ يُحبُّ أَنْ يُصِيبَ مَالاً فَيُنْفِقَهُ فِى سَبِيلِكَ ، وَعَلَى عِبَادكَ .. وَزَوَيْتَ [5] ذَلِكَ عَنْهُ نَظَرًا مِنْكَ لَهُ ، وَخِيَارًا .. اللَّهُمَّ إِنِّى قَدْ عَلمْتُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ (رضي الله عنه) كَانَ يُحِبُّ أَنْ يُصِيبَ مَالاً فَيُنْفِقَهُ فِى سَبِيلِكَ ، وَعَلَى عِبَادِكَ .. فَزَوَيْتَ ذَلِكَ عَنْهُ**

---

[1] رواه البيهقى في سننه . [2] سورة الأحقاف آية ٢٠ .

[3] الرياض النضرة فى مناقب العشرة للمحب الطبرى .

[4] أى بثروته وكنوزه ، و« كسرى » : هو مَلك الفُرْس . [5] زويت : منعت .

نَظَرًا منْكَ لَهُ وَخيَارًا .. اللَّهُمَّ إنِّى أَعُوذُ بكَ أَنْ يَكُونَ هَذَا مَكْرًا منْكْ بعُمَرَ) ..
ثُمَّ تلاَ : (أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ)[1] .. [2]

وفى أحد الأيام أخذ (رضي الله عنه) ينادى فى الناس : (**الصَّلاَةُ جَامعَةٌ**) .. فلما اجتمع الناس وكثروا ، صعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على نبيه ، ثم قال : (**أيها الناس ، لَقَدْ رَأَيْتُني أَرْعَى على خالات لي من بَنِي مَخْزُومٍ فيقبضن لي القبضة من التَّمْرِ أو الزَّبِيبِ** [3] **فأظل يومي .. وأي يوم !**) .. ثم نزل ، فقال له « عبد الرَّحْمَن بن عَوْف » : ما زدت على أن قَمَأْتَ [4] نفسك !! قال : (**وَيْحَك يا ابن عوف ! إني خَلَوْت فَحَدَّثَتْني نَفْسِي فقالت : أنت أمير المؤمنين ، فَمَنْ ذَا أَفْضَلُ مِنْك ؟ فَأَرَدْتُ أَنْ أُعَرِّفَهَا نَفْسَهَا**)[5] ..

ويدخل عليه أعرابى يومًا فيقول : (**يَا عمر الخير جُزيت الجنة .. جهز بُنَياتى واكْسُهنّه ..أقسم بالله لَتفعْلنَّه**) .. قال : (**فإن لم أفعل يكون ماذا يا أعرابى ؟**) .. قال : (**أقسم بالله لأَمْضينّه**) .. قال : (**فإن مضيتَ يكون ماذا يا أعرابى ؟**) .. قال : (**واللهِ عن حالى لَتُسأَلَنَّه .. ثم تكون المسألات عِنَّهْ** [6] **.. والواقف المسئول بينهنه ، إمَّا إلى نارٍ أو إلى جَنَّهْ**) .. فبكى « عمر » حتى اخضلت لحيته

---

(١) سورة المؤمنون الآيتان ٥٥ ، ٥٦ . (٢) رواه البيهقي فى سننه . (٣) وذلك مقابل رعيه أغنامهن .
(٤) قمأت : أذللتَ وصغّرتَ . (٥) رواه ابن عساكر ، وذكره ابن الأثير فى أُسد الغابة .
(٦) أُسقطت نقطتا التاء المربوطة لمجيئها مسكنّة آخر القافية .

بدموعه ، ثم قال : (**يا غلام ، أعطه قميصى هذا لذلك اليوم ، لا لِشِعْرِه .. والله ما أملك قميصا غيره**)[1] ..

وعن « زَيْد بن أَسْلَمَ » عن أبيه أن « عُمَر بن الْخَطَّاب » طاف ليلة فإذا هو بامرأة فى جوف دار لها وحولها صبيان يبكون ، وإذا قِدْرٌ على النار قد ملأتـــها ماء ، فدنا « عُمَر بن الْخَطَّاب » من الباب فقال : **يا أَمَةَ الله ، ما بكاء هؤلاء الصبيان** ؟ فقالت : بكاؤهم من الجوع .. قال : **فما هذه القدر التى على النار** ؟ فقالت : **قد جعلت فيها ماءً أُعَلِّلُهُمْ**[2] **بـــها حتى يناموا (أوهمهم أن فيها شيئًا من دقيق وسمن)** .. فجلس عمر فبكى ، ثم جاء إلى دار الصدقة فأخذ غِرَارَة[3] ، وجعل فيها شيئًا من دقيق وسمن وشحم وتمر وثياب ودراهم ، حتى ملأ الغِرَارَة ، ثم قال : **يا أَسْلَمُ ، احْمِلْ عَلَيَّ** .. فقلت : **يا أمير المؤمنين ، أنا أحمله عنك !** فقال لى : **لا أُمَّ لك يا أَسْلَم ، أنا أَحْمِلُهُ لأَنِّى أنا الْمَسْئُول عنهم فى الآخرة** .. قال : فحمله على عنقه حتى أتى به منـــزل المرأة .. قال : وأخذ القدر فجعل فيها شيئًا من دقيق وشيئًا من شحم وتمر ، وجعل يحركه بيده وينفخ تحت القدر .. قال « أَسَلَمُ » : وكانت لحيته عظيمة ، فرأيت الدخان يخرج من خلال لحيته حتى طبخ لهم ، ثم جعل يغرف بيده ويطعمهم حتى شبعوا ، ثم خرج وربض بحذائِهم[4] كأنه سَبْع ، وخِفْتُ منه أن أكلمه ، فلم يزل كذلك حتى لعبوا وضحكوا ، ثم قال : **يا أسَلَمُ ، أتدرى لم ربضت بحذائِهم** ؟ .. قلت : **لا يا أمير المؤمنين !** .. قال : **رأيتهم**

---

(1) رواه ابن عساكر .
(2) أعللهم : ألهيهم .
(3) الغرارة : كيس من الخيش أو الصوف أو الشعر .
(4) ربض بحذائهم : بَرَكَ بجانبهم .

يكون فكرهت أن أذهب وأدعهم حتى أراهم يضحكون ، فلما ضحكوا طابت نفسى .. (١)

ويروى مولى لـــ « عُثْمَان بن عَفَّان » (رضي الله عنه) فيقول : بينا أنا مع عُثْمَان في مال له بالعالية (٢) في يوم صَائِفٍ (٣) إذ رأى رجلاً يَسُوقُ بِكْرَيْنِ (٤) ، وعلى الأرض مثل الفراش من الْحَرِّ ، فقال : (**مَا عَلَى هَذَا لَوْ قَامَ بِالْمَدِينَةِ حَتَّى يَبْرُدَ ثُمَّ يَرُوحُ !!**) .. ثم دَنَا الرجل فقال : (**انْظُرْ مَنْ هَذَا**) .. فنظرت فقلت : **أرَى رَجُلاً مُعَمَّمًا بِرِدَائِهِ يَسُوقُ بِكْرَيْنِ** .. ثم دنا الرجل فقال : (**انْظُرْ**) .. فنظرت فإذا عُمَر بن الْخَطَّاب فقلت : **هذا أمير المؤمنين** .. فقام عُثْمَان فأخرج رأسه من الباب فآذاه لَفْحُ السَّمُومِ (٥) ، فعاد رأسه حتى حاذاه فقال : (**مَا أَخْرَجَك هَذِهِ السَّاعَةَ ؟**) .. فقال : (**بِكْرَانِ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ تَخَلَّفَا** (٦) ، **وَقَدْ مُضِيَ بِإِبِلِ الصَّدَقَةِ فَأَرَدْت أَنْ أَلْحِقَهُمَا بِالْحِمَى** (٧) ، **وَخَشِيت أَنْ يَضِيعَا فَيَسْأَلَنِي اللَّهُ عَنْهُمَا**) .. فقال « عثمان » : (**هَلُمَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْمَاءِ والظِّل ، ونَكْفِيك**) .. فقال : (**عُدْ إِلَى ظِلِّك**) .. فقلت : (**عِنْدَنَا مَنْ يَكْفِيك**) .. فقال : (**عُدْ إِلَى ظِلِّك**) .. ومضى ، فقال « عثمان » : (**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْقَوِيِّ الأَمِينِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا**) .. فَعَادَ إِلَيْنَا فَأَلْقَى نَفْسَهُ (٨) .. (٩)

---

(١) رواه الدينوري ، وذكره ابن الأثير فى أسد الغابة . (٢) مال له بالعالية : أرض له فى أعالى المدينة .
(٣) صائف : شديد الحر . (٤) بكرين : جملين صغيرين . (٥) السموم : الريح الحارة .
(٦) تخلفا : تأخرا عن بقية الإبل . (٧) الحمى : مرعى الإبل . (٨) أى فرجع عثمان فجلس فى الظل .
(٩) رواه الشافعى فى مسنده ، وذكره ابن الأثير فى أُسد الغابة .

وكان (رضي الله عنه) من فرط خوفه من المسئولية يقول : (**لَوْ مَاتَتْ شَاةٌ عَلَى شَطِّ الفُرَاتِ ضَائِعَةً لَظَنَنْتُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى سَائِلِي عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَة**)[1] ..

وكان (رضي الله عنه) **وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّه** [2] .. ويحكى « الشَّعْبِيّ » فيقول : خَطَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ (رضي الله عنه) النَّاسَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْه ، وَقَالَ : (**أَلاَ لاَ تُغَالُوا فِي صَدَاقِ** [3] **النِّسَاءِ ، فَإِنَّهُ لاَ يَبْلُغُنِي عَنْ أَحَدٍ سَاقَ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ سَاقَهُ رَسُولُ اللَّهِ** (صلى الله عليه وسلم) **أَوْ سِيقَ إِلَيْهِ إِلاَّ جَعَلْتُ فَضْلَ ذَلِكَ** [4] **فِي بَيْتِ الْمَالِ**) .. ثُمَّ نَزَلَ ، فَعَرَضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالَتْ : **يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَكِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ قَوْلُكَ** ؟.. قَالَ : (**بَلْ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى ، فَمَا ذَاكَ** ؟) .. فَقَالَتْ : **نَهَيْتَ النَّاسَ آنِفًا** [5] **أَنْ يُغَالُوا فِي صَدَاقِ النِّسَاءِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِه** : (**وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا**)[6] .. فَقَالَ عُمَرُ (رضي الله عنه) : (**كُلُّ أَحَدٍ أَفْقَهُ مِنْ عُمَرَ**) مَرَّتَيْنِ – أَوْ ثَلاَثًا – ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ لِلنَّاسِ : (**إِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ أَنْ تُغَالُوا فِي صَدَاقِ النِّسَاءِ ، أَلاَ فَلْيَفْعَلْ رَجُلٌ فِي مَالِهِ مَا بَدَا لَهُ**)[7] ..

وقد أُعطى « عمر » (رضي الله عنه) من الفِراسة ما لم يحظ بمثله غيره ، فقد رَوَى « ابن عمر » (رضى الله عنهما) عن أبيه أنه كان يخطب يوم الجمعة على منبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فعرض له [8] في خطبته أن قال : (**يا سَارِيَة بن حِصْن .. الْجَبَلَ الْجَبَلَ .. مَنِ اسْتَرْعَى الذِّئْبَ ظَلَم**) .. فتلفت الناس بعضهم إلى بعض ، فقال

---

[1] رواه أبو نعيم فى حلية الأولياء . [2] رواه البخارى كتاب تفسير القرآن .
[3] الصداق : المهر . [4] فضل ذلك : أى ما زاد على ذلك . [5] آنفا : قبل قليل .
[6] سورة النساء آية ٢٠ . [7] رواه البيهقي فى سننه . [8] عرض له : بدا وظهر له فى وقت قصير .

« على بن أبي طالب » : **صدق ، والله ليخرجن مما قال** .. فلما فرغ من صلاته قال له « علي » : **ما شيء سَنَحَ لك في خطبتك ؟!** قال : **وما هو** ؟ قال : قولك : (**يا سَارِية .. الْجَبَلَ الْجَبَلَ .. مَنِ اسْتَرْعَى الذِّئْبَ ظَلَم**) .. قال : **وهل كان ذلك مني ؟** قال : **نعم ، وجميع أهل المسجد قد سمعوه** .. قال : **إنه وقع في خَلَدي [1] أن المشركين هزموا إخواننا ، فركبوا أكتافهم ، وأنَّهم يمرون بجبل ، فإن عَدَلُوا [2] إليه قاتلوا مَنْ وجدوا وقد ظفروا ، وإن جاوزوا هلكوا ، فخرج مني ما تزعم أنك سمعته** .. قال : فجاء البشير بالفتح بعد شهر ، فذكر أنه سمع في ذلك اليوم في تلك الساعة حين جاوزوا الجبل صوت يشبه صوت عمر ، يقول : (**يا سَارِيَة بن حِصْن .. الْجَبَلَ الْجَبَلَ**) ، قال : فعَدَلْنا إليه ، ففتح الله علينا .. [3]

ولَمَّا فُتحت « مصر » أَتَى أَهْلُهَا إِلَى « عَمْرو بْن الْعَاص » (رضي الله عنه) حين دَخَلَ « بَؤُونَة » مِنْ أَشْهُر الْقِبْط فقالوا له : **أَيّهَا الأَمير ، إِنَّ لنيلنا هَذَا سُنَّة لاَ يَجْرِي إِلاَّ بِهَا** .. فقال لهم : **وَمَا ذَاكَ ؟** .. فقالوا : **إِذَا كَانَ ثِنْتَا عَشْرَة لَيْلَة تَخْلُو مِنْ هَذَا الشَّهْر عَمَدْنَا إِلَى جَارِيَة بِكْر بَيْن أَبَوَيْهَا ، فَأَرْضَيْنَا أَبَوَيْهَا ، وَجَعْلَنَا عَلَيْهَا مِنَ الْحُلِيّ وَالثِّيَاب أَفْضَل مَا يَكُون ، ثُمَّ أَلْقَيْنَاهَا فِي هَذَا النِّيل** .. فقال لهم « عَمْرو » (رضي الله عنه) : (**إِنَّ هَذَا أَمْر لاَ يَكُون أبدًا فِي الإِسْلاَم ؛ وَإِنَّ الإِسْلاَم يَهْدِم مَا كان قَبْله**) .. فأقاموا « بَؤُونَة » و« أبيب » و« مسرى » ، والنيل لا يَجْرِي قليلاً ولا كثيرًا ، حتى هَمُّوا بِالْجَلاَءِ ، فلما رأى ذلك « عَمْرو » (رضي الله عنه) ، كتب إلى « عُمَر

[1] خَلَدي : رُوعي وقلبي . [2] عدلوا : اتجهوا . [3] أسد الغابة لابن الأثير .

ابْن الْخَطَّاب » (رضي الله عنه) بذلك ، فكتب : (**إنَّك قَدْ أَصَبْتَ بِالَّذِي فَعَلْتَ ، وإن الإسلام يَهْدِم مَا كان قَبْله**) ، وبعث بطاقة في داخل كتابه ، وكتب إلى « عَمْرو » : (**إنِّي قَدْ بَعَثْتُ إلَيْك ببِطَاقَة في دَاخل كِتَابي إلَيْك ، فَأَلْقِهَا في النِّيل**) .. فلما قَدمَ كتَاب « عُمَر » (رضي الله عنه) على « عَمْرو بْن الْعَاص » (رضي الله عنه) أخذ البطَاقَة ففَتَحهَا ، فَإذَا فيهَا : (**منْ عَبْد الله عُمَر أَمير الْمُؤْمنين ، إلَى نيل أَهْل مصْر ، أَمَّا بَعْد .. فَإنْ كُنْتَ إنما تَجْرِي منْ قبلك فَلاَ تَجْرِ ، وَإنْ كَانَ الله الْوَاحد الْقَهَّار يُجْرِيك فَنَسْأَل الله الْوَاحدَ الْقَهَّارَ أَنْ يُجْرِيَكَ**) .. فألقى البطاقة في النيل قبل الصليب بيوم [1] ، وقد تَهَيَّأَ أهل مصر للجلاء والخروج منها ، لأنه لا تقوم مصلحتهم فيها إلا بالنيل .. فلما ألقى البطاقة أصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله ستَّة عَشَر ذرَاعًا في ليلة واحدة ، وقَطَع الله تعالى تلك السُّنَّة السُّوء عن أهل مصر إلى اليوم .. [2]

وعن « عبد الله بن مسعود » (رضي الله عنه) قال : (**كان إسْلاَمُ عُمَر فَتْحًا ، وكانت هجْرَتُهُ نَصْرًا ، وكانت إمَارَتُهُ رَحْمَةً**)[3] ..

ويقول « حذيفة بن اليمان » (رضي الله عنه) : (**كَانَ الإسْلاَمُ في زَمَان عُمَرَ كَالرَّجُل الْمُقْبل لاَ يَزْدَادُ إلاَّ قُرْبًا ، فَلَمَّا قُتلَ عُمَرُ كَانَ كَالرَّجُل الْمُدْبر لاَ يَزْدَادُ إلاَّ بُعْدًا**)[4] ..

ويقول « على بن أبى طالب » (كرم الله وجهه) : (**إنَّ اللَّهَ جَعَلَ أَبَا بَكْرٍ ،**

---

[1] يوم الصليب هو يوم عيد عند الأقباط الشرقيين .
[2] رواه ابن عساكر ، وذكره القرطبى فى تفسير سورة الشعراء آية ٥٧ .
[3] رواه ابن سعد فى الطبقات الكبرى . [4] رواه الحاكم فى المستدرك .

وعُمَرَ حُجَّةً عَلَى مَنْ بَعْدَهُمَا منَ الْوُلاَة إِلَى يَوْمِ الْقيَامَة ، فَسَبَقَا والله سَبْقًا بَعيدًا ، وأَتْعَبَا والله مَنْ بَعْدَهُمَا إِتْعَابًا شَديدًا ، فَذكْرُهُمَا حُزْنٌ للأُمَّة ، وطَعْنٌ عَلَى الأَئِمَّة)[1] ..

وفي آخر حجة حجها « عُمَرُ » (رضي الله عنه) ولَمَّا صَدَرَ منْ « منًى » أَنَاخَ[2] بالأَبْطَحِ ثُمَّ كَوَّمَ كَوْمَةً منَ البَطْحَاء[3] ، فألْقَى عَلَيْهَا طَرَفَ ردَائه ، وَاسْتَلْقَى ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ : (**اللَّهُمَّ كَبرَتْ سنِّي ، وَضَعُفَتْ قُوَّتي ، وَانْتَشَرَتْ رَعِيَّتي ، فَاقْبِضْني إِلَيْكَ غَيْرَ مُضَيِّعٍ ، وَلاَ مُفَرِّط**)[4] ..

وقد رُوِىَ أنه (رضي الله عنه) قال : (**اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ ، وَاجْعَلْ مَوْتِي فِي بَلَدِ رَسُولِكَ ﷺ**)[5] ..

وفى يَوْمِ الْجُمُعَة من شهر « ذي الْحجَّة » قَامَ (رضي الله عنه) خَطيبًا ، فَحَمدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْه ، وَذَكَرَ نَبيَّ اللَّه (ﷺ) ، وَأَبَا بَكْرٍ (رضي الله عنه) ، ثُمَّ قَالَ : (**إِنِّي رَأَيْتُ رُؤْيَا كَأَنَّ ديكًا نَقَرَنِي نَقْرَتَيْنِ .. وَلاَ أُرَى ذَلكَ إِلاَّ لحُضُورِ أَجَلي .. وَإِنَّ نَاسًا يَأْمُرُونَنِي أَنْ أَسْتَخْلفَ ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَكُنْ لِيُضيعَ خلاَفَتَهُ وَدينَهُ ، وَلاَ الَّذي بَعَثَ به نَبيَّهُ (ﷺ) .. فَإِنْ عَجلَ بِي أَمْرٌ ، فَالْخلاَفَةُ شُورَى فِي هَؤُلاَءِ الرَّهْطِ السِّتَّةِ الَّذينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ ، فَأَيُّهُمْ بَايَعْتُمْ لَهُ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا .. وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ رِجَالاً سَيَطْعَنُونَ فِي هَذَا الأَمْرِ ، وَإِنِّي**

(1) أُسد الغابة لابن الأثير . (2) أناخ : أبرك جمله . (3) البطحاء : صغار الحصى .
(4) رواه مالك فى الموطأ . (5) رواه البخارى كتاب الحج .

قَاتَلْتُهُمْ بِيَدِي هَذِهِ عَلَى الإِسْلاَمِ ، فَإِنْ فَعَلُوا فَأُولَئِكَ أَعْدَاءُ اللَّهِ الْكَفَرَةُ الضُّلاَّلُ)[1] .. وهؤلاء الستة هم : « عُثَمَان بن عَفَّان » و« عليّ بن أبي طَالِب » و« طَلْحَة بن عُبَيْد الله » و« الزُّبَيْر بن العَوَّام » و« عبد الرَّحْمَن بن عَوْف » و« سَعْد بن أبي وَقَّاص » ..

وكان « عمر » (رضي الله عنه) لا يترك أحدًا من العجم يدخل المدينة ، فكتب « المغيرة بن شعبة » إلى « عمر » أن عندي غلامًا نجارًا نقاشًا حدادًا ، فيه منافع لأهل المدينة ، فإن رأيتَ أن تأذن لي أن أرسل به فعلت .. فأذن له ، وكان قد جعل عليه كل يوم درهمين ، وكان يُدعى « أبا لؤلؤة » ، وكان مَجُوسيًّا في أصله ، فلبث ما شاء الله ، ثم إنه أتى عمر يشكو إليه كثرة خَرَاجه [2] ، فقال له « عمر » : **ما تحسن من الأعمال ؟** .. قال : **نجار نقاش حداد** .. فقال « عمر » : **ما خَرَاجك بكبير في كُنْه ما تحسن من الأعمال** [3] .. فغضب العبد وقال : **وَسِعَ النَّاسَ كَلَّهم عَدْلُه غيري** .. فعزم على قتله ، فاصطنع له خنجرًا له رأسان ، وشحذه وسَمَّه .. وقيل : إن عمر قال لـــ « أبي لؤلؤة » : **ألا تصنع لنا رَحًى** [4] ؟ قال : **بلى ، اصنع لك رَحًى يتحدث بِهَا أهل الأمصار** .. ففزع « عمر » من كلمته ، و« عليّ » معه ، فقال « عليّ » : **إنه يتوعدك يا أمير المؤمنين !** [5]

وتمضي أيام ويخرج « عمر » (رضي الله عنه) لصلاة الفجر ، وتحدث الفاجعة ..

---

(1) رواه أحمد مسند العشرة المبشرين بالجنة . (2) خراجه : ما فرضه مَالِكُه عليه مقابل عمله عند الغير .
(3) رواه عبد الرزاق فى مصنفه . (4) الرَّحى : الطاحونة . (5) أُسد الغابة لابن الأثير .

ويحكي « عَمْرو بْن مَيْمُونٍ » فيقول : إِنِّي لَقَائِمٌ [١] مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ (رضي الله عنه) إِلاَّ « عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ » غَدَاةَ أُصِيبَ ، وَكَانَ إِذَا مَرَّ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ قَالَ : **اسْتَوُوا** .. حَتَّى إِذَا لَمْ يَرَ فِيهِنَّ خَلَلاً تَقَدَّمَ فَكَبَّرَ ، وَرُبَّمَا قَرَأَ سُورَةَ « يُوسُفَ » أَوِ « النَّحْلَ » أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ فِي الرَّكْعَةِ الأُولَى حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ ، فَمَا هُوَ إِلاَّ أَنْ كَبَّرَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : (**قَتَلَنِي – أَوْ أَكَلَنِي – الْكَلْبُ**) حِينَ طَعَنَهُ ، فَطَارَ الْعِلْجُ [٢] بِسِكِّينٍ ذَاتِ طَرَفَيْنِ لاَ يَمُرُّ عَلَى أَحَدٍ يَمِينًا وَلاَ شِمَالاً إِلاَّ طَعَنَهُ ، حَتَّى طَعَنَ ثَلاَثَةَ عَشَرَ رَجُلاً ، مَاتَ مِنْهُمْ سَبْعَةٌ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ طَرَحَ عَلَيْهِ بُرْنُسًا [٣] ، فَلَمَّا ظَنَّ الْعِلْجُ أَنَّهُ مَأْخُوذٌ نَحَرَ نَفْسَهُ .. وَتَنَاوَلَ « عُمَرُ » يَدَ « عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ » فَقَدَّمَهُ [٤] .. فَمَنْ يَلِي عُمَرَ فَقَدْ رَأَى الَّذِي أَرَى ، وَأَمَّا نَوَاحِي الْمَسْجِدِ فَإِنَّهُمْ لاَ يَدْرُونَ غَيْرَ أَنَّهُمْ قَدْ فَقَدُوا صَوْتَ عُمَرَ ، وَهُمْ يَقُولُونَ : (**سُبْحَانَ اللَّهِ .. سُبْحَانَ اللَّهِ**) .. فَصَلَّى بِهِمْ « عَبْدُ الرَّحْمَنِ » صَلاَةً خَفِيفَةً .. فَلَمَّا انْصَرَفُوا ، قَالَ : (**يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ، انْظُرْ مَنْ قَتَلَنِي**) .. فَجَالَ سَاعَةً ثُمَّ جَاءَ ، فَقَالَ : غُلاَمُ الْمُغِيرَةِ .. قَالَ : (**الصَّنَعُ ؟**) .. قَالَ : **نَعَمْ** .. قَالَ : (**قَاتَلَهُ اللَّهُ ، لَقَدْ أَمَرْتُ بِهِ مَعْرُوفًا ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ مِيتَتِي بِيَدِ رَجُلٍ يَدَّعِي الإِسْلاَمَ .. قَدْ كُنْتَ أَنْتَ وَأَبُوكَ تُحِبَّانِ أَنْ تَكْثُرَ الْعُلُوجُ بِالْمَدِينَةِ**) .. وَكَانَ الْعَبَّاسُ أَكْثَرَهُمْ رَقِيقًا [٥] .. فَقَالَ : إِنْ شِئْتَ فَعَلْتُ [٦] .. قَالَ : (**كَذَبْتَ ، بَعْدَ مَا**

---

[١] أي في الصَّفّ نَنْتظر صلاة الصبح .
[٢] العلج : الرجل الكافر من بلاد العجم .
[٣] البرنس : ثوب به غطاء للرأس .
[٤] أي للصَّلاة بالنَّاس .
[٥] أي أكثرهم امتلاكًا للعبيد من العجم .
[٦] أي إنَ شئتَ قتلتُ .

تَكَلَّمُوا بِلِسَانِكُمْ ، وَصَلَّوْا قِبْلَتَكُمْ ، وَحَجُّوا حَجَّكُمْ !!) .. فَاحْتُمِلَ إِلَى بَيْتِهِ ، فَانْطَلَقْنَا مَعَهُ ، وَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ تُصِبْهُمْ مُصِيبَةٌ قَبْلَ يَوْمَئِذٍ ، فَقَائِلٌ يَقُولُ : **لاَ بَأْسَ** .. وَقَائِلٌ يَقُولُ : **أَخَافُ عَلَيْهِ** .. فَأُتِيَ بِنَبِيذٍ [1] فَشَرِبَهُ ، فَخَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ ، ثُمَّ أُتِيَ بِلَبَنٍ فَشَرِبَهُ ، فَخَرَجَ مِنْ جُرْحِهِ ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ مَيِّتٌ .. [2]

وارْتَجَّ الْبَيْتُ بُكَاء ، فقال (رضي الله عنه) : (**واللهِ ، لَوْ أَنَّ لِي مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ لافْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ هَوْلِ الْمُطَّلَعِ**) .. ويقول « ابن عباس » : (رضى الله عنهما) فقلت : **واللهِ ، إِنِّي لأَرْجُو أَنْ لاَ تَرَاهَا إِلاَّ مِقْدَار مَا قَالَ اللهُ : (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا)** [3] **إن كُنْتَ – ما علمنا – لأَمِيرِ الْمُؤْمِنِين ، وأَمِين الْمُؤْمِنِين ، وسَيِّد الْمُؤْمِنِين ، تَقْضِي بِكِتَابِ اللهِ ، وتَقْسِم بِالسَّوِيَّة** .. فأعجبه قولى ، فاستوى جالسًا ، فقال : (**أَتَشْهَدُ لِي بِهَذَا يَا ابْنَ عَبَّاس ؟**) .. قال : فكَفَفْتُ .. فضرب على كتفي فقال : (**اشْهَد**) .. قال : قلت : **نَعَمْ أنا أَشْهَد** .. [4]

ويقول « عَمْرو بْن مَيْمُونٍ » : فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ ، وَجَاءَ النَّاسُ فَجَعَلُوا يُثْنُونَ عَلَيْهِ ، وَجَاءَ رَجُلٌ شَابٌّ فَقَالَ : **أَبْشِرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِبُشْرَى اللَّهِ ، لَكَ مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) وَقَدَمٍ** [5] **فِي الإِسْلاَمِ مَا قَدْ عَلِمْتَ .. ثُمَّ وَلِيتَ فَعَدَلْتَ .. ثُمَّ شَهَادَةٌ** .. قَالَ : (**وَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ كَفَافٌ : لاَ عَلَيَّ وَلاَ لِي**) .. فَلَمَّا أَدْبَرَ إِذَا إِزَارُهُ يَمَسُّ الأَرْضَ ، قَالَ : (**رُدُّوا عَلَيَّ الْغُلاَمَ**) .. قَالَ : (**يَا ابْنَ أَخِي ، ارْفَعْ**

---

(1) المراد بالنَّبيذ المذكور : تَمَرَات نُبذَتْ في ماء ، أي نُقعَتْ فيه ، كانوا يصنعون ذلك لاسْتعْذَاب الماء .
(2) رواه البخارى كتاب المناقب .
(3) سورة مريم آية ٧١ .
(4) رواه ابن سعد فى الطبقات الكبرى ، وابن الأثير فى أُسد الغابة .
(5) قَدَم : سبق وفضل .

ثَوْبَكَ ، **فَإِنَّهُ أَنْقَى لِثَوْبِكَ ، وَأَتْقَى لِرَبِّكَ**) .. ثم قال : (**يَا عَبْدَ اللَّه بْنَ عُمَرَ ، انْظُرْ مَا عَلَيَّ مِنَ الدَّيْنِ**) .. فَحَسَبُوهُ ، فَوَجَدُوهُ : سِتَّةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا [(١)] – أَوْ نَحْوَهُ – قَالَ : (**إِنْ وَفَى لَهُ مَالُ آلِ عُمَرَ فَأَدِّه مِنْ أَمْوَالِهِمْ ، وَإِلاَّ فَسَلْ فِي بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ ، فَإِنْ لَمْ تَفِ أَمْوَالُهُمْ فَسَلْ فِي قُرَيْشٍ ، وَلاَ تَعْدُهُمْ** [(٢)] **إِلَى غَيْرِهِمْ .. فَأَدِّ عَنِّي هَذَا الْمَالَ .. انْطَلِقْ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقُلْ : يَقْرَأُ عَلَيْكِ عُمَرُ السَّلاَمَ ، وَلاَ تَقُلْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنِّي لَسْتُ الْيَوْمَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَمِيرًا ، وَقُلْ : يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ**) ..

فَسَلَّمَ ، وَاسْتَأْذَنَ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا فَوَجَدَهَا قَاعِدَةً تَبْكِي .. فَقَالَ : **يَقْرَأُ عَلَيْكِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ السَّلاَمَ ، وَيَسْتَأْذِنُ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ** .. فَقَالَتْ : **كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي ، وَلأُوثِرَنَّ بِهِ الْيَوْمَ عَلَى نَفْسِي** .. فَلَمَّا أَقْبَلَ قِيلَ : هَذَا عَبْدُ اللَّه بْنُ عُمَرَ قَدْ جَاءَ .. قَالَ : (**ارْفَعُونِي**) .. فَأَسْنَدَهُ رَجُلٌ إِلَيْهِ ، فَقَالَ (رضي الله عنه) : (**مَا لَدَيْكَ ؟**) .. قَالَ : **الَّذِي تُحِبُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَذِنَتْ** .. قَالَ : (**الْحَمْدُ للَّه ، مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ أَهَمَّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِذَا أَنَا قَضَيْتُ فَاحْمِلُونِي ، ثُمَّ سَلِّمْ فَقُلْ : يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَإِنْ أَذِنَتْ لِي فَأَدْخِلُونِي ، وَإِنْ رَدَّتْنِي رُدُّونِي إِلَى مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ** [(٣)]) [(٤)] ..

[(١)] كانت ديونه (رضي الله عنه) كلها تنفق فى الصدقات ، ولم يكن له غير قميص واحد يلبسه ، وكان ينام على فراش حصير .

[(٢)] لا تعدهم : لا تتجاوزهم .

[(٣)] كان (رضي الله عنه) يَخْشَى أَن تكون السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) أَذِنَتْ في حَيَاته حَيَاء منه ، فأراد أن لا يُكْرِهَهَا إذا أرادت أن ترجع عن ذلك بَعْد مَوْته .

[(٤)] رواه البخارى كتاب المناقب .

ثُمَّ قال (رضي الله عنه) : (**ادْعُوا لِي صُهَيْبًا**) .. فَدُعِيَ لَهُ ، فأمَره أن يصلي بالناس ثلاثة أيام حتى ينتهى أهل الشورى الستة من اختيار الخليفة من بينهم .. [1]

وَجَاءَتْ أُمُّ الْمُؤْمنينَ « حَفْصَةُ » [2] وَالنِّسَاءُ تَسيرُ مَعَهَا ، فَلَمَّا رَأَيْنَاهَا قُمْنَا ، فَوَلَجَتْ عَلَيْه [3] ، فَبكَتْ عنْدَهُ سَاعَةً ، وَاسْتَأْذَنَ الرِّجَالُ فَوَلَجَتْ دَاخلاً لَهُمْ [4] ، فَسَمعْنَا بُكَاءَهَا منَ الدَّاخلِ .. فَقَالُوا : **أَوْصِ يَا أَميرَ الْمُؤْمنينَ ، اسْتَخْلفْ** .. قَالَ : (**مَا أَجدُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْ هَؤُلاَءِ النَّفَرِ – أَوِ الرَّهْطِ – الَّذينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّه (صلى الله عليه وسلم) وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ**) فَسَمَّى « عَليًّا » ، و« عُثْمَانَ » ، و« الزُّبَيْرَ » ، و« طَلْحَةَ » ، و« سَعْدًا » ، و« عَبْدَ الرَّحْمَنِ » .. وَقَالَ : (**يَشْهَدُكُمْ « عَبْدُ اللَّه بْنُ عُمَرَ » وَلَيْسَ لَهُ منَ الأَمْرِ شَيْءٌ – كَهَيْئَة التَّعْزِيَة لَهُ – فَإِنْ أَصَابَت الإِمْرَةُ سَعْدًا فَهُوَ ذَاكَ ، وَإِلاَّ فَلْيَسْتَعنْ به أَيُّكُمْ مَا أُمِّرَ ، فَإِنِّي لَمْ أَعْزِلْهُ عَنْ عَجْزٍ ، وَلاَ خيَانَة** [5]) .. وَقَالَ : (**أُوصي الْخَليفَةَ منْ بَعْدي بِالْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ ، وَيَحْفَظَ لَهُمْ حُرْمَتَهُمْ .. وَأُوصيه بِالأَنْصَارِ خَيْرًا – الَّذينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ** [6] **وَالإِيمَانَ منْ قَبْلهِمْ – أَنْ يُقْبَلَ منْ مُحْسنِهِمْ ، وَأَنْ يُعْفَى عَنْ مُسيئِهِمْ .. وَأُوصيه بِأَهْلِ الأَمْصَارِ خَيْرًا ، فَإِنَّهُمْ رِدْءُ الإِسْلاَمِ** [7] **، وَجُبَاةُ الْمَالِ** [8] **، وَغَيْظُ الْعَدُوِّ** [9] .. **وَأَنْ لاَ يُؤْخَذَ**

---

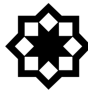
[1] فتح البارى لابن حجر .
[2] وهى بنت عمر (رضي الله عنه) .
[3] ولجت عليه : دَخَلَتْ عليه .
[4] لهم : أى لتُفرغ المكانَ لهم .
[5] يشير إلى عزله عن إمارة العراق .
[6] تبوءوا الدار : أى سكنوا المدينة قبل الهجرة .
[7] ردء الإسلام : عون الإسلام الذى يدفع عنه .
[8] جباة المال : المحصلون للزكاة .
[9] غيظ العدو : أى يغيظون العدو بكثرتهم وقوتهم .

مِنْهُمْ إِلاَّ فَضْلُهُمْ [1] عَنْ رِضَاهُمْ .. وَأُوصِيهِ بِالأَعْرَابِ خَيْرًا - فَإِنَّهُمْ أَصْلُ الْعَرَبِ ، وَمَادَّةُ الإِسْلامِ [2] - أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ حَوَاشِي أَمْوَالِهِمْ [3] ، وَتُرَدَّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ .. وَأُوصِيهِ بِذِمَّةِ اللَّهِ [4] ، وَذِمَّةِ رَسُولِهِ (ﷺ) أَنْ يُوفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ ، وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ ، وَلاَ يُكَلَّفُوا إِلاَّ طَاقَتَهُمْ [5]) .. [6]

ولفظ « عمر » (رضي الله عنه) أنْفَاسَه ولَحِقَ بالرَّفِيق الأَعْلَى ، وغَسَّلَه ابنه « عبد الله بن عمر » وكَفَّنه ، وصلَّى عليه « صُهَيْب بن سِنَان » ، وذهب « عبد الله » ينفذ وصية أبيه ، فَسَلَّمَ على السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) قَالَ : (**يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ**) .. قَالَتْ (**أَدْخِلُوهُ**) .. فَأُدْخِل فَوُضِع هُنَالِكَ مع صَاحِبَيْه ، وتحققت بذلك أمنيته (رضي الله عنه) ..

رضِيَ الله عنْك يا أمِيرَ الْمُؤْمِنِين ..

وجَزَاكَ عَنْ أُمَّةِ نَبِيِّه (ﷺ) خَيْرَ مَا جَازَى بِهِ إِمَامًا عن أُمَّةِ نَبِيِّه ..



(1) فضلهم : أى ما فضل عنهم .
(2) المادة : كل شيء يكون مددًا لغيره .
(3) أى التى ليست بخيارها .
(4) المراد بذمة الله : أهل الذمة .
(5) أى من الجزية .
(6) رواه البخارى كتاب المناقب .

عُثْمَان بْنُ عَفَّـان (رضي الله عنه)

هو ثالث الخلفاء .. المشهور بالصِّدْق والْجُود والوَفَاء .. صاحب أكبر حظ من الْحَيَاء .. ذُو النُّورَيْن .. الذى نوَّر المحراب بإمامته ، وزيَّن القرآن بتلاوته .. جمع القرآن ، وصدق بالإيمان ، وبُشر بِسُكْنى أعلى الجنان .. الذى قال فيه رسول الْمَلِك الدَّيان : (**لِكُلِّ نَبِيٍّ رَفِيقٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَرَفِيقِي فِيهَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ**)[١] ..

أسلم (رضي الله عنه) ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى بدء دعوته ، دعاه « أبو بكر » إلى الإسلام فأسلم .. وكان (رضي الله عنه) يقول : (**إِنِّي لَرَابِعِ أَرْبَعَةٍ فِي الإِسْلاَمِ**)[٢] ..

ولَمَّا أسلم (رضي الله عنه) أخذه عَمُّه « الْحَكَم بن أَبِي العَاص بن أُمَيَّة » فأوثقه رِبَاطاً ، وقال : **نزعت عن ملة آبائك إلى دين مُحْدَث ؟ والله لا أحلك أبدًا حتى تدع ما أنت عليه من هذا الدين** .. فقال « عثمان » (رضي الله عنه) : (**والله لا أَدَعُهُ أبدًا ، ولا أُفَارِقُه**) .. فلما رأى « الْحَكَم » صلابته في دينه تركه .. [٣]

وهو صاحب الهجرات الثلاث ، فلقد زوجه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ابنته « رُقَيَّة » وهاجر بِهَا « عثمان » إلى الحبشة الهجرتين ، ثم هاجر بِهَا إلى المدينة ..

ولَمَّا قَدِمَ الْمُهَاجِرُونَ الْمَدِينَةَ اسْتَنْكَرُوا الْمَاءَ [٤] ، وَكَانَتْ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي غِفَارٍ

---

[١] رواه ابن ماجه فى المقدمة . [٢] أسد الغابة لابن الأثير . [٣] رواه ابن عساكر .

[٤] أى استنكروا طعمه .

عَيْنٌ [١] يُقَالُ لَهَا : « رُومَةُ » وَكَانَ يَبِيعُ مِنْهَا الْقِرْبَةَ بِمُدٍّ [٢] ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : (**بِعْنِيهَا بِعَيْنٍ فِي الْجَنَّةِ**) ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَيْسَ لِي وَلاَ لِعِيَالِي غَيْرُهَا ، لاَ أَسْتَطِيعُ ذَلِكَ .. فَبَلَغَ ذَلِكَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ (رضي الله عنه) ، فَاشْتَرَاهَا بِخَمْسَةٍ وَثَلاَثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ (ﷺ) فَقَالَ : **يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتَجْعَلُ لِي مِثْلَ الَّذِي جَعَلْتَهُ لَهُ : عَيْنًا فِي الْجَنَّةِ ، إِنْ اشْتَرَيْتُهَا** ؟ .. قَالَ : (**نَعَمْ**) .. قَالَ : **قَدْ اشْتَرَيْتُهَا ، وَجَعَلْتُهَا لِلْمُسْلِمِينَ** .. [٣]

وتأتى غزوة « بدر » ويخرج النبى (ﷺ) وأصحابه ، ويتخلف « عثمان » بأمر النبى (ﷺ) لِيُمَرِّض « رُقَيَّة » التى اشتد عليها المرض وكانت فى أيامها الأخيرة ، وفى اليوم نفسه الذى جاءت فيه البشرى بالنصر فى بدر ماتت « رُقَيَّة » .. ويدخل رسول الله (ﷺ) المدينة ، وتخرج « رُقَيَّة » إلى قبرها .. ويذهب « عثمان » إلى النبى (ﷺ) أسيفًا على عدم شهود بدر ، فيحكم له النبى (ﷺ) بأنه قد شهدها وله أجر مَنْ شهدها ، بل ويقسم له من غنائم بدر كواحد من شهود بدر ، وحزن « عثمان » حزنًا شديدًا على وفاة « رُقَيَّة » بنت رسول الله (ﷺ) .. ويُرْوَى أن النبي (ﷺ) دخل عليه يومًا فرآه لَهْفَان [٤] مَهْمُومًا ، فقال له : (**ما لي أراك لَهْفَان مَهْمُومًا** ؟) .. فقال : **يا رسول الله ، وهل دَخَل عَلَى أَحَد مَا دَخَلَ عَلَيَّ : ماتت ابنة رَسُولِ الله التي كانت تَحْتِي ، وانْقَطَعَ ظَهْرِي ، وانْقَطَعَ الصِّهْر بَيْنِي وبَيْنَكَ** .. فبينما هو يحاوره ، إذ قال النبي (ﷺ) : (**يا عُثْمَان ، هذا جِبْرِيل عليه**

---

[١] أى عين ينبع منها الماء .
[٢] بمُد : بملء الكفين من الطعام .
[٣] رواه الطبراني فى المعجم الكبير .
[٤] لَهفان : متحسرًا مكروبًا .

السَّلام ، يأمرني عن الله عز وجل أن أُزَوِّجك أختها أم كُلْثُوم على مِثْلِ صَدَاقِهَا ، وعلى مِثْلِ عِشْرَتِها) .. فزوَّجه إيَّاهَا [1] .. فقال بعض من حسد عثمان : **بخ بخ يا رسول الله ! تزوج عثمان بنتًا بعد بنت ! فأي شرف أعظم من ذا ؟** .. قال : **(لو كانت لي أربعون بنتًا لزَوَّجْتُ عُثْمَانَ وَاحِدَة بعد وَاحِدَة ، حتى لا يَبْقَى مِنْهُنَّ وَاحِدَة)**[2] ..

وتدور الأيام وتموت زوجته الثانية ، ويبكي بكاء مرًّا ، ويُسَرِّي عنه رسول الله (ﷺ) ويقول : **(ألاَ أبو أَيِّمٍ [3] ، ألاَ أَخُو أَيِّمٍ ، ألاَ وَلِيُّ أَيِّمٍ يُزَوِّج عُثْمَانَ ، فإنِّي قد زَوَّجْتُهُ اثنتين ، ولو كانت عندي ثالثة لَزَوَّجْتُهُ ، وما زَوَّجْتُهُ إلا بِوَحْيٍ مِنَ السَّمَاء)**[4] ..

وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ ابْنَتِى نَبِىٍّ مُنْذُ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ غَيْرُ عُثْمَانَ ابْنِ عَفَّانَ (رضي الله عنه) ، **فَلِذَلِكَ سُمِّىَ « ذَا النُّورَيْنِ »**[5] ..

وَلَمَّا نزل النَّبيُّ (ﷺ) بالْحُدَيْبِيَة فَزِعَتْ قُرَيْشٌ لِنُزُوله عَلَيْهِمْ ، فَأَحَبَّ رسولُ الله (ﷺ) أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِمْ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَدَعَا عُمَرَ بن الْخَطَّاب (رضي الله عنه) لِيَبْعَثَهُ إِلَيْهِمْ ، فقال : **يَا رَسُولَ الله ، إِنِّي لاَ آمَنُهُمْ ، ولَيْسَ بِمَكَّةَ أَحَدٌ مِنْ بَنِي عَدِيّ بْنِ كَعْبٍ يَغْضَبُ لِي إِنْ أُوذِيتُ ، فَأَرْسِلْ عُثْمَانَ بن**

---

[1] معرفة الصحابة لأبي نعيم .
[2] رواه ابن عساكر .
[3] الأَيِّمُ من النساء : التي لا زَوْج لها ، بِكْراً كانت أَو ثَيِّبًا .
[4] رواه ابن عساكر .
[5] رواه البيهقى فى سننه .

عَفَّان ، فَإِنَّ عَشِيرَتَهُ بِهَا ، وَإِنَّهُ مُبَلِّغٌ لَكَ مَا أَرَدْتَ .. فدَعَا رَسُولُ الله (ﷺ) عُثْمَانَ بن عَفَّان فَأَرْسَلَهُ إِلَى قُرَيْشٍ ، وقال : (**أَخْبِرْهُمْ أَنَّا لَمْ نَأْت لقتَال ، وَإِنَّمَا جئْنَا عُمَّارًا ، وَادْعُهُم إِلَى الإِسْلاَمِ**) .. وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَ رِجَالاً بِمَكَّةَ مُؤْمنِينَ وَنِسَاءً مُؤْمِنَات فَيَدْخُل عَلَيْهِمْ ، وَيُبَشِّرهُمْ بالْفَتْحِ ، وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُظْهِرٌ دِينَهُ بِمَكَّةَ حَتَّى لاَ يَتَخَفَّى فِيهَا الإِيمَانُ ..

وَبَلَغَ رَسُولَ الله (ﷺ) أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ ، فقال (ﷺ) : (**لَئِنَ كَانُوا قَتَلُوهُ لأُنَاجِزَنَّهُمْ** [1]) ، فَدَعَا (ﷺ) النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ ، فَبَايَعُوهُ عَلَى الْقِتَالِ عَلَى أَنْ لاَ يَفِرُّوا .. وضرب رسول الله (ﷺ) بإحدى يديه على الأخرى ، وقال : (**هَذه لِي ، وهَذِهِ لِعُثْمَان إِنْ كَانَ حَيًّا**) .. ثم بلغهم أن ذلك الخبر باطل فرجع عثمان .. [2]

وهذه البيعة هى التى نزل فى شأنهَا قول الله تعالى : (لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا)[3] ..

وَقَالَ الْمُسْلِمُونَ وهُمْ بالْحُدَيْبِيَة قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ عُثْمَان : خَلَصَ عُثْمَانُ مِنْ بَيْنِنَا إِلَى الْبَيْتِ فَطَافَ به ، فقال رسول الله (ﷺ) : (**مَا أَظُنُّهُ طَافَ بِالْبَيْت وَنَحْنُ مَحْصُورُونَ**) .. قَالُوا : **وَمَا يَمْنَعُهُ يَا رَسُولَ اللهِ وَقَدْ خَلَصَ** ؟ .. قَالَ (**ذَلِكَ ظَنِّي بِهِ أَنْ لاَ يَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ حَتَّى يَطُوفَ مَعَنَا**) .. فرجع إليهم عثمان ، فقال

---

(1) لأناجزنّهم : لأقاتلنهم . (2) رواه البيهقي فى دلائل النبوة ، وذكره ابن هشام فى مختصر السيرة .
(3) سورة الفتح آية ١٨ .

المسلمون : **اشْتَفَيْتَ يا أبا عبد الله منَ الطَّوَاف بالْبَيْت ؟** .. فقال « عثمان » : **بِئْسَ مَا ظَنَنْتُمْ بِي ، فوَالَّذي نَفْسي بِيَده لَوْ مَكَثْت بِهَا مُقِيمًا سَنَةً ، وَرَسُولُ الله (ﷺ) مُقيمٌ بِالْحُدَيْبِيَة مَا طُفْت بِهَا حَتَّى يَطُوفَ بِهَا رَسُولُ الله (ﷺ) ، وَلَقَدْ دَعَتْني قُرَيْشٌ إِلَى الطَّوَاف بِالْبَيْتِ فَأَبَيْتُ** .. قال المسلمون : رَسُول الله (ﷺ) كَانَ أَعَلَمَنَا بِالله ، وَأَحْسَنَنَا ظَنًّا [1] ..

و« عثمان بن عفان » (رضي الله عنه) هو مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَة [2] .. فعن « عِمْرَان ابْن حُصَيْن » أنه شهد عثمان بن عفان أيام غَزْوَة تَبُوك في جَيْش الْعُسْرَة ، فأمر رَسُولُ الله (ﷺ) بِالصَّدَقَة والقُوَةِ والتَّأَسِّي [3] ، وكانت نَصَارى العَرَب كَتَبُوا إِلَى أهل هِرَقْل [4] : (**إِنَّ هَذَا الرَّجُل الَّذي خَرَجَ يَنْتَحلُ النُّبُوَّة قَدَ هَلَكَ ، وَأَصَابَتْهُمْ سِنُون** [5] ، **فَهَلَكَتْ أَمْوَالُهُمْ ، فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَلْحَق دِينَكَ فالآن**) .. فبعث رجلاً من عظمائهم ، وجهَّز معه أربعين ألفًا ، فلما بلغ ذلك نبي الله (ﷺ) كتب في العرب [6] ، وكان يجلس كل يوم على المنبر فيدعو الله ويقول : (**اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِك هَذِهِ الْعِصَابَةُ فَلَنْ تُعْبَدَ فِي الأَرْضِ**) .. فلم يكن للناس قوة ، وكان « عثمان بن عفان » قد جهَّز عِيرَه إلى الشام ، يريد أن يَمْتَار عليها [7] ، فقال :

---

[1] دلائل النبوة للبيهقى .

[2] جَيْش العُسْرِة هو جيش غزوة تَبوك ، سمي بِهَا لأَن الناس نُدبوا إلى الغَزْو في شدة الحر وقلة الزاد ، فعَسُر ذلك عليهم وشقَّ .

[3] التأسى : الصبر .

[4] هرقل : هو ملك الروم .

[5] سنون : سنوات قحط وجدب .

[6] أى أرسل إليهم يخبرهم الخبر .

[7] يمتار عليها : يجلب عليها الطعام ونحوه للبيع .

يَا رَسُولَ الله ، هذه مائَتَا بَعيرٍ بِأَقْتَابِهَا [1] **وَأَحْلاَسِهَا** [2] ، **ومائَتَا أُوقِيَّة** [3] .. فحَمِدَ اللَّهَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) ، فكَبَّرَ ، وكَبَّرَ النَّاسُ ، ثم قام مَقَامًا آخر فأمر بالصَّدَقَة ، فقام « عثمان » فقال : **يَا نَبِيَّ الله ، وهَاتَان مائَتَان ، ومائَتَا أُوقِيَّة** .. فكَبَّرَ ، وكَبَّرَ النَّاسُ ، وأتَى عُثْمَانُ بالإبِلِ ، وأتَى بِالْمَالِ فَصبَّهُ بَيْنَ يَدَيْه ، فَسَمِعْتُهُ يقول : (**لاَ يَضُرُّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْم**)[4] ..

و« عُثْمَان » (رضي الله عنه) من العشرة المبشَّرين بالجنة ، لقول النبي (ﷺ) : (**عُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ**)[5] .. ومناقب « عُثْمَان » (رضي الله عنه) كثيرة :

فعن « أبي مُوسَى الأَشْعَرِيّ » (رضي الله عنه) قال : كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ (ﷺ) فِي حَائِطٍ [6] مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَة ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) : (**افْتَحْ لَهُ ، وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّة**) ، فَفَتَحْتُ لَهُ ، فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ ، فَبَشَّرْتُهُ بمَا قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) ، فَحَمِدَ اللَّهَ .. ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) : (**افْتَحْ لَهُ ، وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّة**) ، فَفَتَحْتُ لَهُ ، فَإِذَا هُوَ عُمَرُ ، فَأَخْبَرْتُهُ بمَا قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) ، فَحَمِدَ اللَّهَ .. ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ ، فَقَالَ لِي : (**افْتَحْ لَهُ ، وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّة عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ**) ، فَإِذَا عُثْمَانُ ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) ، فَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ قَالَ : **اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ** .. [7]

---

(1) الأقتاب : جمع قتب وهو رحل صغير .

(2) الأحلاس : جمع حلس وهو كساء يلى ظهر البعير يفرش تحت القتب .

(3) الأُوقِيَّة : أَربعون درهمًا . (4) رواه ابن عساكر . (5) رواه الترمذى كتاب المناقب .

(6) الحائط : البستان . (7) رواه البخارى كتاب المناقب .

وعن « جابر بن عبد الله » (رضى الله عنهما) أنه قال : أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) بِجَنَازَةِ رَجُلٍ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ ، فَقِيلَ : **يَا رَسُولَ اللَّه ، مَا رَأَيْنَاكَ تَرَكْتَ الصَّلاَةَ عَلَى أَحَدٍ قَبْلَ هَذَا !!** قَالَ : (**إِنَّهُ كَانَ يُبْغِضُ عُثْمَانَ ، فَأَبْغَضَهُ اللَّهُ**)(١) ..

وعنه (رضي الله عنه) أيضًا أنه قال : بينما نحن مع رسول الله (ﷺ) في بيت « ابن حشفة » في نفر من المهاجرين فيهم « أبو بَكْر » ، و« عُمَر » ، و« عُثْمَان » ، و« عَلِيّ » ، و« طَلْحَة » ، و« الزُّبَيْر » ، و« عبد الرَّحْمَن بن عَوْف » ، و« سَعْد ابن أَبِي وَقَّاص » (رضي الله عنهم) ، قال رسول الله (ﷺ) : (**لِيَنْهَضْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ إِلَى كُفْئِهِ** (٢)) ، فنَهَضَ النَّبِيُّ (ﷺ) إلى عُثْمَان فاعْتَنَقَهُ ، وقال : (**أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ**)(٣) ..

كما رُوِىَ أن النبى (ﷺ) قال : (**أَصْدَقُ أُمَّتِي حَيَاءً : عُثْمَانُ**)(٤) ..

وقد رُوِىَ عن السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) أَنَّ رَسُولَ اللَّه (ﷺ) كَانَ جَالِسًا ، كَاشِفًا عَنْ فَخِذِهِ ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ ، فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى حَالِه ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ ، فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى حَالِه ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ ، فَأَرْخَى عَلَيْهِ ثِيَابَهُ .. فَلَمَّا قَامُوا قالت : **يَا رَسُولَ اللَّه ، اسْتَأْذَنَ عَلَيْكَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَأَذِنْتَ لَهُمَا ، وَأَنْتَ عَلَى حَالِكَ ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ أَرْخَيْتَ عَلَيْكَ ثِيَابَكَ ؟!** فَقَالَ : (**يَا عَائِشَةُ ، أَلاَ**

---

(١) رواه الترمذى كتاب المناقب .
(٢) كفئه : نظيره .
(٣) رواه ابن عساكر ، والحاكم في المستدرك .
(٤) رواه ابن أبي شيبة .

أَسْتَحْيِي مِنْ رَجُلٍ .. وَاللَّهِ إِنَّ الْمَلائِكَةَ تَسْتَحْيِي مِنْهُ)[١] ..

وعن « أبي مَسْعُود الأنْصَارِيّ » قال : كُنَّا مع النَّبيِّ (ﷺ) في غَزَاة ، فأصَابَ النَّاسَ جَهْدٌ[٢] حَتَّى رَأَيْتُ الْكَآبَةَ فِي وَجْهِ الْمُسْلمينَ والفَرَحَ فِي وُجُوه الْمُنَافقِينَ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلكَ رَسُولُ الله (ﷺ) قال : (**والله لاَ تَغيبُ الشَّمْسُ حَتَّى يَأْتِيَكُمْ اللَّهُ برِزْقٍ**) ، فَعَلمَ عُثْمَانُ أَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيَصْدُقَان ، فَاشْتَرَى عُثْمَانُ أَرْبَعينَ رَاحلة بمَا عَلَيْهَا منَ الطَّعَامِ فَوَجَّهَ إِلَى النبي (ﷺ) تسْعَةً منْهَا ، فلمَّا رَأَى ذَلكَ النَّبيُّ (ﷺ) قَال : (**مَا هَذَا ؟**) .. فقالوا : **أَهْدَى إِلَيْكَ عُثْمَانُ** .. فَعُرفَ الْفَرَحُ فِي وَجْه رَسُول الله (ﷺ) وَالكَآبَةُ فِي وُجُوه الْمُنَافقِين ، ورَأَيْتُ النَّبيَّ (ﷺ) قَدْ رَفَعَ يَدَيْه حَتَّى رُئِيَ بَيَاضُ إِبْطَيْه يَدْعُو لعُثْمَان دُعَاءً مَا سَمعْتُهُ دَعَا لأَحَدٍ قَبْله ولا بَعْده بمثْله : (**اللَّهُمَّ أعْطِ عُثْمَانَ .. اللَّهُمَّ افْعَلْ لِعُثْمَان ..**)[٣] ..

وعن « أنس بن مالك » (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : (**مَنْ وَسَّعَ لَنَا فِي مَسْجِدِنَا هَذَا بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ**) .. قال : فاشْتَرَى عُثْمَانُ بَيْتًا ، فَوَسَّعَ بِهِ فِي الْمَسْجِد ..[٤]

وعن « ابن عباس » (رضى الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : (**والله لَيَشْفَعَنَّ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّان فِي سَبْعِينَ أَلْفًا مِنْ أُمَّتِي قَدِ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ ، حَتَّى يُدْخِلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ**)[٥] ..

---

(١) رواه أحمد باقى مسند الأنصار . (٢) جهد : شدة ومشقة . (٣) رواه الطبراني فى المعجم الكبير .
(٤) رواه ابن عساكر ، وأبو نعيم . (٥) رواه ابن عساكر .

وقد رُوِىَ أن النبي (ﷺ) قال : (**مَا فِي الْجَنَّة شَجَرَةٌ إلاَّ مَكْتُوبٌ عَلَى كُلِّ وَرَقَةٍ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله ، أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، عُمَرُ الْفَارُوقُ ، عُثْمَانُ ذُو النُّورَيْن**)[1] ..

كما رُوِىَ أنه (ﷺ) قال : (**بَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ إِذْ جَاءَنِي جِبْرِيلُ ، فَحَمَلَنِي فَأَدْخَلَنِي جَنَّةَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ إِذْ جُعِلَتْ فِي يَدَيَّ تُفَّاحَة ، فَانْفَلَقَت التُّفَّاحَةُ بِنِصْفَيْن ، فَخَرَجَتْ مِنْهَا جَارِيَةٌ لَمْ أَرَ جَارِيَةً أَحْسَنَ مِنْهَا حُسْنًا ، ولاَ أَجْمَلَ مِنْهَا جَمَالاً ، تُسَبِّحُ تَسْبِيحًا لَمْ يَسْمَعِ الأَوَّلُون والآخِرُون بِمِثْلِه ، فَقُلْتُ : مَنْ أَنْتِ يَا جَارِيَة ؟ .. قالت : أَنَا مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، خَلَقَني اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ نُورِ عَرْشِهِ .. فقُلْتُ : لِمَنْ أَنْتِ ؟ .. قالت : لِلْخَلِيفَةِ الْمَظْلُومِ عُثْمَان بن عفَّان**)[2] ..

وحين سئل (ﷺ) : **أَفِي الْجَنَّة بَرْقٌ ؟** .. قال : (**نَعَمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه ، إِنَّ عُثْمَانَ لَيَتَحوَّلُ مِنْ مَنْزِلٍ إِلَى مَنْزِلٍ فَتَبْرُقُ لَهُ الْجَنَّةُ**)[3] ..

وقد بشره النبى (ﷺ) بالشهادة أكثر من مرة ، فحينما رجف جبل « أُحُد » وكان « أبو بكر » و« عمر » و« عثمان » معه ، قال له : (**اثْبُتْ أُحُدُ ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ [4] ، وَصِدِّيقٌ [5] ، وَشَهِيدَانِ [6]**)[7] .. وكذلك حينما رجف « حِرَاء »

---

[1] فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل . [2] رواه الطبراني فى المعجم الكبير .

[3] رواه الحاكم في المستدرك . [4] هو الرسول (ﷺ) . [5] هو أبو بكر (رضي الله عنه) .

[6] هما عمر وعثمان (رضى الله عنهما) . [7] رواه البخارى كتاب المناقب .

وكان عليه العشرة : رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) ، و« أَبُو بَكْرٍ » ، و« عُمَرُ » ، و« عُثْمَانُ » ، و« عَلِيٌّ » ، و« طَلْحَةُ » ، و« الزُّبَيْرُ » ، و« سَعْدُ بن أَبِي وَقَّاص » ، و« عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ » ، و« سَعِيدُ بْنُ زَيْد » ، قال (ﷺ) : (**اثْبُتْ حِرَاءُ فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلاَّ نَبِيٌّ ، أَوْ صِدِّيقٌ ، أَوْ شَهِيدٌ**)[1] ..

وتمضى الأيام ويلحق الرسول (ﷺ) بالرفيق الأعلى ، وتأتى خلافة « أبى بكر » (رضي الله عنه) ، ثم تأتى خلافة « عمر » (رضي الله عنه) ، وحين طُعِن (رضي الله عنه) قيل له : **أَلاَ تَسْتَخْلِفُ** ؟ .. قَالَ : (**إِنْ أَسْتَخْلِفْ فَقَد اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي : أَبُو بَكْرٍ ، وَإِنْ أَتْرُكْ فَقَدْ تَرَكَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي : رَسُولُ اللَّهِ ﷺ**)[2] .. وقال : (**مَا أَجِدُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْ هَؤُلاَءِ النَّفَرِ – أَوِ الرَّهْطِ – الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ**) فَسَمَّى « عَلِيًّا » ، و« عُثْمَانَ » ، و« الزُّبَيْرَ » ، و« طَلْحَةَ » ، و« سَعْدًا » ، و« عَبْدَ الرَّحْمَنِ » .. وَقَالَ : (**يَشْهَدُكُمْ « عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ » وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ – كَهَيْئَةِ التَّعْزِيَةِ لَهُ – فَإِنْ أَصَابَتِ الإِمْرَةُ سَعْدًا فَهُوَ ذَاكَ ، وَإِلاَّ فَلْيَسْتَعِنْ بِهِ أَيُّكُمْ مَا أُمِّرَ ، فَإِنِّي لَمْ أَعْزِلْهُ عَنْ عَجْزٍ ، وَلاَ خِيَانَةٍ** [3]) .. فَلَمَّا قُبِضَ (رضي الله عنه) وفُرِغَ مِنْ دَفْنِه ، اجْتَمَعَ هَؤُلاَءِ الرَّهْطُ ، فَقَالَ « عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْف » : **اجْعَلُوا أَمْرَكُمْ إِلَى ثَلاثَةٍ مِنْكُمْ** .. فَقَالَ « الزُّبَيْرُ بن العَوَّام » : **قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَلِيٍّ** .. فَقَالَ « طَلْحَةُ بن عُبَيْد الله » : **قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عُثْمَانَ** .. وَقَالَ « سَعْد بن أبي وَقَّاص » : **قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى**

---

(1) رواه الترمذى كتاب المناقب . (2) رواه البخارى كتاب الأحكام . (3) يشير إلى عزله عن إمارة العراق .

عَبْد الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْف .. فَقَالَ « عَبْدُ الرَّحْمَنِ » : **أَيُّكُمَا تَبرَّأَ مِنْ هَذَا الأَمْرِ** [١] **فَنجْعَلُهُ إِلَيْه** [٢] ، **وَاللَّهُ عَلَيْه وَالإِسْلامُ لَيَنْظُرَنَّ أَفْضَلَهُمْ فِي نَفْسه ؟** .. فَأُسْكتَ الشَّيْخَان [٣] ، فَقَالَ « عَبْدُ الرَّحْمَنِ » : **أَفَتَجْعَلُونَهُ إِلَيَّ ، وَاللَّهُ عَلَيَّ أَنْ لاَ آلُو عَنْ أَفْضَلكُمْ ؟** [٤] .. قَالا : **نَعَمْ** .. فَأَخَذَ بِيَد أَحَدهِمَا [٥] فَقَالَ : **لَكَ قَرَابَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّه** (ﷺ) ، **وَالْقَدَمُ فِي الإِسْلاَمِ مَا قَدْ عَلمْتَ ، فَاللَّهُ عَلَيْكَ لَئنْ أَمَّرْتُكَ لَتَعْدلَنَّ ، وَلَئِنْ أَمَّرْتُ عُثْمَانَ لَتَسْمَعَنَّ وَلَتُطِيعَنَّ** .. ثُمَّ خَلاَ بِالآخَرِ ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ .. فَلَمَّا أَخَذَ الْمِيثَاقَ قَالَ : (**ارْفَعْ يَدَكَ يَا عُثْمَانُ**) ، فَبَايَعَهُ ، فَبَايَعَ لَهُ عَلِيٌّ ، وَوَلَجَ [٦] أَهْلُ الدَّارِ فَبَايَعُوهُ .. [٧]

ويتولى « عثمان » (رضي الله عنه) خلافة المسلمين ، وتمضي السنون ، وتفتح الأمصار ، وينتشر الإسلام ، ويدخل فيه الأخلاط من الناس من عرب وعجم ، ولا يعرف اللاحقون فضل السابقين ، ولا يعرف حديثو العهد بالإسلام ، وحديثو العهد بالعلم فضل السابقين الراسخين فى العلم .. وإن من أخطر ما تصاب به الأمة : ألا يعرف الصغير حق الكبير ، وأن يجترئ اللئيم على الكريم ، وأن يتطاول الشباب على الشيوخ ، وأن تُنْصب المنابر للجهلاء ، وينْزَوِى العلماء ..

وتبدأ الفتنة ، ويبدأ الاعتراض على الخليفة الذى بايعه أصحاب النبي (ﷺ) جميعًا .. ذلك الْمُبَشَّر بِسُكْنَى أعلى الجنان ، الذي غُفر له ما تقدم من ذنبه وما

---

[١] أى من أمر الخلافة . [٢] أى فنوكل إليه اختيار الخليفة .
[٣] أى عثمان ، وعلي (رضى الله عنهما) . [٤] أى لا أقصّر وأتوانى عن اختيار أفضلكم .
[٥] هو على بن أبي طالب (رضي الله عنه) . [٦] ولج : دخل . [٧] رواه البخارى كتاب المناقب .

تأخر ، والذى قال له رسول الله (ﷺ) فى وجهه : (**غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يا عُثْمَانُ مَا قَدَّمْتَ وَمَا أَخَّرْتَ ، وَمَا أَسْرَرْتَ وَمَا أَعْلَنْتَ ، وَمَا أَخْفَيْتَ وَمَا أَبْدَيْتَ ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ ومَا يَكُون إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**)[1] .. يبدأ الاعتراض على رابع الأربعة فى الإسلام ، وأحد العشرة المبشَّرِين بالجنة الذين كانوا أمام رسول الله (ﷺ) فى القتال وخلفه فى الصلاة !! يبدأ الاعتراض على واحد من الستة أهل الشورى الذين مات رسول الله (ﷺ) وهو عنهم راض !! يبدأ الاعتراض على ذى النُّورَيْن !! يبدأ الاعتراض على مَنْ جمع القرآن ، وعَمَّ فَضْلُه كافة أقطار الأرض إلى يوم الدين !! إذ لولا فضل الله على « عثمان » ما كان المصحف بين أيدينا ، وما اجتمعت الأمة على رسم واحد لكلمات القرآن .. وماذا كان اعتراض هؤلاء الجهلاء والأخلاط من البشر والسِّفْلة من الناس حديثى العهد بالإسلام والذين لم يتمكن الإيمان من قلوبهم ؟ – وللأسف الشديد كان بعضهم من مصر ، وكان بعضهم من البصرة ، وبعضهم من الكوفة ، وقلة كانوا من أهل المدينة الذين لم يعرفوا لعثمان فضله – كانوا يعترضون على « عثمان » أنه ولَّى بعض الإمارات لأُناس من قبيلته وقومه من بنى أُمَيَّة .. وما عرفوا أن « عثمان » ذو فراسة رزقه الله إيَّاها ، والنبي (ﷺ) يقول : (**اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ**)[2].. فقد رُوِىَ أن رجلاً دخل على « عثمان » وقد نظر امرأة أجنبية ، فلما نظر إليه قال : (**هاء !! أيدخل عَلَيَّ أَحَدُكُمْ وفي عَيْنَيْهِ أَثَرُ الزِّنا ؟!**) .. فقال له الرجل : **أَوَحْيٌ بَعْدَ**

---

[1] فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل .
[2] رواه الترمذى كتاب تفسير القرآن .

رَسُولِ اللهِ (ﷺ) ؟! .. قال : (**لا !! ولكن قَوْل حَقٍّ ، وفِرَاسَة صِدْق**)[1] ..
ومع ذلك يجمع « عثمان » أصحابه وهم أصحاب النبى (ﷺ) ثم يقول لهم حين تبلغه هذه الاعتراضات : (**إِنِّي سَائِلُكُمْ ، وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ تَصْدُقُونِي .. نَشَدْتُكُمُ اللَّهَ ، أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ** (ﷺ) **كَانَ يُؤْثِرُ قُرَيْشًا عَلَى سَائِرِ النَّاسِ ، وَيُؤْثِرُ بَنِي هَاشِمٍ عَلَى سَائِرِ قُرَيْشٍ ؟**) .. فَسَكَتَ الْقَوْمُ ، فَقَالَ « عُثْمَانُ » (رضي الله عنه) : (**لَوْ أَنَّ بِيَدِي مَفَاتِيحَ الْجَنَّةِ لأَعْطَيْتُهَا بَنِي أُمَيَّةَ حَتَّى يَدْخُلُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ**)[2] ..

ولعلنا نتساءل : لماذا لا يصطفي « عثمان » بنى أُمَيَّة ، وقد سبقه النبى (ﷺ) فى اصطفاء أهله وعشيرته ؟! .. ولِمَ لا يسوق الخير إليهم ، والأقربون أَوْلَى بالمعروف ما داموا أهلاً لذلك ، وما داموا من السابقين من أصحاب النبى (ﷺ) ؟! .. ولكن الغيرة والحقد والتكالب على الدنيا ، أطمع أخلاط الناس وأسافلهم فحاصروا الخليفة فى بيته تسعة وأربعين يومًا ..

ويخرج « عثمان » (رضي الله عنه) إلى هذا الجمع المحتشد على باب قصره ويطل عليهم من شرفته .. ذلك الرجل الذى بلغ من العمر فى بعض الأقوال أربعة وثمانين عامًا ، وفى بعض الأقوال ستة وثمانين عامًا ، وفى بعض الأقوال أنه قد بلغ التسعين عامًا ، يقف « عثمان » ويطل عليهم من شرفة قصره ويقول : **أَنْشُدُ بِاللَّهِ ، مَنْ شَهِدَ رَسُولَ اللَّهِ** (ﷺ) **يَوْمَ حِرَاءَ إِذِ اهْتَزَّ الْجَبَلُ فَرَكَلَهُ بِقَدَمِهِ ثُمَّ قَالَ : (اسْكُنْ حِرَاءُ**

---

[1] الرياض النضرة فى مناقب العشرة للمحب الطبرى .
[2] رواه أحمد مسند العشرة المبشرين بالجنة .

لَيس عَلَيْكَ إلاَّ نَبيٌّ ، أَوْ صِدِّيقٌ ، أَوْ شَهِيدٌ) وَأَنَا مَعَهُ ؟ .. فَانْتَشَدَ لَهُ رِجَالٌ [1] .. قَالَ : **أَنْشُدُ باللَّه ، مَنْ شَهِدَ رَسُولَ اللَّه (ﷺ) يَوْمَ بَيْعَةِ الرِّضْوَان إِذْ بَعَثَنِي إِلَى الْمُشْرِكِينَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ قَالَ : (هَذِه يَدِي ، وَهَذِه يَدُ عُثْمَانَ رَضِي الله عَنه) فَبَايَعَ لِي ؟** .. فَانْتَشَدَ لَهُ رِجَالٌ .. قَالَ : **أَنْشُدُ باللَّه ، مَنْ شَهِدَ رَسُولَ اللَّه (ﷺ) قَالَ : (مَنْ يُوَسِّعُ لَنَا بِهَذَا الْبَيْتِ فِي الْمَسْجِدِ بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّة ؟) فَابْتَعْتُهُ مِنْ مَالِي فَوَسَّعْتُ بِهِ الْمَسْجِدَ ؟** .. فَانْتَشَدَ لَهُ رِجَالٌ .. قَالَ : **وَأَنْشُدُ باللَّه ، مَنْ شَهِدَ رَسُولَ اللَّه (ﷺ) يَوْمَ جَيْشِ الْعُسْرَةِ قَالَ : (مَنْ يُنْفِقُ الْيَوْمَ نَفَقَةً مُتَقَبَّلَةً ؟) فَجَهَّزْتُ نِصْفَ الْجَيْشِ مِنْ مَالِي ؟** .. فَانْتَشَدَ لَهُ رِجَالٌ .. قال : **وَأَنْشُدُ باللَّه ، مَنْ شَهِدَ « رُومَةَ » يُبَاعُ مَاؤُهَا ابْنَ السَّبِيلِ فَابْتَعْتُهَا مِنْ مَالِي ، فَأَبَحْتُهَا لابْنِ السَّبِيلِ ؟** .. فَانْتَشَدَ لَهُ رِجَالٌ [2] .. ثم دخل « عثمان » (رضي الله عنه) إلى بيته ..

وأثناء حصار « عثمان » يقول له مولاه « أَبُو سَهْلَةَ » : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَلاَ تُقَاتِلُ ؟! فقَالَ : (**لاَ ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) عَهِدَ إِلَيَّ عَهْدًا ، وَإِنِّي صَابِرٌ نَفْسِي عَلَيْه**)[3] ..

ونعلم بِهَذا العهد من السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) التى تخبرنا أن النبي (ﷺ) قال لعثمان : (**يَا عُثْمَانُ ، إِنَّهُ لَعَلَّ اللَّهَ يُقَمِّصُكَ قَمِيصًا ، فَإِنْ أَرَادُوكَ عَلَى خَلْعِهِ فَلاَ تَخْلَعْهُ لَهُمْ**)[4] .. كما نعلم به من « أَنَس » (رضي الله عنه) الذى يخبرنا أن النبي

---

[1] أى وقف رجال وشهدوا بما قال عثمان .
[2] رواه أحمد مسند العشرة المبشرين بالجنة .
[3] رواه أحمد باقي مسند الأنصار .
[4] رواه الترمذى كتاب المناقب .

(ﷺ) قال لعثمان : (**يَا عُثْمَانُ ، إِنَّكَ سَتُؤْتَى الْخلاَفَةَ منْ بَعْدي ، وَسَيُرِيدُكَ الْمُنَافِقُون عَلَى خَلْعِهَا ، فَلاَ تَخْلَعْهَا ، وَصُمْ فِي ذَلكَ الْيَوْم تُفْطِرْ عِنْدي**)[1] ..

ويقول « عبد الله بن عُمَر » (رضى الله عنهما) : قَالَ لِي « عُثْمَانُ » وهو مَحْصُورٌ فِي الدَّارِ : **مَا تَرَى فِيمَا أَشَارَ به عَلَيَّ « الْمُغيرَةُ بن الأَخْنَس »** ؟ .. قُلْتُ : **مَا أَشَارَ به عَلَيْكَ** ؟ .. قال : **إِنَّ هَؤُلاءِ الْقَوْم يُرِيدُون خَلْعِي ، فَإِنْ خُلعْتُ تَرَكُونِي ، وإِنْ لَمْ أُخْلَعْ قَتَلُونِي** .. قلت : **أَرَأَيْتَ إِنْ خُلِعْتَ تُتْرَك مُخَلَّدًا فِي الدُّنْيَا** ؟ .. قال : **لا** .. قال : **فَهَلْ يَمْلكُونَ الْجَنَّةَ والنَّار** ؟ .. قال : **لا** .. فقلت : **أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ تُخْلَعْ هَلْ يَزِيدُونَ عَلَى قَتْلكَ** ؟ .. قال : **لا** .. قلت : **فَلاَ أَرَى أَنْ تَسُنَّ هَذه السُّنَّةَ فِي الإِسْلاَم : كُلَّمَا سَخِطَ قَوْمٌ عَلَى أَمِيرِهِمْ خَلَعُوهُ .. لاَ تَخْلَع قَمِيصًا قَمَّصَكَهُ اللَّهُ** .. [2]

ويأبى « عُثْمَان » (رضي الله عنه) أن ينـــزل عن الخلافة ، ويأتى يوم الجمعة و« عُثْمَانُ » فى الحصر .. يأتى يوم الجمعة الذى هو فى الأرض جمعة ، وفى السماء عيد ، ويصبح عثمان صائمًا ، ويروى « أبو سَعِيد » مولى عثمان : أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ أَعْتَقَ عِشْرِينَ مَمْلُوكًا ، وَدَعَا بِسَرَاوِيلَ فَشَدَّهَا عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَلْبَسْهَا فِي جَاهلِيَّةٍ وَلاَ إِسْلاَمٍ ، وَقَالَ : **إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّه (ﷺ) الْبَارِحَةَ فِي الْمَنَامِ ، وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ ، وَعُمَرَ (رَضِي الله عَنْهمَا) ، وَإِنَّهُمْ قَالُوا لِي : (اصْبِرْ فَإِنَّكَ تُفْطِرُ عِنْدَنَا الْقَابِلَةَ [3])** .. ثُمَّ دَعَا بِمُصْحَفٍ فَنَشَرَهُ بَيْنَ يَدَيْه .. [4]

---

(1) رواه ابن عساكر .

(2) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى .

(3) القابلة : أى الليلة التى بعدها .

(4) رواه أحمد مسند العشرة المبشرين بالجنة .

ويجتمع حوله هؤلاء الذين اصطفاهم الله ليكونوا حوله فى ساعاته الأخيرة ، يخدمونه ، ويقدمون إليه بعض الطعام ، وبعض الشراب ، وكان منهم : الْحَسَنان (الْحَسْن ، والْحُسَيْن) قد أرسلهما عَلِيّ ليفديا عثمان بنفسيهما ، وحذّرهما أن يخلص إليه شيء يكرهه ..

ويتسور الأشقياء عليه سور قصره ، ويدخلون عليه خلسة ويقتلونه ، ويسيل دم عثمان ، وتنـــزل منه قطرة على كتاب الله عز وجل وهو بين يديه ، وتنـــزل القطرة من الدم الزّكى الطّاهر على قول الله عز وجل : (فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ)[1] ، ولا زالت قطرة الدم حتى يومنا هذا على مصحف عثمان ..

ولَمَّا ضُرِب (رضي الله عنه) والدماء تسيل على لحيته جعل يقول : (**لاَ إِلَهَ إلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ .. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَيْهِمْ .. وَأَسْتَعِينُكَ عَلَى جَمِيعِ أُمُورِي .. وأَسْأَلُكَ الصَّبْرَ عَلَى مَا ابْتَلَيْتَنِي**) .. وكان يقول وهو يتشحط[2] : (**اللَّهُمَّ اجْمَعْ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ، اللَّهُمَّ اجْمَعْ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ، اللَّهُمَّ اجْمَعْ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ**)[3] ..

وقُتل سيدنا « عثمان » (رضي الله عنه) وهو صائم .. وكان عمره فوق الثمانين عامًا ، وما رُحِمَت شيخوخته .. وقد استمرت خلافته (رضي الله عنه) اثنتى عشرة سنة إلا اثنى عشر يومًا ، وقيل إنَّها استمرت إحدى عشرة سنة وأحد عشر يومًا أو اثنين وعشرين يومًا ، ودُفِن (رضي الله عنه) ليلاً ، ودُفِن سرًّا .. ويُبْكَى « عثمان » تبكيه الجبال

[1] سورة البقرة آية ١٣٧ . [2] يتشحط : يلفظ أنفاسه الأخيرة . [3] رواه ابن أبي الدنيا وابن عساكر .

والوديان ، تبكيه الأرض وتبكيه السماء ، ويفيق المسلمون على أسوإ صباح ، يفيق المسلمون على أسوإ خبر ، يفيق المسلمون على أبشع جريمة ، ويُفْتَح عليهم باب فتنة لا يغلق ، ولن يغلق إلى أن تقوم الساعة ..

تلك هى الفتنة التى أشار إليها « حُذَيْفَة بن اليَمَان » (رضي الله عنه) ، فعن « شقيق » قال : سمعتُ « حُذَيْفَة بن اليَمَان » (رضي الله عنه) قال : (**كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ عُمَرَ** (رضي الله عنه) **فَقَالَ : أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ** (صلى الله عليه وسلم) **فِي الْفِتْنَةِ ؟ قُلْتُ : أَنَا ، كَمَا قَالَهُ .. قَالَ : إِنَّكَ عَلَيْهِ – أَوْ عَلَيْهَا – لَجَرِيءٌ .. قُلْتُ : فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِه ، وَمَالِه ، وَوَلَدِه ، وَجَارِه تُكَفِّرُهَا الصَّلاَةُ ، وَالصَّوْمُ ، وَالصَّدَقَةُ ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوف ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ .. قَالَ : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ ، وَلَكِنِ الْفِتْنَةُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَا يَمُوجُ الْبَحْرُ .. قَالَ : لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا بَأْسٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا .. قَالَ : أَيُكْسَرُ أَمْ يُفْتَحُ ؟ .. قَالَ : يُكْسَرُ .. قَالَ : إِذًا لاَ يُغْلَق أَبَدًا**) .. قُلْنَا : أَكَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ الْبَابَ ؟ .. قَالَ : (**نَعَمْ ، كَمَا أَنَّ دُونَ الْغَدِ اللَّيْلَةَ .. إِنِّي حَدَّثْتُهُ بِحَدِيث لَيْسَ بِالأَغَالِيطِ**) .. فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَ حُذَيْفَةَ ، فَأَمَرْنَا « مَسْرُوقًا » فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : الْبَابُ عُمَرُ .. [(١)]

ويقول « أَبُو الأَشْعَث » : قَامَتْ خُطَبَاءُ بِإِيلِيَاءَ فِي إِمَارَةِ « مُعَاوِيَةَ » (رضي الله عنه) فَتَكَلَّمُوا ، وَكَانَ آخرَ مَنْ تَكَلَّمَ : « مُرَّةُ بْنُ كَعْب » فَقَالَ : لَوْلاَ حَدِيثٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) مَا قُمْتُ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَذْكُرُ فِتْنَةً ، فَقَرَّبَهَا [(٢)] ،

---

(١) رواه البخارى كتابى مواقيت الصلاة ، والمناقب .

(٢) أى قَرّب وقت حدوثها .

فَمَرَّ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ ، فَقَالَ : (**هَذَا يَوْمَئِذٍ وَأَصْحَابُهُ عَلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى**) ، فَانْطَلَقْتُ فَأَخَذْتُ بِمَنْكِبِهِ ، وَأَقْبَلْتُ بِوَجْهِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) ، فَقُلْتُ : **هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ** ؟ قَالَ : **نَعَمْ** .. فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ (رضي الله عنه) .. [١]

هذا .. وقد حذر النبى (ﷺ) أمته من الفتن فى أحاديث كثيرة :

فعَنْ « أَبِي هُرَيْرَةَ » (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ : (**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا ، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا ، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ**) [٢] ..

وعَنِ « ابْنِ عُمَرَ » (رَضِي الله عَنهمَا) عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) عن رَبِّ الْعِزَّة قال : (**لَقَدْ خَلَقْتُ خَلْقًا أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، وَقُلُوبُهُمْ أَمَرُّ مِنَ الصَّبْرِ .. فَبِي حَلَفْتُ : لأُتِيحَنَّهُمْ فِتْنَةً تَدَعُ الْحَلِيمَ مِنْهُمْ حَيْرَانَ .. فَبِي يَغْتَرُّونَ ، أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرِئُونَ ؟!**) [٣] ..

وعَنْ « أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ » (رَضِي الله عَنهمَا) قَالَ : أَشْرَفَ النَّبِيُّ (ﷺ) عَلَى أُطُمٍ [٤] مِنْ آطَامِ الْمَدِينَةِ ثُمَّ قَالَ : (**هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى ؟ إِنِّي أَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ**) [٥] ..

وعَنْ « أَبِي هُرَيْرَةَ » (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : (**سَتَكُونُ فِتَنٌ : الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي ، مَنْ تَشَرَّفَ** [٦] **لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا**

---

[١] رواه أحمد مسند الشاميين . [٢] رواه أحمد باقى مسند المكثرين . [٣] رواه الترمذى كتاب الزهد .
[٤] الأطم : بناء مرتفع . [٥] رواه البخارى كتاب الحج . [٦] تشرف : تعرّض وتطلع .

فَلْيَعُذْ بِهِ) [١]..

وعن « حُذَيْفَة بْن الْيَمَان » (رضي الله عنه) أنه قال : كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّه (صلى الله عليه وسلم) عَنِ الْخَيْرِ ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي ، فَقُلْتُ : **يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ** ؟ .. قَالَ : (**نَعَمْ**) .. قُلْتُ : **وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ** ؟ .. قَالَ : (**نَعَمْ ، وَفِيهِ دَخَنٌ** [٢]) .. قُلْتُ : **وَمَا دَخَنُهُ** ؟ .. قَالَ : (**قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي ، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ**) .. قُلْتُ : **فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ** ؟ .. قَالَ : (**نَعَمْ ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**) .. قُلْتُ : **يَا رَسُولَ اللَّهِ ، صِفْهُمْ لَنَا** .. فَقَالَ : (**هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا** [٣] ، **وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**) .. قُلْتُ : **فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ** ؟ .. قَالَ : (**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**) .. قُلْتُ : **فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ** ؟ .. قَالَ : (**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا ، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**) [٤]..

نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَقِيَنَا شَرَّ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ..

وَنَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَرْفَعَ مَقَامَ الْخَلِيفَةِ الشَّهِيدِ ذِى النُّورَيْنِ ..

وَأَنْ يُجَازِيَهُ عَلَى صَبْرِهِ بِخَيْرِ مَا جَازَى بِهِ الصَّابِرِين ..

---

[١] رواه البخارى كتاب الفتن . [٢] دخن : شوائب . [٣] جلدتنا : جنسنا .

[٤] رواه البخارى كتاب الفتن .

عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب (رضى الله عنه)

هو رابع الخلفاء .. وابن عم المصطفى (ﷺ) .. فاتح باب خَيْبَر بقبضته .. والذى اختاره النبى لابنته .. الضَّارِب بالسَّيْف .. والصَّائم بالصَّيْف .. والْمُوَاسِي للضَّيْف .. مُظْهِرُ الْعَجَائِب .. ومُفَرِّقُ الْكَتَائِب .. لَيْثُ بَنِي غَالِب [1] .. الذى قال فيه رَسُولُ الْمَلِك الوَاهِب : (**أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ ، وَبَابُهَا : عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب**)[2] ..

كان « عَلِيٌّ » (رضي الله عنه) فى حَجْر النبى (ﷺ) يُرَبَّى فى بيته ، يحاول النبى (ﷺ) بذلك أن يرد الفضل إلى « أبى طالب » الذى كفله بعد موت جده « عبد المطلب » .. فقد أصابت قريشًا سَنَةٌ [3] ، وأراد النبى (ﷺ) أن يضم واحدًا من أبناء « أبى طالب » إليه ليخفف عنه المؤنة ، فضم إليه عليًّا ..

وهو أول من أسلم من الصبيان ، فقد أسلم (رضي الله عنه) وهو ابن عشر سنين أو ثلاث عشرة سنة فى بعض الأقوال ، بعد أن أسلمت السيدة « خديجة » (رضى الله عنها) بيوم واحد .. فقد دخل عَلَى النبى (ﷺ) فوجده يصلى مع السيدة « خديجة » فسأل ، فقال له النبى (ﷺ) : (**يا عَلِيُّ ، هَذَا دِينُ اللهِ الَّذِى ارْتَضَاهُ**

---

(1) أحد أجداده (رضي الله عنه) .

(2) رواه الحاكم في المستدرك بنحوه .

(3) السنة : الجدب والقحط وهو انقطاع المطر ويبس الأرض .

لعِبَادِه ، وأَنْزَلَهُ عَلَى رُسُلِه .. يَا عَلِيُّ ، آمنْ باللهِ ، واكْفُرْ باللاَّت وَالْعُزَّى) .. فقال له « عَلِيٌّ » : **هَذَا أَمْرٌ لَمْ أَسْمَعْ بِهِ ، فَدَعْنِي أَعْرِضهُ عَلَى أَبِي ، فَيُشِير عَلَيَّ** .. فخشى النبى (ﷺ) من الإفشاء ، ولم يكن قد أُمِرَ بالإعلان بعد ، فقال له : (**يا عَلِيُّ ، إِمَّا أَنْ تُسْلِمَ وإِمَّا أَنْ تَكْتُمَ**) .. فبات « عَلِيٌّ » يفكر فى هذا الأمر ، فشرح الله صدره للإسلام مصداقًا لقول الله عز وجل : (فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ)[1] ، فلما أصبح الصباح ذهب إلى النبى (ﷺ) وأسلم ، وصلَّى معه قبل أن يصلِّى أحد من الرجال ..

ويَرْوِى سيدنا « عَلِيّ » فيقول : جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) بَنِي « عَبْدِ الْمُطَّلِبِ » - فِيهِمْ رَهْطٌ[2] كُلُّهُمْ يَأْكُلُ الْجَذَعَةَ[3] وَيَشْرَبُ الْفَرَقَ[4] - فَصَنَعَ لَهُمْ مُدًّا[5] مِنْ طَعَامٍ ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ، وَبَقِيَ الطَّعَامُ كَمَا هُوَ كَأَنَّهُ لَمْ يُمَسَّ .. ثُمَّ دَعَا بِغُمَرٍ[6] فَشَرِبُوا حَتَّى رَوُوا ، وَبَقِيَ الشَّرَابُ كَأَنَّهُ لَمْ يُمَسَّ - أَوْ لَمْ يُشْرَبْ - فَقَالَ : (**يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، إِنِّي بُعِثْتُ لَكُمْ خَاصَّةً ، وَإِلَى النَّاسِ عَامَّةً ، وَقَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ هَذِهِ الآيَةِ مَا رَأَيْتُمْ ، فَأَيُّكُمْ يُبَايِعُنِي عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَصَاحِبِي ؟**) .. فَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ وَكُنْتُ أَصْغَرَ الْقَوْمِ ، فَقَالَ : (**اجْلِسْ**) - ثَلاَثَ مَرَّاتٍ كُلُّ ذَلِكَ أَقُومُ إِلَيْهِ فَيَقُولُ لِي : (**اجْلِسْ**) - حَتَّى

---

[1] سورة الأنعام آية ١٢٥ .
[2] الرهط : الجماعة من الرجال دون العشرة .
[3] الجذعة : ما أتمّ ستة أشهر إلى سنة من الضأن والمعز .
[4] الفرق : الإناء الكبير .
[5] المد : مكيال يقدر بملء الكفين .
[6] الغمر : القدح الصغير .

كَانَ فِي الثَّالِثَةِ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى يَدِي [1] .. [2]

وبقى « عَلِىّ » (رضي الله عنه) مقيمًا مع النبى (ﷺ) يصلى معه ، حتى جاءت الهجرة فأمره النبى (ﷺ) أن يبيت فى فراشه ، ويتغطى ببرده ، وقال : (**يَا عَلِيُّ ، لا يَخْلُص إلَيْك شَيْءٌ تَكْرَهُهُ**) ، وأمره بالبقاء بعده ثلاثة أيام ليؤدِّى الودائع عنه ، ونام « عَلِىّ » فى فراش النبى (ﷺ) .. وفى ذلك يُقَال إن الله عز وجل أوحى إلى « جبريل » و« ميكائيل » (عليهما السلام) : **إنِّي آخَيْتُ بَيْنَكُمَا ، وجَعَلْتُ عُمْرَ أَحَدِكُمَا أَطْوَلَ مِنْ عُمْرِ الآخَرِ ، فأَيُّكُمَا يُؤْثِرُ صَاحِبَهُ بالْحَيَاة ؟** .. فاختارا كلاهما الحياة .. فأوحى الله عز وجل إليهما : **أفَلا كُنْتُمَا مِثْل عَلِيّ بن أبِي طَالب ؟! آخَيْتُ بَيْنَهُ وبَيْنَ نَبِيِّي مُحَمَّد ، فبَاتَ عَلَى فِرَاشِه ، يَفْدِيه بنَفْسِه ، ويُؤْثِرهُ بِالْحَيَاة ، اهْبطَا إِلَى الأَرْضِ فَاحْفَظَاهُ مِنْ عَدُوِّه** [3] .. فنـــزل « جبريل » و« ميكائيل » لحماية « على بن أبى طالب » من كفار مكة .. ويبيت « عَلِىّ » فى فراش النبى (ﷺ) وينظر الناس من خصاص الباب معتقدين أن الذى يبيت فى الفراش هو « محمد بن عبد الله » ، ثم يخرج النبى (ﷺ) عليهم ، ويأخذ من تراب الأرض ويضع منه على رأس كل واحد منهم ، وهو يتلو قول الله عز وجل : (وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) [4] ..

ويقول « عَلِىّ » (رضي الله عنه) : **لَمَّا خرج رَسُولُ الله (ﷺ) إلى المدينة في الهجرة ،**

---

[1] أى : فبايعني .

[2] رواه أحمد مسند العشرة المبشرين بالجنة .

[3] أسد الغابة لابن الأثير .

[4] سورة يس آية ٩ .

أمرني أن أقيم بعده حتى أؤدي وَدَائِعَ كانت عنده للناس ، وإنما كان يُسَمَّى الأمين ، فأقمت ثلاثًا .. [1]

ويخرج (رضي الله عنه) بعد أن أدى الودائع في طلب النبي (صلى الله عليه وسلم) بعدما أخرج إليه أهله ، يَمْشِي اللَّيْلَ ، ويَكْمُنُ النَّهار حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ ، فلمَّا بَلَغَ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) قُدُومُهُ قال : (**ادْعُوا لِي عَلِيًّا**) .. قيل : **يا رسول الله ، لا يقدر أن يمشي** .. فأتاه النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فلما رآه اعتنقه ، وبكى رحمة لِمَا بقدميه من الورم ، وكانتا تقطران دمًا ، فتفل النبي (صلى الله عليه وسلم) في يديه ، ثم مسح بِهِمَا قَدَمَيْ « علىّ » ، ودعا له بالعافية ، فلم يشتكهما « عَلِىّ » حتى استشهد .. [2]

وقد تزوج « عَلِىّ » بسيدة نساء العالمين .. بفاطمة بنت محمد .. تلك السيدة العظيمة التى لم يُسامِها من النساء سوى ثلاث هن : السيدة « خديجة » ، والسيدة « مريم » ، والسيدة « آسية » امرأة فرعون .. وهن جميعًا سيدات نساء العالمين .. وهى التى قال النبي (صلى الله عليه وسلم) فى شأنها : (**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ : يَا أَهْلَ الْجَمْعِ ، غُضُّوا أَبْصَارَكُمْ عَنْ فَاطِمَةَ بِنْت محمد ﷺ حَتَّى تَمُرَّ**)[3] ..

ولقد كان زواج « عَلِىّ » (رضي الله عنه) بفاطمة (رضى الله عنها) بأمر من الله عز وجل .. فقد روى أن « عَلِيًّا » (رضي الله عنه) أقبل على النبى (صلى الله عليه وسلم) يومًا ، فتبسم (صلى الله عليه وسلم) له

---

[1] رواه ابن عساكر .

[2] رواه ابن عساكر ، وذكره ابن الأثير فى أُسد الغابة .

[3] رواه الحاكم فى المستدرك .

وقال : (**يَا عَلِيُّ ، إنَّ الله أَمَرَنِي أَنْ أُزَوِّجَكَ فَاطِمَةَ ، وقَدْ زَوَّجْتُكَهَا عَلَى أَرْبَعِ مِئَة مِثْقَال فِضَّة ، إنْ رَضِيتَ**) ، فقال « عَلِيّ » : **رَضِيتُ يَا رَسُولَ الله** .. ثم خَرَّ لله ساجدًا ، فلما رفع رأسه ، قال له النبي (ﷺ) : (**بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا ، وبَارَكَ عَلَيْكُمَا ، وأَخْرَجَ مِنْكُمَا الْكَثِيرَ الطَّيِّب**)[١] ..

هذا .. ولم تعش للنبى (ﷺ) ذرية ، ولم يكن له نسل إلا من السيدة « فاطمة » ، تلك الذرية التى هى عترة النبى ، وزينة أهل بيته ..

ودخل النبي (ﷺ) على ابنته « فَاطِمَة » (رضي الله عنها) يومًا فَلَمْ يَجِدْ « عَلِيًّا » فِي الْبَيْتِ ، فَقَالَ : (**أَيْنَ ابْنُ عَمِّك ؟**)[٢] .. فَقَالَتْ : **كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ ، فَغَاضَبَنِي ، فَخَرَجَ ، فَلَمْ يَقِلْ**[٣] **عِنْدِي** .. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) لإِنْسَانٍ : (**انْظُرْ أَيْنَ هُوَ**) .. فَجَاءَ ، فَقَالَ : **يَا رَسُولَ اللَّه ، هُوَ فِي الْمَسْجِد رَاقِدٌ** .. فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) و« عَلِيٌّ » مُضْطَجِعٌ قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ فَأَصَابَهُ تُرَابٌ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يَمْسَحُهُ عَنْهُ ، وَهُوَ يَقُولُ : (**قُمْ أَبَا تُرَابٍ .. قُمْ أَبَا تُرَابٍ**)[٤]..

ويقول « سَهْل بْن سَعْدٍ » (رضي الله عنه) : مَا كَانَ لِعَلِيٍّ اسْمٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ : « **أَبِي تُرَابٍ** » ، وَإِنْ كَانَ لَيَفْرَحُ بِهِ إِذَا دُعِيَ بِهَا[٥] ..

وقد آخَى رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) بين المهاجرين والأنصار بعد هجرته إلى المدينة ،

---

[١] رواه ابن عساكر .

[٢] ولم يقل (ﷺ) : أين زوجك ؟ ليرقق قلبها ، ويذكرها بصلة الرحم ، والدم التى بينها وبينه .

[٣] القيلولة : النوم فى منتصف النهار .

[٤] رواه البخارى كتاب الاستئذان .

[٥] رواه البخارى كتاب الاستئذان .

وترك « عَلِيًّا » (رضي الله عنه) فلم يؤاخ بينه وبين أحد ، فَجَاءَهُ تَدْمَعُ عَيْنَاهُ فَقَالَ : **يَا رَسُولَ اللَّهِ ، آخَيْتَ بَيْنَ أَصْحَابِكَ ، وَلَمْ تُؤَاخِ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَدٍ** .. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (**أَنْتَ أَخِي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**)[1] ..

وقد حاز « عَلِيٌّ » (رضي الله عنه) شرفًا كبيرًا إذ كان أحد أهل الْمُبَاهَلَة ، وأحد أهل الرِّدَاء .. أما أهل الْمُبَاهَلَة : فحينما نزل على النبى (صلى الله عليه وسلم) قول الله عز وجل : (فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ)[2] .. دَعَا رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) « عَلِيًّا » ، و« فَاطِمَةَ » ، و« حَسَنًا » ، و« حُسَيْنًا » (رضي الله عنهم) فَقَالَ : (**اللَّهُمَّ هَؤُلاَءِ أَهْلِي**)[3] .. أما أهل الرِّدَاء : فقد رُوِىَ أنه نزل عَلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) وهو فِي بَيْتِ السيدة « أُمِّ سَلَمَةَ » (رضي الله عنها) قول الله عز وجل : (إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)[4] فدَعَا « فَاطِمَةَ » ، و« حَسَنًا » ، و« حُسَيْنًا » فَجَلَّلَهُمْ [5] بِكِسَاءٍ ، و« عَلِيٌّ » خَلْفَ ظَهْرِهِ فَجَلَّلَهُ بِكِسَاءٍ ، ثُمَّ قَالَ : (**اللَّهُمَّ هَؤُلاَءِ أَهْلُ بَيْتِي ، فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ ، وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا**) .. قَالَتْ « أُمُّ سَلَمَةَ » : **وَأَنَا مَعَهُمْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ؟** .. قَالَ : (**أَنْتِ عَلَى مَكَانِكِ ، وَأَنْتِ عَلَى خَيْرٍ**)[6] ..

ولقد كان « عَلِيٌّ » (رضي الله عنه) من أشجع الناس .. ففى غزوة « بَدْرٍ » خرج

---

[1] رواه الترمذى كتاب المناقب .
[2] سورة آل عمران آية ٦١ .
[3] رواه الترمذى كتاب تفسير القرآن .
[4] سورة الأحزاب آية ٣٣ .
[5] جللهم : غطاهم .
[6] رواه الترمذى كتاب تفسير القرآن .

من صفوف المشركين « عُتْبة بن رَبِيعَة » بين أخيه « شَيْبَة » وابنه « الوَلِيد بن عُتْبة » ، ودعا إلى المبارزة ، فخرج له فتية من الأنصار ، فقال لهم : **ما لنا بكم حاجة ، إنما نريد قومنا** .. ونادَوْا : **يا محمد ، أخرج إلينا أَكْفَاءَنا من قومنا** .. فخرج إليهم « حمزة بن عبد المطلب » ، و« على بن أبى طالب » ، و« عبيدة ابن الحارث بن عبد المطلب » (رضي الله عنهم) ، والتقى الخَصْمان ، فقتل « حمزةُ » شيبةَ ، وقتل « عَلِىٌّ » الوليدَ ، ثم أعانا « عُبَيْدة » على قتل « عُتْبَة » [1] .. وفي ذلك نزل قول الله عز وجل : (هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمْ ...) الآية [2] ..

وفي غزوة « أُحُد » صاح « طلحة بن أبى طلحة » حامل لواء أهل مكة : **هل مِنْ مُبَارِز ؟** .. فخرج له « علىٌّ » فبارزه وقتله ، وكَبَّر المسلمون ، وشَدُّوا على المشركين .. وحينما أشيع أن النبى (ﷺ) قد قتل قال « عَلِىّ » : **والله ما قُتِل النَّبِىّ** .. وأخذ سيفه واقتحم جموع الكفار ، وضُرِب ستَّ عَشْرَةَ ضربة ، كل ضربة منها تقعده ، ولكنه كان يقوم ويكمل القتال حتى وصل إلى رسول الله (ﷺ) فوجده قد جُرِح فى وجهه الشريف فملأ « عَلِىّ » درعه بالماء فغسل النبى (ﷺ) به الدم عن وجهه ، وصَبَّ منه على رأسه ..

وفى غزوة « الْخَنْدَق » خرج من صفوف كفار مكة والأحزاب « عَمْرُو بن وُدّ » – المعروف بأنه فارس العرب الذى لا يقوى أحد على مواجهته ، أو مبارزته – يَخْتَال على فرسه ، وينادى فى المسلمين من خلف الخندق : **هَلْ مِنْ**

---

(1) سيرة ابن هشام .

(2) سورة الحج آية ١٩ .

مُبَارِزٍ ؟ .. فَقَامَ « عَلِيٌّ » (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) وَهُوَ مُقَنَّعٌ بِالْحَدِيدِ فَقَالَ : **أَنَا لَهُ يَا نَبِيَّ اللهِ** .. فَقَالَ (ﷺ) : (**إِنَّهُ عَمْرٌو ! .. اجْلِسْ**) .. وَنَادَى « عَمْرٌو » مرة ثانية : **أَلاَ رَجُلٌ يُنَبِّئُهُمْ وَيَقُولُ : أَيْنَ جَنَّتُكُمُ التِي تَزْعُمُونَ أَنَّهُ مَنْ قُتِلَ مِنْكُمْ دَخَلَهَا ، أَفَلاَ تُبْرِزُونَ لِي رَجُلاً ؟!** .. فَقَامَ « عَلِيٌّ » فَقَالَ : **أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ** .. فَقَالَ (ﷺ) : (**اجْلِسْ .. إِنَّهُ عَمْرٌو**) .. ثُمَّ نَادَى « عَمْرٌو » الثَّالِثَةَ ، فَقَامَ « عَلِيٌّ » فَقَالَ : **يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا لَهُ** .. فَقَالَ (ﷺ) : (**إِنَّهُ عَمْرٌو !**) .. فَقَالَ « عَلِيٌّ » : **وَإِنْ كَانَ عَمْرًا ؟!** .. فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ (ﷺ) ، فَمَشَى إِلَيْهِ « عَلِيٌّ » حَتَّى أَتَاهُ ، فَقَالَ لَهُ « عَمْرٌو » : **مَنْ أَنْتَ ؟** قَالَ : **أَنَا عَلِيّ !** قَالَ : **ابْنُ عَبْدِ مَنَافٍ ؟** قَالَ : **أَنَا ابْنُ أَبِي طَالِبٍ** .. ثم استطرد قائلا : **يَا عَمْرُو ، إِنَّكَ قَدْ كُنْتَ عَاهَدْتَ اللهَ أَلاَّ يَدْعُوكَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى إِحْدَى خُلَّتَيْنِ إِلاَّ أَخَذْتَهَا مِنْهُ** .. قَالَ لَهُ : **أَجَلْ** .. فَقَالَ لَهُ « عَلِيٌّ » : **فَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللهِ ، وَإِلَى رَسُولِهِ ، وَإِلَى الإِسْلاَمِ** .. قَالَ : **لاَ حَاجَةَ لِي بِذَلِكَ** .. قَالَ : **فَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى النِّزَالِ** .. فَقَالَ : **غَيْرَكَ يَا ابْنَ أَخِي مِنْ أَعْمَامِكَ مَنْ هُوَ أَسَنّ مِنْكَ ، فَوَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَكَ** .. قَالَ لَهُ « عَلِيٌّ » : **لَكِنِّي وَاللهِ أُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَكَ** .. فَحَمِيَ « عَمْرٌو » عِنْدَ ذَلِكَ ، فَاقْتَحَمَ عَنْ فَرَسِهِ فَعَقَرَهُ ، وَضَرَبَ وَجْهَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى « عَلِيّ » فَتَنَازَلاَ وَتَجَاوَلاَ ، فَقَتَلَهُ « عَلِيٌّ » (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) [1] .. وكبر المسلمون ، وعاد « عَلِيٌّ » إلى مكانه ..

هذا .. وتمتنع حصون اليهود فى غزوة « خَيْبَر » على المسلمين أيامًا ، فيقول

---

[1] سيرة ابن هشام .

النبى (ﷺ) : (**لأُعْطِيَنَّ هَذِه الرَّايَةَ غَدًا رَجُلاً يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْه ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**) .. فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ [1] لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّه (ﷺ) كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا ، فَقَالَ : (**أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب ؟**) .. فَقِيلَ : هُوَ يَا رَسُولَ اللَّه يَشْتَكِي عَيْنَيْه .. قَالَ : (**فَأَرْسِلُوا إِلَيْه**) .. فَأُتِيَ بِه ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) فِي عَيْنَيْه ، وَدَعَا لَهُ ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِه وَجَعٌ ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ .. فَقَالَ « عَلِيٌّ » : **يَا رَسُولَ اللَّه ، أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا ؟** .. فَقَالَ : (**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ** [2] **حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّه فِيه ، فَوَاللَّه لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ** [3]) [4] ..

ويقول « عَلِيٌّ » (رضي الله عنه) : (**مَا رَمِدْتُ** [5] **، وَلا صُدِعْتُ مُنْذُ مَسَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجْهِي ، وَتَفَلَ فِي عَيْنِي يَوْمَ خَيْبَر حِينَ أَعْطَانِي الرَّايَة**) [6] ..

وفى غزوة « تَبُوك » التى أُطلق عليها غزوة « العُسْرَة » استخلف رسول الله (ﷺ) « عَلِيًّا » (رضي الله عنه) على المدينة ، ولم يأذن له بالخروج معه ، فمَاجَ المنافقون بالمدينة ، وفي عسكر رسول الله (ﷺ) وقالوا : **كَرِهَ قُرْبَهُ ، وسَاءَ فِيه رَأْيُهُ** .. فاشتد ذلك على « عَلِيّ » فقال : **يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تُخَلِّفُنِي مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ ؟**

---

[1] يدوكون : أى باتوا فى اختلاط واختلاف .
[2] على رسلك : أى بتأنٍ وتمهل .
[3] حمر النعم : الإبل الحمراء ، وهى أنفس أموال العرب .
[4] رواه البخارى كتاب المغازى .
[5] الرمد : مرض يصيب العينين .
[6] رواه أبو يعلى فى مسنده .

أنَا عَائذٌ بالله مِنْ سَخَط الله وسَخَط رَسُوله .. فقال : (**رَضِيَ اللَّهُ يَا أبَا الْحَسَن بِرِضَائِي عَنْكَ** ، **فَإنَّ الله عَنْكَ رَاضٍ** ، **إنَّمَا مَنْزِلُكَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى** ، **غَيْرَ أنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي**) – يشير (ﷺ) إلى قول الله عز وجل : (وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَـٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ)[1] – فقال « عَلِيّ » : **رَضِيتُ** ، **رَضِيتُ** ..[2]

ويقول « عَلِيٌّ » (رضي الله عنه) : بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّه (ﷺ) إلَى الْيَمَنِ ، فَقُلْتُ : **يَا رَسُولَ اللَّه** ، **تَبْعَثُنِي وَأنَا شَابٌّ أقْضِي بَيْنَهُمْ** ، **وَلاَ أدْرِي مَا الْقَضَاءُ** ؟! .. قَالَ : فَضَرَبَ بِيَده فِي صَدْرِي ، ثُمَّ قَالَ : (**اللَّهُمَّ اهْدِ قَلْبَهُ** ، **وَثَبِّتْ لِسَانَهُ**) .. قَالَ : فَمَا شَكَكْتُ بَعْدُ فِي قَضَاءٍ بَيْنَ اثْنَيْنِ ..[3]

و« عَلِيٌّ بن أبِي طَالِب » (رضي الله عنه) من العشرة المبشَّرين بالجنة ، لقول النبي (ﷺ) : (**عَلِيٌّ فِي الْجَنَّة**)[4].. ومناقب « عَلِيّ » (رضي الله عنه) كثيرة :

فعَنْ « جَابرِ بْنِ عَبْد اللَّه » (رضى الله عنهما) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) : (**يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ مِنْ تَحْتِ هَذَا السُّورِ رَجُلٌ مِنْ أهْلِ الْجَنَّة**) .. قَالَ : فَطَلَعَ عَلَيْهِمْ أبُو بَكْرٍ رِضْوَانُ اللَّه عَلَيْه ، فَهَنَّأْنَاهُ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) .. ثُمَّ لَبِثَ هُنَيْهَةً ، ثُمَّ قَالَ : (**يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ مِنْ تَحْت هَذَا السُّورِ رَجُلٌ مِنْ أهْلِ الْجَنَّة**) .. قَالَ : فَطَلَعَ عُمَرُ ، قَالَ : فَهَنَّأْنَاهُ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) .. قَالَ : ثُمَّ قَالَ : (**يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ**

---

[1] سورة الأعراف آية ١٤٢ . [2] رواه ابن عساكر . [3] رواه ابن ماجه كتاب الأحكام .
[4] رواه الترمذي كتاب المناقب .

مِنْ تَحْتِ هَذَا السُّورِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ جَعَلْتَهُ عَلِيًّا – ثَلاثَ مَرَّاتٍ –) .. فَطَلَعَ عَلِيٌّ (رضي الله عنه) .. [١]

وعن السيدة « أم سَلَمَة » (رضى الله عنها) قالت : سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول : (**عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ ، والقُرْآنُ مَعَهُ ، لا يَفْتَرِقَانِ حَتَّى يَرِدَا عَلَىَّ الْحَوْضَ**)[٢] .. [٣]

وعن السيدة « عائشة » (رضي الله عنها) قالت : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (**ادْعُوا لِي سَيِّدَ الْعَرَبِ**) .. فقلتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَلَسْتَ سَيِّد الْعَرَب ؟ .. قال : (**أنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ ، وعَلِيٌّ سَيِّدُ الْعَرَبِ**)[٤] ..

ويَرْوِي « عَلِيٌّ » (رضي الله عنه) فيقول : قَالَ رَسُولُ اللَّه (صلى الله عليه وسلم) : (**رَحِمَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ ، زَوَّجَنِي ابْنَتَهُ ، وَحَمَلَنِي إِلَى دَارِ الْهِجْرَةِ ، وَأَعْتَقَ بِلالاً مِنْ مَاله .. رَحِمَ اللَّهُ عُمَرَ ، يَقُولُ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا ، تَرَكَهُ الْحَقُّ وَمَا لَهُ صَدِيقٌ .. رَحِمَ اللَّهُ عُثْمَانَ ، تَسْتَحْيِيهِ الْمَلائِكَةُ .. رَحِمَ اللَّهُ عَلِيًّا ، اللَّهُمَّ أَدِرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ**)[٥] ..

ويقول (رضي الله عنه) : عَهِدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) أَنَّهُ : (**لاَ يُحِبُّكَ إِلاَّ مُؤْمِنٌ ، وَلاَ يُبْغِضُكَ إِلاَّ مُنَافِقٌ**)[٦] .. ويقول « أبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ » (رضي الله عنه) : **إِنَّا كُنَّا لَنَعْرِفُ الْمُنَافِقِينَ نَحْنُ مَعْشَرَ الأَنْصَارِ بِبُغْضِهِمْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ** .. [٧]

وعن « أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ » (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (**أَرْحَمُ أُمَّتِي**

---

[١] رواه أحمد باقى مسند المكثرين .
[٢] حوْض الرسول (صلى الله عليه وسلم) : الذي يَسْقِي منه أُمَّته يوم القيامة .
[٣] رواه الطبراني فى المعجم الأوسط .
[٤] رواه الحاكم فى المستدرك .
[٥] رواه الترمذى كتاب المناقب .
[٦] رواه أحمد مسند العشرة المبشرين بالجنة .
[٧] رواه الترمذى كتاب المناقب .

بِأُمَّتِي : أَبُو بَكْرٍ .. وَأَشَدُّهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ : عُمَرُ .. وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً : عُثْمَانُ .. وَأَقْضَاهُمْ : عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .. وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ : أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ .. وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ : مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ .. وَأَفْرَضُهُمْ [1] : زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ .. أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا ، وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ : أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ)[2] ..

هذا .. وتمر خلافة « أبى بكر » ، وتمضى خلافة « عمر » ، ويكون « علىٌّ » من بين الستة الذين عهد إليهم « عمر » ، وهم : « عَلِيّ » ، و« عُثْمَان » ، و« الزُّبَيْر » ، و« طَلْحَة » ، و« سَعْد بن أبى وَقَّاص » ، و« عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عوف » .. وحين سُئِل « عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْف » : **كَيْفَ بَايَعْتُمْ عُثْمَانَ وَتَرَكْتُمْ عَلِيًّا (رضى الله عنهما)** ؟ .. قَالَ : مَا ذَنْبِي !! قَدْ بَدَأْتُ بِعَلِيٍّ فَقُلْتُ : **أُبَايِعُكَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَسِيرَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ (رضى الله عنهما)** .. فَقَالَ : **فِيمَا اسْتَطَعْتُ** .. ثُمَّ عَرَضْتُهَا عَلَى عُثْمَانَ (رضي الله عنه) فَقَبِلَهَا ..[3]

وتمضي الأيام وتحدث الفتنة ويحاصر الثائرون منـــزل « عثمان » (رضي الله عنه) ، ويأمر « علىّ بن أبى طالب » (رضي الله عنه) الحسنَ والحسينَ فيبقيان مع « عثمان » لحمايته ، وينفذ قضاء الله عز وجل ويُقتل « عثمان » ، ويأتى الناس إلى « عليٍّ » يبايعونه بالخلافة ، وكان لابن عباس رأى آخر وهو : أن ينتظر « عليٌّ » ولا يقبل الخلافة حتى يبايعه أهل الشام ويبايعه كل المتخلفين ويأتى الناس من الأمصار

---

[1] أى أعلمهم بعلم الفرائض (المواريث) .
[2] رواه ابن ماجه فى المقدمة .
[3] رواه أحمد مسند العشرة المبشرين بالجنة .

للمبايعة ، قائلاً له : **إِنْ قُمْتَ الآنَ بِهَذَا الأَمْر أَلْزَمَكَ النَّاسُ دَمَ عُثْمَان إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَة** [1] .. ولكن « عليًّا » نزل على رغبة المهاجرين والأنصار وأهل بدر وقبل البيعة ..

وحدث الخلاف بينه وبين السيدة « عَائِشَة » ، و« طَلْحَة » ، و« الزُّبَيْر بن العَوَّام » (رضي الله عنهم) .. وخرجت السيدة « عَائِشَة » وخرج معها بعض الناس يريدون الشام وخرج « علىّ بن أبى طالب » والتقيا فى موقعة « الجمل » .. ولَمَّا دنت الصفوف بعضها من بعض ، خرج « علىّ » و هو على بغلة رسول الله (ﷺ) ، فنادى : **ادعوا لي الزُّبَيْرَ بن العَوَّام** .. فُدعِىَ له « الزُّبَيْر » فأقبل حتى اختلفت أعناق دوابِّهما ، فقال « علىّ » : **يَا زُبَيْر ناشدتك بالله ، أَتَذْكُرُ يوم مَرَّ بك رسول الله (ﷺ) مكان كذا وكذا فقال : يَا زُبَيْرُ تُحبُّ عَلِيًّا ؟ فَقُلْتَ : ألاَ أُحِبُّ ابْنَ خَالِي وابن عَمِّي وعَلَى دِينِي !! فقال : يَا عَلِيُّ أَتُحِبُّهُ ؟ فَقُلْتُ : يا رسولَ الله ألا أُحِبُّ ابْنَ عَمَّتِي وعَلَى دِينِي ؟ فقال (ﷺ) : يَا زُبَيْرُ ، أَمَا والله لَتُقَاتِلَنَّهُ وأَنْتَ ظَالِمٌ لَهُ** .. فقال « الزُّبَيْر » : **بَلَى ، والله لَقَدْ نَسِيتُهُ مُنْذُ سَمِعْتُهُ منْ رَسُولِ الله (ﷺ) ثم ذَكَرْتُهُ الآن ، والله لاَ أُقَاتِلُكَ** [2] .. فرجع « الزبير » ، وقرر العودة إلى المدينة .. ثم استدعى « عليٌّ » (رضي الله عنه) « طَلْحَة » (رضي الله عنه) وقال له : **يا طَلْحَة ، أَجِئْتَ بِعِرْسِ** [3] **رَسُولِ الله (ﷺ) تُقَاتِلُ بِهَا ، وخَبَّأْتَ عِرْسَكَ فِي الْبَيْتِ ؟!** [4] ..

---

[1] رواه ابن عساكر .   [2] البداية والنهاية لابن كثير .   [3] بعِرْس : بزوج .

[4] البداية والنهاية لابن كثير .

فأفاق « طلحة » وقرر العودة ، ولكن الناس الذين ابتغوا الفتنة أحاطوا بالجمل الذى كان عليه هودج السيدة « عائشة » ورموا جيش « علىّ » بالنبل وبالسهام ، وبدأ التراشق ، فخشى « علىّ بن أبي طالب » من هول هذا الموقف فقال لِمَنْ معه : عليكم بالجمل .. عليكم بالجمل – لأن الجمل لو بقى واقفًا وعليه هودج السيدة « عائشة » لبقى الناس يدافعون عنه حتى آخر رجل منهم – فرمى أحد أصحاب « علىّ » ذلك الجمل بسهم فوقع وتفرق الناس ، فذهب « علىّ » إلى السيدة « عائشة » وأكرم نزلها ، وأمر بحملها معزَّزة مكرَّمة إلى المدينة ، وسار هو إلى الشام بعد أن استدعاه أهل الكوفة وأهل العراق ..

وكان « عَلِيّ بن أبي طالب » (رضي الله عنه) قد عزل جميع الأمراء الذين ولاّهم « عثمان بن عفان » فأبى « معاوية بن أبي سفيان » أن يعتزل ، وأبَى أن يبايع « عليًّا » حتى يسلمه قتلة « عثمان » باعتبار أنه من أولياء دم « عثمان » ، فهو من بنى أمية ، وله حق القصاص ..

وكانت وجهة نظر « عليّ بن أبي طالب » ألا يأخذ بثأر « عثمان » حتى تستتب له الأمور ، وتستقر الخلافة ، وتقوى شوكة المسلمين ، وتُرد إلى الإسلام هيبتُه ، ثم يأتى بعد ذلك بقتلة « عثمان » حيثما كانوا .. بينما كان رأى السيدة « عائشة » ورأى « معاوية » وكل من رفض البيعة أنه ما كان لعلىٍّ أن يقبل الخلافة والبيعة ولا طاعة له حتى يقيم القصاص فيأخذ بثأر « عثمان » ويقتل قتلته قبل البيعة وقبل الخلافة ، وهذا هو سر الخلاف الذى نشأ بينهم ، ولم يكن خلافهم من أجل التنافس على الدنيا كما ظن بعض الناس الذين اختلطت عليهم

الأمور ، ووقعوا فى أعراض أصحاب النبى (ﷺ) ، وأخطأوا فى حقهم ، واغتابوهم ، وشهدوا للبعض ، وشهدوا على البعض .. والله سبحانه وتعالى من فوق سبع سماوات ، ومن قبل أن تحدث هذه الفتنة خاصة ، قد قال إنّ كلا الفريقين مؤمن كما جاء في قوله تعالى : (وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنْۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ)[1] .. كما أن رسول الله (ﷺ) سماهم كذلك ، فعن « أَبِي بَكْرَةَ » قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) عَلَى الْمِنْبَرِ ، و« الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ » إِلَى جَنْبِهِ ، وَهُوَ يُقْبِلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً ، وَعَلَيْهِ أُخْرَى ، وَيَقُولُ : (**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**)[2].. وهذا ما حدث من بعدُ – بعد خلافة « عليّ » (رضي الله عنه) ومقتله – حين صالح « الحسنُ » معاويةَ (رضى الله عنهما) ..

وقبل أن يخرج « علىّ » (رضي الله عنه) إلى العراق ، ذهب إليه « عبد الله بن سلام » (رضي الله عنه) وقال له : **لا تَقْدَم العِرَاق ، فإنِّي أَخْشَى أن يُصيبَكَ بها ذُبَابُ السَّيْفِ** [3] .. فقال « علىّ » : (**وأَيْمُ اللهِ ، لَقَدْ أَخْبَرَنِي بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ**) .. ثم جاءه « حُذَيْفَة ابن الْيَمَان » (رضي الله عنه) يحاول أن يثنيه عن عزمه ، فَأَبَى إلا الخروج إلى العراق ..

وتدور الأيام ويجىء شهر رمضان و« علىّ » (رضي الله عنه) بالكوفة .. ويقول « عثمان ابن المغيرة » : لَمَّا دخل شهر رمضان جعل « علىّ » يتعشى ليلة عند « الحسن » ،

---

[1] سورة الحجرات آية ٩ . [2] رواه البخارى كتاب الصلح . [3] طرفه الذى يُضرب به .

وليلة عند « الحسين » ، وليلة عند « عبد الله بن جعفر » ، لا يزيد على ثلاث لقم ، ويقول : (**يَأْتِي أَمْرُ اللهِ وأنَا خَمِيص** [1] ، **وإنَّمَا هِيَ لَيْلَةٌ أو لَيْلَتَان**) [2] ..

ويَرْوِي « صُهَيْب بن سِنَان » (رضي الله عنه) عن « عَلِيٍّ » (رضي الله عنه) قوله : قال لي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (**مَنْ أَشْقَى الأَوَّلِين ؟**) .. قلت : **عَاقِر النَّاقَة** .. قال : (**صَدَقْتَ ، فَمَنْ أَشْقَى الآخِرِينَ ؟**) .. قلت : **لا علم لي يا رسول الله** .. قال : (**الذى يَضْرِبُكَ عَلَى هَذا**) وأشار بيده إلى يَافُوخِه .. وكان (رضي الله عنه) يقول : (**وَدِدْتُ أَنَّهُ قَدِ انْبَعَثَ أشْقَاكُمْ ، فَخَضَّبَ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ**) يعني لحيته من دم رأسه .. [3]

وخرج « عَلِيٌّ » (رضي الله عنه) لصلاة الفجر فى صبيحة اليوم المشهود ، وكان ذلك لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان ، فاستقبله الإوَزّ يَصِحْنَ فى وجهه ، فقام أهل الدار بطردهن عنه ، فقال : (**دعوهن فإنَّهنَّ نَوَائِح**) [4] .. أى إن الإوَزّ ينوح على « عَلِيٍّ » فقد آن الأوان للقائه رِبِّه ، ويذهب (رضي الله عنه) إلى المسجد ، ويأتى « عبد الرحمن بن مُلجم » ويَخْتَبِئ ، وكان معه رجل آخر ، ويُخرجان سيفيهما ، ويضرب « عبد الرحمن بن مُلجم » عَلِيَّ بن أبى طالب بالسيف ، فيصيب جبهته ، ويصل السيف إلى دماغه فينشق ، وتتفجر الدماء ، فتخضب لحيته البيضاء – فقد كان أبيض الرأس واللحية – فقال « عَلِيٌّ » : (**لا يفوتَنَّكُم الرجل**) .. فشدَّ الناس عليه من كل جانب ، وأخذوه ، وأُدْخِلَ على « عَلِيّ » فقال : (**إِنَّهُ أَسِيرٌ**

---

(1) خميص : أى فارغ البطن .　(2) أُسد الغابة لابن الأثير .　(3) رواه أبو يعلى فى مسنده .

(4) أُسد الغابة لابن الأثير .

فَأَحْسِنُوا نُزُلَهُ ، وأَكْرِمُوا مَثْوَاهُ ، فَإِنْ بَقِيتُ : قَتَلْتُ أَوْ عَفَوْتُ ، وإِنْ مِتُّ فَاقْتُلُوهُ ، ولاَ تَعْتَدُوا ، إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) [1] ..

و« ابن ملجم » هذا كان من الخوارج ، وقد تعاهد فى مكة مع رجلين عند البيت على قتل « علىّ » ، و« معاوية » ، و« عمرو بن العاص » ، على أن يتولى « ابن مُلجم » قتل « علىّ » ، ويتولى الآخران قتل « معاوية » ، و« عمرو بن العاص » ، فنجح « ابن مُلجم » وفشل الآخران ..

ويموت « عَلِىٌّ » (رضي الله عنه) بِهَذِه الضربة ، وكانت سِنُّهُ ثلاثًا وستين سنة ، وكانت خلافته (رضي الله عنه) خمس سنين إلا ثلاثة أشهر .. ويغسله ابناه ، و« عبد الله بن جعفر » ، ويُصَلِّي عليه « الحسن » ابنه .. ويُكَفَّن (رضي الله عنه) في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص .. ويدفن في السحر .. ويُؤتى بابن مُلجم إلى « الحسن » و« الحسين » فيقتلانه قصاصًا ..

ويلقى « عَلِىٌّ » رَبَّه شهيدًا .. تبكيه الأرض ، وتبكيه السماء .. ويلحق برسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبأصحابه السابقين .. وتحيق اللعنة بالمتآمرين عليه لقتله مصداقًا لقول النبى (صلى الله عليه وسلم) : (**اللَّهُمَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاَهُ ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاَهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ**) [2] ..

رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وأَرْضَاكَ ، وطَيَّبَ ثَرَاكَ
وجَزَاكَ اللهُ عَنْ جِهَادِكَ فِي سَبِيلِه خَيْرَ مَا جَازَى بِهِ الْمُجَاهِدِين ..

---

[1] أُسد الغابة لابن الأثير .

[2] رواه أحمد مسند العشرة المبشرين بالجنة .

طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ (رضى الله عنه)

كان « طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ الله القُرَشِيُّ » (رضي الله عنه) مِنْ قَبِيلَةِ « تَيْم » ، وهى قَبِيلة « أَبِى بَكْر الصديق » (رضي الله عنه) ، وقد أخذه « أَبُو بكر » مِنْ يَدِه وهو ابن إحدى وعشرين سَنَة ، ودخل به على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فَأَسْلَمَ ، فكان من أوائل المسلمين ، ومن العَشرة الْمُبَشَّرِين بالْجَنَّة ، ومن السِّتَّة أَهْلِ الشُّورَى الَّذِين قال فيهم « عمر بن الخطاب » (رضي الله عنه) : (**تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ**)[1] ..

ولقد آخى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بينه وبَيْنَ « الزُّبَيْر بْنِ العَوَّامِ » (رضي الله عنه) بمكَّة قبل الْهِجْرَة ، ثم آخى بينه وبين « أبي أَيُّوب الأَنْصَارِىّ » فى المدينة بعد الْهِجْرَة ..

وحين جاءت غزوة « بَدْرٍ » كان « طَلْحَة » و« سَعِيد بن زَيْد » (رضي الله عنهما) فى سَرِيَّة قِبَلَ الشام يتحسَّسُون أخبار قافلة قُرَيْشٍ ، فلم يشهدَا الغَزْوَة ، ولَمَّا رَجَع « طَلْحَةُ » ، قال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (**لَكَ سَهْمُكَ مِنَ الْغَنَائِم**) .. قال : **وأَجْرِى يَا رَسُولَ الله ؟!** .. قال : (**ولَكَ أَجْرُكَ**)[2] ..

وفى غزوة « أُحُد » لم يَكن لــ « طَلْحَة » (رضي الله عنه) شاغل إلا حِمَاية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بِجَسَدِه حتى إنه كان يَصُدُّ النَّبْل عَنْه بيدِهِ حتى شُلَّت أصْبُعُهُ [3] .. ولَمَّا سقط رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى حُفْرَة وأُصِيبَ .. حَمَلَهُ « طَلْحَةُ » على ظَهْرِهِ حتى رَقى

---

[1] رواه البخارى كتاب المناقب . [2] رواه البيهقي فى السنن الكبرى . [3] فتح البارى لابن حجر .

على صَخْرَة ، وأخذ يَحْمِي رسولَ الله (ﷺ) ويتلقّى عنه الضَّربات ، حتى سقط مَغْشِيًّا عليه ، وبه بِضْعٌ وسَبْعُونَ إصَابة ما بَيْنَ : ضَرْبَةٍ بِسَيف ، وطعنة برُمْح ، ورَمْيَة بسَهْمٍ [1] .. وحين أسرع « أبو بكر » و« أبو عُبَيْدَةَ بن الجرَّاح » إلى رسول الله (ﷺ) وَجَدَا « طَلْحَةَ » صَرِيعًا بين يَدَيْه .. فقال لهم النبى (ﷺ) : (**دُونَكُمْ أَخُوكُمْ ، فَقَدْ أَوْجَبَ** [2])[3] فأصْلَحَا من شأنه ، وحملاه إلى المدينة ..

ولقد شهد « طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ الله » جميع المشاهد مع رسول الله (ﷺ) كما شهد بيعة الرِّضْوَان ، وسمَّاه رسول الله (ﷺ) يوم غزوة « أُحُد » : (**طَلْحَةُ الْخَيْر**) .. ويوم غزوة « العُسْرَة » : (**طَلْحَةُ الْفَيَّاض**) .. ويوم غزوة « حُنَيْن » : (**طَلْحَةُ الْجُود**) .. [4]

ولَمَّا نزل قول الحق تبارك وتعالى : (مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً)[5] قال أصحاب رسول الله (ﷺ) لأَعْرَابِيٍّ جَاهِلٍ : **سَلْهُ عَمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ مَنْ هُوَ** – وَكَانُوا لاَ يَجْتَرِئُونَ هُمْ عَلَى مَسْأَلَته يُوَقِّرُونَهُ وَيَهَابُونَهُ – فَسَأَلَهُ الأَعْرَابِيُّ ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ .. ثُمَّ سَأَلَهُ ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ .. ثُمَّ اطَّلَعَ « طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ الله » مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ خُضْرٌ ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ : (**أَيْنَ السَّائِلُ عَمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ ؟**) .. قَالَ الأَعْرَابِيُّ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ .. قَالَ : (**هَذَا مِمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ**)[6] ..

---

[1] فتح البارى لابن حجر . [2] أوجب : استحق الجنة . [3] رواه البزار فى مسنده .
[4] رواه الطبراني فى المعجم الكبير . [5] سورة الأحزاب آية ٢٣ . [6] رواه الترمذى كتاب المناقب .

ويقول « جابر بن عبد الله » (رضي الله عنه) : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ : (**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ**)[1]..

وحين جاءت خلافة « عُثْمَان بن عفان » (رضي الله عنه) ، وكثرت شكاوى الناس من الوُلاَةِ ، كان « طلحة » ممَّن عارضوا « عثمان » فى تصرُّفَاته ، فلما قُتِل « عثمان » نَدمَ « طَلْحَةُ » على مُعَارضته ، ولم يكن يَحْسَب أن تصلَ المعارضةُ إلى سَفْكِ الدِّمَاء ، وخرج مُطَالِبًا بِثَأْرِ « عثمان » مع « الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّام » ، والسَّيِّدة « عائشة » (رضي الله عنها) ..

وجاءت وقعة « الْجَمَل » ، وأرسل « عَلِيٌّ بن أبى طالب » يطلب « الزُّبَيْرِ » و« طَلْحَة » للحِوَارِ ، وذكَّرَهما بأمُور ، وعاتَبَهما فقرَّرَا العَوْدَةَ إلى المدِينَة ، واعْتِزَال القِتَال .. ولم يُرْضِ هَذَا بَعْضَ الناس الذين يُرِيدُون للفِتْنَة أَنْ تَسْتعِر ، فقتل « ابن جرموز » الزُّبَيْر وهو قائم يصلِّى فى بعض الطريق ، ورمى أَحَدُهُم « طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ الله » بسَهْمٍ فى رُكْبَتِهِ فنَزَفَ مِنْهَا الدَّم ، فجعلوا كلما أَمْسَكُوا فَمَ الْجُرْحِ انتفخت رِجْلُه ، وإذا تركوه جرى الدَّمُ ، فقال « طلحة » : **دَعُوهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ سَهْمٌ أَرْسَلَهُ اللهُ**[2] .. **اللَّهُمَّ خُذْ لِعُثْمَان مِنِّى الْيَوْمَ حَتَّى تَرْضَى**[3] .. فأخذ الدم يَنْزف حتى مَات ، وكان ابْنَ بِضع وستِّين سنَة ..

وجاء « عَلِيٌّ بْنُ أبى طَالب » (رضي الله عنه) حين أُخْبِر بِمَوْتِهِ ، ووقف عليه يبكى ،

---

[1] رواه الترمذى كتاب المناقب . [2] رواه ابن أبي شيبة . [3] رواه ابن سعد فى الطبقات الكبرى .

ويقول : **عَزِيزٌ عَلَيَّ أَبَا مُحَمَّد أَنْ أَرَاكَ (مُجَدَّلاً)** [١] **تحت نُجُومِ السَّمَاء** .. ثم قال : **إِلَى اللهِ أَشْكُو (عُجَرِى وبُجَرى)** [٢] .. **لَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ بِعِشْرِين سَنَة** .. [٣]

ويُرْوَى عن « عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ » (رضي الله عنه) أنه قَالَ : سَمِعَتْ أُذُنِي مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قوله : (**طَلْحَةُ ، وَالزُّبَيْرُ جَارَايَ فِي الْجَنَّة**)[٤] ..

ويقول (رضي الله عنه) : **إِنِّى لأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا ، وعُثْمَان ، وطَلْحَة ، والزُّبَيْر مِمَّنْ قَالَ اللهُ فِيهِمْ** : (وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ)[٥] .. [٦]

وهكذا نرى أن الجميع ندموا على خلافِاتهم التى استغلَّها بعض مُثِيرى الفتْنَة .. والذين لا يمكنهم العَيْشُ إلا فى أجواء العَدَاوة والبغضاء .. وإلاَّ فكيف نُفَسِّر ما حَدَثَ بين رجالٍ .. كُلُّهم مبشَّرون بالْجَنَّة : كـ « عَلِيٍّ » ، و« عُثْمَان » ، و« طَلْحَة » ، و« الزُّبَيْر » (رضى الله عنهم أجمعين) .. بسوى أن الخلافات حين خرجت إلى نطاق العامة الذين لا يُقَدِّرُون العَوَاقِب ، والذين يمكن أن يكون من بينهم من يكيد للإسلام وأهْلِه ، حدث ما حدث من صراع وقتال كانت الأمة فى غِنَى عنه لو أن الحوار كان بين أهل الْحَلِّ والعَقْد فقط ..

ولقد سمع « سَعْدُ بْنُ أَبِى وَقَّاص » (رضي الله عنه) رَجُلاً يَسُبُّ « عَلِيًّا » ، و« طَلْحَةَ » ، و« الزُّبَيْر » فقال له : **لا تَقَعْ فِى إِخْوَانِى** .. فأبى ، فقام « سعد » فصلى ركعتين ،

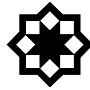
---

(١) مصروعا . (٢) همومى وأحزانى . (٣) أُسد الغابة لابن الأثير .
(٤) رواه الترمذى كتاب المناقب . (٥) سورة الحجر آية ٤٧ . (٦) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل .

ثم قال : **اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ مُسْخِطًا لَكَ فِيمَا يَقُولُ فَأَرِنِى فِيهِ آفَةً ، واجْعَلْهُ لِلنَّاسِ آيَةً** .. فخَرَج الرجل فإذا هو بجَمَل طويل العُنُق يشُقُّ طريقه بين الناس وكأنه يبحث عن شيء مُحدَّد ، ويأخذ الرجل بين قوائمه ، ويَبْرُكُ عليه ، ويسْحَقُهُ حتى يموت .. والناس من حوله ينظرون ويتعجَّبون ثم يلاحقون « سعدَ بْنَ أبى وقاص » وهم يقولون : **هَنِيئًا لَكَ أَبَا إِسْحَقَ .. أُجِيبَتْ دَعْوَتُكَ** .. [1]

وتمضى الأيام .. ويرى رجل فى منامه « طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ الله » (رضي الله عنه) يقول : **حَوِّلُونِى عَنْ قَبْرِى فَقَدْ آذَانِى الْمَاءُ** .. وتتكرر الرؤيا ثلاث ليال متتالية ، فيذهب الرجل إلى « ابْن عَبَّاس » يَقُصُّ عليه رؤياه ، فذهبوا إلى القَبْرِ فوجدوا الماءَ يَنْشَعُ ، فنقلوا « طَلْحَةَ » مِنْ قَبْرِه إلى قَبْرٍ جديد .. ويقول الراوى : **فَكَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَى الْكَافُورِ فِى عَيْنَيْهِ لَمْ يَتَغَيَّرْ إِلاَّ عَقِيصَتَهُ**[2] **فإنَّها مَالت عَنْ مَوْضِعِهَا** .. [3]

ويُوضَع الْجَسَدُ الطاهِرُ فى قَبْرِه الجَدِيد ، وكأنه نائم إلى حين .. لم تؤثِّر فيه الأرضُ ، ولم يَبْلَ ، ولن يَبْلَى إلى أن تقومَ الساعةُ .. وصدق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين قال : (**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ**)[4]..



---

(1) أُسد الغابة لابن الأثير .　(2) ضفيرته .　(3) أُسد الغابة لابن الأثير .

(4) رواه الترمذى كتاب المناقب .

الزُّبَيْرُ بْنُ العَوَّامِ (رضى الله عنه)

« الزُّبَيْر بن العوَّام » هو ابنُ أخى أمّ المؤمنين « خَدِيجَة بنت خُوَيْلد » (رضى الله عنها) ، وابن « صَفِيَّة » عمة رسول الله (ﷺ) ، وزوج « أَسْمَاء بنت أبى بكر الصديق » .. وهو من الخمسة الأوائل فى الإسلام .. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وواحد من السِّتَّة أهْلِ الشُّورَى الَّذِين أوصى لهم « عمر بن الخطاب » (رضي الله عنه) بالخلافة قائلاً عنهم : (**تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ**)[1] ..

أَسْلَمَ « الزُّبَيْر » وهو ابن خمس عشرة سنة ، ومع ذلك كان قوىَّ الإيمان ، راسخ اليقين ، فقد عُذِّب فى الله على رغم حَسَبِهِ ، ونَسَبِهِ ، وشَرَفِهِ .. وكان عمُّه يلفُّه فى حَصِير ، ثم يوقد عليه النار ، ويدخِّن عليه حتى يوشك أن يختنق ، ويقول له : اكْفُرْ بِرَبِّ مُحَمَّد .. فيقول : **لاَ واللهِ لاَ أَعُودُ إِلَى الْكُفْرِ أَبَدًا** [2] ..

وقد هاجر الهجرتين إلى الْحَبَشَة ، ثم هاجر إلى المدينة .. وهو أوَّل مَنْ شَهَرَ سيفًا فى سبيل الله ، وكان ذلك بِمَكَّة قبل أن يُؤْمَر المسلمون بالقتال ، حيث سرت إشاعة بأن الكُفَّار أخذوا النبى (ﷺ) ، فحمل سَيفه ، وخرج يصُول ، ويجول بمكة ، يريد أن يقتل أسيادها وصناديدها من قُرَيش ، فلقيه النبى (ﷺ) بأعلى مكَّة .. فقال له : (**مَالَكَ يَا زُبَيْر ؟!**) .. قال : **أُخْبِرْتُ أَنَّكَ أُخِذْتَ** .. فصلَّى

---

(1) رواه البخارى كتاب المناقب .

(2) رواه الطبراني بنحوه فى المعجم الكبير .

عليه النبى (ﷺ) ، ودعا له ، ولسيفه .. [1]

وقد شهد « الزبير » المشاهد كلها مع رسول الله (ﷺ) ، وما تخلَّف عن غزوة قط ، وكان مُعْتَمًّا بعمامة صفراء فى غزوة « بَدْر » ، وقيل إن الملائكة نزلت على سِيمَاه [2] .. [3]

وفى غزوة « الأحزاب » حيث حاصر المشركون المدينة المنوَّرة ، وزُلْزِلَ المؤمِنون زلزالاً شديدًا ، وبلغت القلوبُ الحناجرَ ، وظَنُّوا بالله الظنون ، نادى رسول الله (ﷺ) فى أصحابه : (**مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ بَنِي قُرَيْظَة ؟!**) .. فقام « الزبير » وقال : **أَنَا** .. فأعاد (ﷺ) القول ثلاث مرات ، وفى كل مرة يقوم « الزبير » ويقول : **أنا** .. فقال النبى (ﷺ) : (**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا ، وَحَوَارِيَّ : الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّام**)[4] ..

وحين حاصر المسلمون حِصْن « قُرَيْظَة » ، وامتنع عليهم ، صاح « على بن أبى طالب » (رضي الله عنه) : **يَا كَتِيبَةَ الإِيمَان** .. وتقدم هو و« الزُّبَيْر بن العوَّام » وقال : **واللهِ لأَذُوقَنَّ مَا ذَاقَ حَمْزَةُ ، أو لأَفْتَحَنَّ حِصْنَهُمْ** [5] .. ففتح الله لهما ، ودخل المسلمون إلى الحصن ..

ولم يكن للزُّبيْر (رضي الله عنه) شاغل إلا القتال فى سبيل الله ، والغزو .. وقال عنه النبى (ﷺ) : (**طَلْحَةُ ، وَالزُّبَيْرُ جَارَايَ فِي الْجَنَّةِ**)[6] ..

---

[1] أُسد الغابة لابن الأثير . [2] سيماه : هيئته . [3] أُسد الغابة لابن الأثير .
[4] رواه البخارى كتابي المناقب ، والجهاد والسير . [5] سيرة ابن هشام . [6] رواه الترمذى كتاب المناقب .

ويَرْوِى التابعي « حَفْص بن خَالِد » (رحمه الله) فيقول : حدثني شيخ قَدِم علينا من « الموصل » قال : صحبت « الزُّبَيْر بن العوَّام » (رضي الله عنه) في بعض أسفاره ، فأصابته جنابة فى أرض قَفْر [1] ، فقال : (**اسْتُرْنِي**) .. فسترته ، فحانت مِنِّي التفاتة إليه ، فرأيته مُجَدَّعًا بالسيوف ، فقلت : **والله لقد رأيتُ بك آثارًا ما رأيتُها بأَحَدٍ قَطُّ !!** فقال : (**وقد رَأَيْتَ ذَاكَ ؟ .. وَاللهِ مَا مِنْهَا جِرَاحَة إِلاَّ مَعَ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) فِى سَبِيلِ اللهِ**) [2] ..

وفى غزوة « اليَرْمُوك » كاد النصر أن يكون حَلِيفَ الأعداء ، فكَبَّر « الزُّبَيْر » ، وشقَّ صُفُوفَ الأعداءِ بِفَرَسِهِ من أوَّلها إلى آخِرِها ، ثم عاد وهو يُطِيحُ بالرءوس يَمْنَة ويَسْرَة ، فتشجع المسلمون ، وهجموا هَجْمة رَجُلٍ واحد ، فنَصَرهم الله .. [3]

وتأتى الفِتْنَةُ الكُبْرى بعد مقتل « عُثْمان بن عفان » ، ويبايع الناس « عَلىَّ ابن أبى طالب » بالخِلافة ، ويمتنع « الزُّبَيْر » عن البيعة حتى يقتصَّ « عَلِىٌّ » من قَتَلَة عُثْمان ، وينضم إلى السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) فى موقفها من « عَلِىٍّ ابن أبى طالب » ، فيرسل إليه « علىٌّ » يستدعيه لمقابلته ، وحين يلقاه يقول له : **يَا زُبَيْرُ ، أَتَذْكُرُ إِذْ كُنْتُ أَنَا وَأَنْتَ مَعَ رَسُولِ الله (صلى الله عليه وسلم) فَنَظَرَ إِلَىَّ ، وضَحكَ وضَحكْتُ ، فَقُلْتَ أَنْتَ : لا يَدَعُ ابْنُ أَبِى طَالِبٍ زَهْوَهُ** .. فقال : (**لَيْسَ بِمزْهٍ ، ولَتُقَاتِلَنَّهُ وَأَنْتَ لَهُ ظَالِمٌ**) [4] فتذكر « الزُّبَيْر » ذلك ، فانصرف عن القتال ، وعاد

---

[1] قفر : صحراء .

[2] رواه الحاكم في المستدرك .

[3] ورد بنحوه فى البداية والنهاية لابن كثير .

[4] أُسد الغابة لابن الأثير .

إلى المدينة ، وفى طريقه نزل بـــ « وَادِى السِّبَاع » وقام يُصَلِّى ، فانتهز « ابن جرموز » الفرصة ، وطعنه من الخلف فقتله .. وأخذ سَيْفه ليكون دليلاً له – فما كان للزُّبَيْر أن يتخلَّى عن سَيْفِهِ أبدًا – وذهب إلى « عَلِىّ بن أبى طالب » يبشِّره بمقتل الزبير : فأخذَ « عَلِىٌّ » السيف ، يقبِّله ويبكى ، ويقول : **إِنَّ هَذَا سَيْفٌ طَالَمَا فَرَّجَ الكُرَبَ عَنْ رَسُولِ الله** (ﷺ) .. **بَشِّروا قَاتِلَ ابْنِ صَفِيَّةَ بِالنَّار** [1] .. وينصرف « ابن جرموز » وهو يقول : نبشِّرهم بقتل عدوِّهم ، فيبشّروننا بالنار .. ويهيم على وجهه ، ولا يجد ملجأ ولا ملاذًا ، وتضيق عليه الأرض ، فيقتل نَفْسَه وتصدق المقولة : (**بَشِّروا قَاتِلَ ابْنِ صَفِيَّةَ بِالنَّار**)[2] ..

ويُسْتَشْهد « الزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ » فى العام الثالث والثلاثين من الهجرة غِيلَةً وغَدْرًا .. لم يقْدِر عليه المشركون فى كُلِّ الغزوات ، ولم يقدر عليه الفُرْس ولا الرُّوم فى حروبِهم مع المسلمين ، واغتاله مَنْ يَدَّعِى الإسلام .. ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله ..

ولقد كان للزُّبَيْرِ ألف مَمْلوك ، يأتونه بالْخَرَاج فلا يدخل منه شىء إلى بيته ، بل يوزعه كُلَّه فى سبيل الله ، وأوصى إليه سَبْعة من أصحاب النبى (ﷺ) بأولادهم منهم : « عُثْمَان بن عَفَّان » ، و« الْمِقْدَاد بن عمرو » ، فكان ينفق عليهم من ماله ، ويَدَّخر لهم أموالهم .. رضى الله عنه وأرضاه .. وصدق رسول الله (ﷺ) : (**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا ، وَحَوَارِيَّ : الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّام**)[3] ..

---

[1] أُسد الغابة لابن الأثير . [2] أُسد الغابة لابن الأثير . [3] رواه البخارى كتاب الجهاد والسير .

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ (رضى الله عنه)

« عبد الرَّحْمَن بن عَوْف » هو أحد العشرة الْمُبَشَّرين بالجنة .. وواحد من السِّتَّة أهل الشورى الذين أوصى لهم « عمر بن الخطاب » (رضي الله عنه) بالخلافة قائلاً عنهم : (**تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ**)[1] .. وهو واحد من الثمانية الذين أسلموا فى بدءِ الإسلام ، قبل أن يدخل رسول الله (ﷺ) دار « الأرقم بن أبى الأرقم » .. وهو واحد من الخمسة الذين أسلموا على يد « أبى بكر الصديق » (رضي الله عنه) وهم : « عُثْمَان بن عَفَّان » ، « الزُّبَيْر بنُ العَوَّام » ، « طَلْحَةُ بنُ عُبيدِ الله » ، « سَعْدُ بنُ أَبِى وَقَّاص » ، « عَبْدُ الرَّحمن بنُ عَوْف » ..

ولقد هاجر (رضي الله عنه) إلى الحبشة الهجرتين ، ثم هاجر إلى المدينة المنوَّرة فكان من السابقين الأولين ..

وآخى رسول الله (ﷺ) بينه وبين « سَعْد بْن الرَّبِيعِ » – وهو من الأنصار – فقال له « سَعْد » مِن ضِمْن ما قاله له : **لِي مَالٌ ، فَنِصْفُهُ لَكَ .. وَلِي امْرَأَتَانِ ، فَانْظُرْ أَحَبَّهُمَا إِلَيْكَ حَتَّى أُطَلِّقَهَا ، فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا تَزَوَّجْتَهَا** .. فَقَالَ لَهُ « عَبْدُ الرَّحْمَنِ » : **بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ ، دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ** [2] .. ويتعفَّفُ « عبد الرحمن بن عوف » ، ويذهب إلى السوق يبيع ، ويشترى ، ويعود بفَضْلِ

---

[1] رواه البخارى كتاب المناقب .

[2] رواه أحمد باقى مسند المكثرين .

سَمْن وأَقْط [1] .. ويعلم رسول الله (ﷺ) بذلك فيُسَرّ ، ويدعو له بالبركة التى تحل عليه ، ويتَّسع رزقه ، ويكثر ماله حتى يقول هو عن نفسه : (**فَلَقَدْ رَأَيْتُني وَلَوْ رَفَعْتُ حَجَرًا لَرَجَوْتُ أَنْ أُصِيبَ ذَهَبًا أَوْ فِضَّةً**)[2] ..

وببركة دعوة الرسول (ﷺ) يصبح « ابن عَوْف » من أغنى الأغنياء .. ويُرْوَى أن النبى (ﷺ) قال له : (**يَا ابْنَ عَوْفٍ ، إِنَّكَ مِنَ الأَغْنيَاء ، ولَنْ تَدْخُلَ الْجَنَّةَ إلاَّ زَحْفًا ، فَأَقْرِضِ اللهَ يُطْلِقْ قَدَمَيْكَ**) .. قال : **فَمَا أُقْرِضُ اللهَ ؟** .. قال : (**تَتَبَرَّأ مِمَّا أَنْتَ فِيه**) .. قال : **يَا رَسُولَ الله ، مِنْ كُلِّه أَجْمَع ؟** .. قال : (**نَعَمْ**) .. فخرج « ابن عَوْف » وهو يَهِمُّ بذلك ، فأرسل إليه رسول الله (ﷺ) فقال : (**أَتَاني جِبْرِيلُ ، فقال : مُرِ ابْنَ عَوْفٍ فَلْيُضِف الضَّيْفَ ، ولْيُطْعِم الْمِسْكِين ، ولْيُعْط السَّائِلَ ، ولِيَبْدَأ بِمَنْ يَعُول ، فَإِنَّه إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ كَان تَزْكِيَة مَا هُوَ فِيهِ**)[3] ..

وعمل « عبد الرحمن بن عوف » بوصية رسول الله (ﷺ) .. فعن « الزهري » قال : (**تصدق عبد الرحمن بن عوف بشطر ماله على عهد رسول الله (ﷺ) : أربعة آلاف درهم ، ثم تصدَّق بأربعين ألفًا ، ثم تصدق بأربعين ألف دينار ، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله ، ثم حمل على ألف وخمسمائة رَاحِلَة [4] في سبيل الله**)[5] .. وقد رُوِىَ أن أهل المدينة فُوجِئُوا ذات يوم برجَّةٍ شديدة وجَلَبَة ..

---

[1] أقط : لبن مُجَفَّف يابس يُطبخ به . [2] رواه أحمد باقى مسند المكثرين .
[3] رواه الحاكم فى المستدرك . [4] الراحلة : ناقة يُحمل عليها . [5] رواه الطبرانى فى المعجم الكبير .

وسألت أُمُّ المؤمنين « عائشة » (رضى الله عنها) عن الأمر فقيل لها : **تلْكَ عيرٌ لعَبْد الرَّحْمَن بْنِ عَوْف جَاءَتْ منَ الشَّام** .. فقالت : **وهل تُحْدثُ العيرُ هَذه الرَّجَّة ؟!** .. قيل لها : **يا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ سَبْعُمائة بَعير تَحْملُ الْبُرَّ ، والدَّقيق ، والطَّعَام** .. فقالت : **والله ، لَقَدْ سَمعْتُ رَسُولَ الله** (ﷺ) **يقول** : (**قَدْ رَأَيْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ حَبْوًا** [١]) .. ويطير الخبر إلى « ابن عوف » وما أنزلت الأحمال من على الإبل بعد ، فيهرول إليها ويقول : **يَا أُمَّ الْمُؤْمنينَ ، أُشْهِدُك أَنَّ الْعِيرَ بِأَحْمَالِهَا ، وأَحْلاَسِهَا** [٢] **، وأَقْتَابِهَا** [٣] **فِى سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ** .. [٤]

وعلى رغم أن « عبد الرحمن بن عوف » كان من أغنى أغنياء الصحابة ، إلا أنه لم يستمتع بماله قط .. فكلَّما قُدِّم له الطعام أصنافًا بكى .. يقول « نُوْفَل بن إِيَاس الْهُذَلِيّ » : كان « عبد الرحمن بن عوف » لنا جليسًا ونعم الجليس ، فانقلب بنا ذات يوم إلى منـــزله ، فدخل ، فاغتسل ، ثم خرج ، فأتانا بقصعة فيها خبز ولحم ، ثم بكى فقلنا : **ما يُبْكيك يا أبا محمد ؟!** .. قال : (**مَاتَ رَسُولُ اللهِ** (ﷺ) **ولَمْ يَشْبَعْ هُوَ وأَهْلُهُ مِنْ خُبْزِ الشَّعِير .. وَلاَ أُرَانَا أُخِّرْنَا لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَنا**)[٥] ..

ويَرْوِى « إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ » عن أبيه (رضي الله عنه) أنه أُتِيَ بِطَعَامٍ وَكَانَ صَائِمًا فَقَالَ : (**قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي .. كُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ :**

---

[١] أى على يديه ورجليه .
[٢] أحلاسها : أكسيتها التى تغطى ظهورها تحت الرحال .
[٣] أقتابـــها : رِحَالها .
[٤] رواه أحمد والطبراني وابن عساكر .
[٥] رواه الترمذى في الشمائل المحمدية ، وذكره ابن حجر فى الإصابة .

إِنْ غُطِّيَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلاهُ ، وَإِنْ غُطِّيَ رِجْلاهُ بَدَا رَأْسُهُ .. وَقُتِلَ حَمْزَةُ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي .. ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ ، أَوْ قَالَ : أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا ، وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا .. ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ)[1] ..

وعلى قدر إنفاقه فى سبيل الله ، وخوفه ووجله كان مُقَاتلا شجاعًا ، وما تخلَّف عن رسول الله (ﷺ) فى غزوة غزاها قط .. فشهد « بَدْرًا » و« أُحُدًا » والمشاهد كلها معه ، وأصيب فى غزوة « أُحُدٍ » بإحدى وعشرين جراحة منها : إصابة فى قدمه جعلته يعرج طوال حياته ، ويفتخر أنَّها كانت فى سبيل الله ، ومع رسول الله (ﷺ) .. ومنها : إصابة أسقطت أسنانه الأمامية فكان أهتمَ .. [2]

وقد أرسله رسول الله (ﷺ) فى غزوة « دومة الْجَنْدَل » ، وعمَّمه بيده الشريفة ، وأسْدَل عمامته بين كتفيه ، وقال له : (**إِنِ اسْتَجَابُوا لَكَ فَتَزَوَّجْ ابْنَةَ مَلِكِهِمْ**) .. ففتح الله عليه ، وتزوج ابنة ملكهم « تماضر بنت الأصبغ بن ثعلبة » التى ولدت له مُحَدِّثًا عظيمًا من كبار رواة الحديث ، ألا وهو « أبو سَلَمة بن عبد الرحمن » [3] ..

و« عبد الرحمن بن عوف » (رضي الله عنه) هو الصحابىّ الوحيد الذى صلى رسول الله (ﷺ) خلفه فى سفره .. فقد رُوِىَ أنه (رضي الله عنه) كان يصلى بأصحاب النبى (ﷺ)

---

(1) رواه البخارى كتاب الجنائز .
(2) ذكره ابن عساكر بنحوه .
(3) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى .

وَقَدْ رَكَعَ بِهِمْ رَكْعَةً ، وأقبل رسولُ الله (ﷺ) ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِالنَّبِيِّ (ﷺ) ذَهَبَ يَتَأَخَّرُ ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ الرسول (ﷺ) أن ابق مكانك ، فبقى إمامًا ، وصَلَّى بِهِمْ ، فلَمَّا سَلَّمَ ، قَامَ النَّبِيُّ (ﷺ) فَرَكَعَ الرَّكْعَةَ الَّتِي سَبَقَتْهُ .. [1]

وتقول السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) : جمع رسول الله (ﷺ) نساءه في مرضه فقال : (**سَيَحْفَظُنِي فِيكُم الصَّابِرُون ، الصَّادِقُون**) .. فكان « عبد الرحمن ابن عوف » يخرج بِهِنَّ ، ويحج معهن .. [2]

وقد كان (رضي الله عنه) من أشدِّ الناس وَرَعًا .. فحين أُصِيب « عمر بن الخطاب » (رضي الله عنه) إصابته القاتلة ، أوصى بالخلافة لواحد من ستة مات رسول الله (ﷺ) وهو عنهم راض ، وكان بينهم « عبد الرحمن بن عوف » .. فجاءه الناس يقولون له : **يَا ابْنَ عَوْف ، أَنْتَ أَحَقُّ بِهَذَا الأَمْر** ، فقال : **والله لأَنْ تُؤْخَذَ مُدْيَة فَتُوضَع فِي حَلْقِي ، ثُمَّ يُنْفَذ بِهَا إِلَى الْجَانِبِ الآخَرِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ** [3] .. ويذهب إلى أصحابه من أَهْل الشُّورَى ، الخمسة الآخرين : « عثمان بن عفان » ، و« على بن أبى طالب » ، و« سعد بن أبى وقاص » ، و« الزبير بن العوام » ، و« طلحة بن عُبيد الله » ، فيقول لهم : **مَنْ يُخْرِجُ نَفْسَهُ مِنْهَا ، ويَخْتَارُ لِلْمُسْلمين ؟**.. فلم يُجيبُوه إلى ذلك .. فقال : **أَنَا أُخْرِجُ نَفْسِي مِنَ الْخِلافَة ، وأَخْتَارُ لِلْمُسْلِمِين ..** فأجابوه إلى ذلك ، وأخذ مواثيقهم على الرِّضا باختياره .. ثم اختار « عثمان بن

---

[1] رواه مسلم كتاب الطهارة بنحوه .
[2] رواه ابن عساكر .
[3] رواه ابن عساكر .

عفان » (رضي الله عنه) للخلافة فبايَعَه الجميع راضين باختيار « عبد الرحمن بن عوف »[1]..

ويعيش « عَبْدُ الرحمن بن عَوف » طائعًا لله ، مُنْفقًا فى سبيله إنفاق مَنْ لا يخشى الفقر ، حتى قال الناس : **كَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ عِيَالاً عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ : ثُلُثٌ يُقْرِضُهُمْ مَالَهُ ، وثُلُثٌ يَقْضِي دَيْنَهُمْ بِمَاله ، وثُلُثٌ يَصِلُهُمْ** .. [2] وكُلَّما زاد فى الإنفاق زادت ثروته ، وزادَ خوفُهُ ووجَلُهُ حتى إنه ذهب إلى أم المؤمنين « أم سلمة » (رضى الله عنها) فَقَالَ : **يَا أُمَّهْ ، قَدْ خِفْتُ أَنْ يُهْلِكَنِي كَثْرَةُ مَالِي ، أَنَا أَكْثَرُ قُرَيْشٍ مَالاً** .. قَالَتْ : يَا بُنَيَّ ، فَأَنْفِقْ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ : (**إِنَّ مِنْ أَصْحَابِي مَنْ لاَ يَرَانِي بَعْدَ أَنْ أُفَارِقَهُ**) .. فَخَرَجَ فَلَقِيَ « عُمَرَ » فَأَخْبَرَهُ ، فَجَاءَ « عُمَرُ » فَدَخَلَ عَلَيْهَا ، فَقَالَ لَهَا : **بِاللَّهِ مِنْهُمْ أَنَا ؟** فَقَالَتْ : **لاَ ، وَلَنْ أُبْلِيَ** [3] **أَحَدًا بَعْدَكَ** .. [4]

واستمر « عبد الرحمن بن عوف » (رضي الله عنه) فى الإنفاق بسخاء فى جميع سبل الخير ، ولم يكتف بذلك ، بل أوصَى بخمسين ألف دينار ، وألف فرس فى سبيل الله ، وكذلك أوصى لِمَنْ بقى من أهل « بَدْرٍ » – وكانوا مائةً – بأربعمائة دينار لكل واحد منهم .. ويُصِرُّ « عثمان بن عفان » (رضي الله عنه) – الذى لم يكن محتاجًا وكان ثَرِيًّا – على أخذ نصيبه قائلاً : **مَالُ ابْنِ عَوْفٍ صَفْوٌ حَلاَلٌ ، والطُّعْمَةُ مِنْهُ عَافِيَةٌ وبَرَكَةٌ** .. ومع كل ذلك فقد ترك (رضي الله عنه) ثلاثة آلاف شاة ، وألف بَعِير ،

---

[1] الاستيعاب لابن عبد البر . [2] رواه ابن عساكر . [3] أبلي : أخبر .

[4] رواه أحمد باقى مسند الأنصار .

ومائة فَرَس ، وترك ذهبًا كلَّت أيدى الرجال من تقطيعه بالفئوس .. وصدق الله العظيم إذ يقول : (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ)[1].. وصَدَق رسُول الله (ﷺ) إذ يقول : (**مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ**)[2]..

وتحين الساعة .. ساعة الرَّحِيل ، وتُرْسِل السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) إليه تَعْرِض عليه أن يُدْفن إلى جِوار رسول الله وصاحبيه ، فيقول (رضي الله عنه) : **ومَنْ أَنَا حَتَّى أَرْقَى إِلَى ذَلِكَ الْجِوَار** .. ويطلب أن يُدْفَن إلى جوار « عُثْمَان بن مَظْعُون » (رضي الله عنه) .. صاحبه وحبيبه الذى تعاهد معه على أنَّ : مَنْ مات بعد أخيه دُفِنَ إلى جواره ، حتى يكونا صاحبين فى القبر كما كانا صاحبين فى الدنيا ..

وتصعد الروح إلى بارئها ، ويموت الأمين عن خمسة وسبعين عامًا ، ويحمل جنازته « سعد بن أبى وقاص » ، ويبكى ويصرخ قائلا : **وَا جَبَلاَه .. وَا جَبَلاَه** .. ويقف « عَلىٌّ بن أبى طالب » على قبره الذى دفن فيه بالبقيع ، ويقول : **اذْهَبْ يَا ابْنَ عَوْفٍ ، فَقَدْ أَدْرَكْتَ صَفْوَهَا ، وسَبَقْتَ رَنْقَهَا**[3] ..[4]

ويتذكَّر الواقِفون علَى قَبْرِه يوم أن كان بَينَه وبين « خالد بن الوليد » كلامٌ وخلافٌ يوم فتح مكَّة ، فقال له « خالد » : **تَسْتَطِيلُونَ عَلَيْنَا بِأَيَّامٍ سَبَقْتُمُونَا بِهَا**[5].. فبلغ ذلك النبى (ﷺ) فقال : (**دَعُوا لِي أَصْحَابِي .. فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ**

---

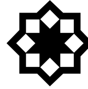
[1] سورة سبأ آية ٣٩ . [2] رواه الترمذى كتاب الزهد . [3] رَنْقَهَا : عكَرَها وكَدَرَها .
[4] رواه ابن عساكر . [5] يقصد السبق فى الإسلام .

أَنْفَقْتُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ، أَوْ مِثْلَ الْجِبَالِ ذَهَبًا ، مَا بَلَغْتُمْ أَعْمَالَهُمْ) [1] ..

صدق رسول الله (ﷺ) .. فمَنْ هَذا الذى يرقى إلى مقام « عبد الرحمن بن عوف » الذى قال له رسول الله (ﷺ) : (**أَنْتَ أَمِينٌ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ ، وأَمِينٌ فِي أَهْلِ الأَرْضِ)** [2] ..

سَلاَمٌ عَلَيْكَ يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) ..

سَلاَمٌ عَلَيْكَ فِى عِلِّيين ..



(1) رواه أحمد باقي مسند المكثرين .

(2) رواه الحاكم وابن عساكر بنحوه .

سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاص (رضى الله عنه)

هو « سَعْد بن مَالِك بن وُهَيْب القُرَشِيّ » المعروف بــ « سعْدِ بن أبى وقَّاص » ابن ابن عَمِّ « آمِنَة بنت وَهْبٍ » أُمِّ النبى (ﷺ) .. فهو معدود من أخواله (ﷺ) ..

أسْلَمَ (رضي الله عنه) وهو ابن سبعة عشر عامًا ، وتَرْوِى ابنته « عائشة » قصة إسلامه فتقول إنه قال : **رأيتُ في الْمَنَام قبل أن أُسْلِم كأَنِّي في ظُلْمَةٍ لا أُبْصِرُ شيئًا .. إذْ أَضَاءَ لِي قَمَرٌ فاتَّبَعْتُهُ ، فكأنِّي أنظرُ إلى مَنْ سَبَقَنِي إلى ذلك الْقَمَر ، فأَنْظُر إلى « زيد بن حارثة » ، وإلى « علي بن أبي طالب » ، وإلى « أبي بكر » ، وكأنِّي أَسْأَلُهُم : مَتَى انْتَهَيْتُمْ إِلَى هَاهُنَا ؟ قالوا : الساعة .. وبلغني أن رسول الله (ﷺ) يدعو إلى الإسلام مستخفيًا فلقيته في شِعْب « أَجْيَاد » ، وقد صَلَّى الْعَصْر ، فأَسْلَمْتُ .. فما تقدَّمَنِي أَحَدٌ إلا هُمْ ..** [1]

وكان (رضي الله عنه) أبرَّ الناس بأُمِّه ، فلمَّا علمت بإسلامه حاولت أَنْ تُثْنِيَه عن عَزْمه ، فلما فشلت فى ذلك ، هدَّدته بالامتناع عن الطعام والشراب حتى تموت ، فيُعَيِّرَه الناس بذلك .. وأنفذت الأم تَهْدِيدَها ، وأقعدها الْجَهْد ، فلما رأى « سعْد » (رضي الله عنه) ذلك قال : **يا أُمَّاه ! لو كانت لَكِ مائَة نَفْس ، فَخرَجَتْ نَفْسًا نَفْسًا مَا تَرَكْتُ دِينِي هَذَا ، فَإِنْ شِئتِ فَكُلِي ، وإِنْ شِئْتِ فَلاَ تَأْكُلِي** .. فلما رأت تصميمه

---

(1) أسد الغابة لابن الأثير .

وثباته على دينه أَكَلَتْ وشَرِبَتْ .. ونزل جبريل (عليه السلام) على النبى (ﷺ) فى هذه المناسبة بقول الله عز وجل : (وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)[1] ..[2]

وتظهر شجاعة « سَعْد » (رضي الله عنه) وفرُوسيَّته وهو فى هذه السِّنِّ الصغيرة .. فقد لمحه أحد الكُفَّار وهو يُصَلِّى فى بعض شِعَابِ مَكَّة .. فأراد أن يَعْتَدى عليه .. فضربه « سَعْدٌ » فشجَّ رأْسَهُ ، وأسَالَ دَمَه .. فكان أوَّل مَنْ أَسَالَ دَمًا فى سبيل الله .. كما كان أوَّل مَنْ رَمَى بسَهْمٍ فى سَبيل الله[3] ..

ويهاجر « سَعْد بن أبي وقَّاص » إلى المدينة ، ويشهد غزوة « بَدْر » مع رسول الله (ﷺ) ويُبْلى فيها بلاءً حَسَنًا ، ويشهد غزوة « أُحُد » ويثبت مع رسول الله (ﷺ) يدفع عنه الكُفَّار بِسِهَامِه التى لا تكاد تُخْطئ ، ورسول الله (ﷺ) يقول له : (**ارْمِ سَعْدُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**)[4] .. ويدعو له فيقول : (**اللَّهُمَّ سَدِّدْ رَمْيَتَهُ ، وَأَجِبْ دَعْوَتَهُ**)[5]..

ويقول « علي بن أبي طالب » (رضي الله عنه) : مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ (ﷺ) يُفَدِّي رَجُلاً بَعْدَ « سَعْدٍ » ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ : (**ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**)[6] .. وكان صلى الله عليه وسلم يُفاخر به ويقول لأصحابه مُشيرًا إليه : (**هَذَا خَالِي ، فَلْيُرِنِي امْرُؤٌ خَالَهُ**)[7]..

---

(1) سورة لقمان آية ١٥ . (2) تفسير القرطبي سورة العنكبوت آية ٨ .
(3) سيرة ابن هشام . (4) رواه الترمذي كتاب المناقب . (5) رواه ابن عساكر .
(6) رواه البخارى كتاب الجهاد والسير . (7) رواه الترمذى كتاب المناقب .

ويقول لأصحابه يومًا : (**يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّة**) .. فطلع « سعد ابن أبي وقاص » فلما كان الْغَدُ قال النبي (ﷺ) مثل ذلك ، فَطَلَعَ « سعد بن أبي وقاص » ، فلما كان اليوم الثالث قال النبي (ﷺ) مثل مَقَالَته أيضًا ، فَطَلَعَ « سعد ابن أبي وقاص » .. ويَتَحرَّى « عبد الله بن عمرو بن العاص » عن « سَعْد » وما يعمله حتى يستحقَّ هذه البشارة ، ويبيت معه ثلاث ليال ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُوم مِنَ اللَّيْل شيئًا غير أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وتَقَلَّبَ على فِرَاشه ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَكَبَّرَ ، حَتَّى يَقُومَ لِصَلاَةِ الْفَجْرِ .. ولَمْ يسمعه يقولُ إِلاَّ خَيْرًا .. فلما مَضَت الثَّلاَثُ لَيَالٍ وكاد أَنْ يَحْتَقِرَ عَمَلَهُ قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه (ﷺ) يَقُولُ لَكَ ثَلاَثَ مِرَارٍ : (**يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**) فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلاَثَ مِرَارٍ ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِيَ بِهِ ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) ؟! .. فقَالَ : **مَا هُوَ إِلاَّ مَا رَأَيْتَ** .. فَلَمَّا وَلَّى دَعَاه فَقَالَ : **مَا هُوَ إِلاَّ مَا رَأَيْتَ ، غَيْرَ أَنِّي لاَ أَجِدُ فِي نَفْسِي لأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا ، وَلا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ** .. فَقَالَ « عَبْدُ اللَّهِ » : هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ ، وَهِيَ الَّتِي لاَ نُطِيقُ .. [1]

نعم كان سَليم الصَّدْرِ ، نقى السَّرِيرَة ، طاهر القلب ، يتحرَّى الحلال فى طعامه ، لذلك كان مُجاب الدعوة ، مُهَابًا ، يخشاه الناس ، ويخافون من دُعَائه الذى لا يُرَدُّ ، كما يخشى الأعْدَاءُ سِهَامَهُ التى تصِيبُ ، ولا تَخِيبُ ..

---

[1] رواه ابن عساكر .

وتمضى الأيام .. ولا شاغل لـــ « سعد بن أبى وقّاص » إلا الجهاد فى سبيل الله لرفع رَايَة الإسلام ، ونشر كلمة التوحيد ..

وتأتى خلافة « عمر بن الخطاب » (رضي الله عنه) ، وينتهز الفُرْس الفرصة ، ويستردّون بعض ما فَتحَه المسلمون فى عهد « أبى بكر الصديق » (رضي الله عنه) .. ويهتم « عمر بن الخطاب » بالأمر وينشغل به ، ويقرِّر أن يجهِّز جيشًا يقوده بنَفْسه لتأديب الفرس ، واستعادة ما سَلَبُوه من أرض المسلمين ، ويستخلف « عَلىَّ بن أبى طالب » على المدينة فى غيابه ، ويهم بالخروج .. ويدركه « عبد الرحمن بن عوف » فى نَفَر من الصحابة ليثنوه عن عزمه قائلين : **يا أمير المؤمنين ، أَقِمْ وابْعَثْ جُنْدًا ، فإنه إن يُهْزَم جَيْشُك ليس كهزيمتك ، وإنك إن تُقْتَل أو تُهْزَم خَشينَا ألا يُكَبِّر المسلمون ، وألا يَشْهَدُوا أن لا إله إلا الله أبدًا** .. فيقول « عمر » : **فأَشيرُوا عَلَيَّ برَجُل** [1] .. ويُفكِّر الحاضرون : **مَنْ لِهَذَا الأَمْر الْخَطِير ؟! ومَنْ يَحْمِلُ هذه الْمَسْئُولِيَّة وقد جمع الْفُرْس جُمُوعًا تَفُوق الْحَصْرَ تحت قِيَادَة السَّفَّاح** « **رُسْتُمْ** » **؟!** .. ثم يهتف « عبد الرحمن بن عوف » : **لَقَدْ وَجَدْتُه يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنين** .. فقال « عمر » : **مَنْ هُوَ ؟** قال : **الأَسَدُ فِي بَرَاثِنه : سعد بن مالك** [2] .. ويُقِرُّ الحاضرون « ابْنَ عَوف » على رَأْيه ، ويقول بعضهم عنه : **إِنَّهُ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِين ، مُتَوَاضِعٌ فِى خِبَائه ، عَرَبِىٌّ فِى نَمِرَتِه ، أَسَدٌ فِى تَامُورِه** [3] **، يَعْدِلُ فِى الْقَضِيَّةِ ، ويَقْسِمُ بِالسَّوِيَّة ، ويُبْعِدُ فِى**

---

(1) تاريخ الرسل والملوك للطبرى . (2) تاريخ الرسل والملوك للطبرى .

(3) تَامُورِه : عرينه .

السَّرِيَّة ، ويَعْطِفُ عَلَيْنَا عَطْفَ الأُمِّ الْبَرَّة ، ويَنْقُلُ إِلَيْنَا حَقَّنَا نَقْلَ الذَّرَّة [1] .. [2]

ويتولَّى « سعد بن أبى وقاص » إمارة الجيش ، ويخرج لملاقاة جيوش الفُرْس ، ويرسل إليه « عمر بن الخطاب » رسالة يقول فيها : **يَا سَعْدُ ، لا يَغُرَّنَّكَ منَ الله أَنْ قِيلَ عَنْكَ : خَال رسولِ الله (ﷺ) فإنَّ الله ليسَ بَيْنَهُ وبَيْنَ أَحَد منْ خَلْقه نَسَبٌ إلا بَطَاعَته ، والنَّاسُ شَرِيفُهُمْ وَوَضِيعُهُم فى ذَات الله سَواءٌ ، يَتَفاضَلُونَ بالْعَافيَة ، ويُدْرِكُونَ ما عنْد الله بالطَّاعَة .. يَا سَعْدُ ، انْظُرِ الأَمْرَ الَّذى رَأَيْتَ عَلَيْه رَسُولَ الله (ﷺ) مُنْذُ بُعثَ إلى أنْ فَارَقَنَا عَلَيْه ، فَالْزَمْهُ ، فَإِنَّه الأَمْرُ .. يَا سَعْدُ ، اكْتُبْ إِلَيَّ بِأَحْوَالِكُمْ ، وأَيْنَ عَدُوُّكُمْ منْكُمْ ، وأَيْنَ تَقفُونَ منهُ .. واكْتُبْ إِلَيَّ وكَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَيْكَ ، واجْعَلْنِى بِكُتُبِكَ إِلَيَّ كَأَنِّى مَعَكُمْ** [3] ..

وينفذ « سعد بن أبى وقاص » وصيَّة « عمر بن الخطاب » ، ويكتب إليه كل يوم ، شارحًا له الموقف ، طالبًا مشورته ، ورأيه ..

ويلتقى الجيشان عند القادسية ، (إلى الجنوب من النجف) .. ويقود « سعد » هذه المعركة من شرفته – بسبب مرضه – ويهتف بجنوده : (**هَلُمَّ يَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ .. هَلُمَّ إِلَى الْجَنَّة**) .. وبعد قتال عنيف لمدة ثلاثة أيام ، ينتصر جيش المسلمين .. ويتابع « سعد » تقدمه ، ويعبر نَهْر دجلة مردّدًا : (**حَسْبُنَا اللَّهُ ونِعْمَ الْوَكِيلُ**) ، ويردّد الجيش هتافه ، حتى يبلغوا الشاطئ الآخر .. وبذَا ، يبلغون « المدائن » كبرى مدن الفرس وعاصمة ملكهم ، التى تتهاوى تحت أقدام « سعد »

---

[1] الذَّرَّة : النملة الصغيرة . [2] أسد الغابة لابن الأثير . [3] أخرجه ابن جرير .

وسنابك خيل المسلمين ، بعد مقاومة شديدة .. ويهرب مَلِكُها ، ويرسل « سعد » بكنوز كِسْرَى ، وإيوانه ، وسوار مُلْكِهِ إلى « عمر بن الخطاب » بالمدينة المنوَّرة ..

ويقوم « سَعْدٌ » ببناء « الكُوفة » ويُؤَمِّرُه « عمر » على العراق يتولَّى شئون الناس ، ويُنَظِّم أمورهم ، ويحمى ديار المسلمين ، وحدودهم ..

وتَسْتَعِرُ الغَيْرة ، ويشتعل الْحِقْدُ فى قلوب بعض الناس حديثى العَهْد بالإسلام ، ويرسلون الشَّكْوى تلو الشكوى إلى « عُمَر بن الخطاب » ، مُتَّهمين « سَعْدًا » بتهمة عجيبة ألا وهى : أنه لا يُحْسِنُ الصَّلاَة بِهِمْ .. ويستدعى « عُمَرُ » سعدًا إلى المدينة ، ويسأله ، فيقول له « سعد » : (**وَاللَّهِ ، إِنِّي لأَوَّلُ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .. وَلَقَدْ كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) مَا لَنَا طَعَامٌ نَأْكُلُهُ إِلاَّ وَرَقُ الْحُبْلَةِ ، وَهَذَا السَّمُرُ** [١] ، **حَتَّى إِنْ كَانَ أَحَدُنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الْعَنْزُ مَا يَخْلِطُهُ بِشَيْءٍ ، ثُمَّ أَصْبَحَتْ بَنُو أَسَد تُعَزِّرُنِي** [٢] **عَلَى الدِّينِ .. لَقَدْ خِبْتُ إِذًا وَضَلَّ عَمَلِي**) [٣] .. ويقول : (**إِنِّي لأُصَلِّي بِهِمْ صَلاَةَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) مَا أَخْرِمُ** [٤] **عَنْهَا ، إِنِّي لأَرْكُدُ** [٥] **بِهِمْ فِي الأُولَيَيْنِ ، وَأَحْذِفُ** [٦] **فِي الأُخْرَيَيْنِ**) .. فَقَالَ له « عُمَرُ » : **ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ أَبَا إِسْحَقَ ..** [٧]

وعاد « سعد » إلى الكوفة ، وأرسل « عمر » وراءه رجالاً يسألون عن

---

(١) الحبلة ، والسمر : أنواع من الشجر .
(٢) تعزرنى : توبخنى .
(٣) رواه مسلم كتاب الزهد .
(٤) أخرم : أنقص .
(٥) أركد : أطيل .
(٦) أحذف : أخفف .
(٧) رواه مسلم كتاب الصلاة .

أخباره فى المساجد ، فأثنى عليه جميع الناس ما عدا رجلاً واحدًا من بنى أَسَد ، امتلأ قلبه بالغِلِّ والْحِقْد ، يُقَالُ له : « أَبُو سِعْدَة » ، اتَّهَمَه بأنه لا يَسِير بالسَّرِيَّة ، ولا يَقْسِمُ بالسَّوِيَّة ، ولا يَعْدِلُ فى القَضِيَّة .. ويَعزِل « عُمَرُ » سَعْدًا عن ولاية العِرَاق ، ويتوجَّه « سعدٌ » بالدعاء إلى الله على هذا الذى اتَّهمه ظلمًا قائلاً : **اللَّهُمَّ ، إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا ، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً ، فَأَطِلْ عُمْرَهُ ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ ، وَعَرِّضْهُ لِلْفِتَنِ** [1] ..

وتُسْتَجَابُ دَعْوَةُ « سَعْدٍ » ، ويطول عمر الرجُل ، ويكْبر حتى تسقط حواجبه على عينيه ، ويفْتَقِر ، ويراه الناس يتابع الجوارى والإماء فى سِكَك الكُوفَة يُغَازِلُهن ، وحين يُلام على ذلك ، ويُعاتَب ، يقول عن نَفْسِه : **شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ .. أَصَابَتْنِى دَعْوَةُ سَعْدٍ** [2] ..

ويحاول « عمر بن الخطَّاب » (رضي الله عنه) أن يعيد « سَعْدًا » إلى إمارة الكُوفَة فَيَأْبَى « سعد » ويقول : **تَأْمُرُنِي أَنْ أَعُودَ إِلَى قَوْمٍ زَعَمُوا أَنِّي لاَ أُحْسِنُ الصَّلاَةَ ؟!** .. [3]

ويوصِى « عمر » وهو على فراش الموت بالخِلافة فى السِّتَّة أهل الشُّورَى : « عُثْمان » ، و« عَلْىّ » ، و« طَلْحَة » ، و« الزُّبَيْر » ، و« عَبْد الرحمن بن عوف » ، و« سعد بن أبى وقاص » .. ويقول : (**مَا أَجِدُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْ هَؤُلاَءِ النَّفَرِ – أَوِ الرَّهْط – الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ**) .. ويقول : (**فَإِنْ أَصَابَتِ الإِمْرَةُ سَعْدًا فَهُوَ ذَاكَ ، وَإِلاَّ**

---

[1] رواه البخارى كتاب الأذان . [2] رواه البخارى كتاب الأذان . [3] رواه ابن عساكر .

فَلْيَسْتَعِنْ بِهِ أَيُّكُمْ مَا أُمِّرَ ، فَإِنِّي لَمْ أَعْزِلْهُ عَنْ عَجْزٍ ، وَلاَ خِيَانَةٍ)[1] ..

ويتولّى الخِلافة « عُثْمَان بن عَفَّان » (رضي الله عنه) ، ويظلُّ « سعد » جُنْديًّا من جنود المسلمين ، يذود عن الديار فى خلافة « عثمان » حتى يُقتل « عثمان » .. ويتولَّى « على بن أبى طالب » الخِلافة ، وتحدث الفِتْنَة بين « على » و« معاوية » (رضى الله عنهما) .. ويعتزل « سَعْدٌ » الفِتْنَة ، ولا ينضم إلى أحد منها ، ويذهب إليه ابنه « عُمَر بن سَعْد » ويقول له : أرضيتَ لنفسك أن تُقيم بِهَذا الْمَنْزِل ، وأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يختلفون في الخلافة ؟ .. فقال له : **إن جِئْتَني بسيفٍ يَعْرِف الْمُؤْمِنَ من الكَافِر إِذَا ضَرَبْتُ بِهِ ، فَعَلْتُ** .. فقال له : ليس إلا هذا .. قال : **لا** [2] .. ويذهب إليه ابن أخيه « هشام بن عُتْبة بن أبى وَقَّاص » ويقول له : هاهنا مِئَة ألف سَيْف يرونك أحق الناس بِهَذا الأمر .. فقال (رضي الله عنه) : **أُرِيدُ مِنْ مِئَةِ أَلْفِ سَيْفٍ سَيْفًا وَاحِدًا ، إِذَا ضَرَبْتُ بِهِ الْمُؤْمِنَ لَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا ، وإِذَا ضَرَبْتُ بِهِ الكَافِر قَطَع ..** [3]

وتمضى الأيام .. وينتقل المهاجرون إلى الرفيق الأعْلَى ، الواحد تلو الآخر ، ولا يبقى منهم فى المدينة إلا « سَعْد بن أبى وقاص » الذى بلغ الثمانين من عُمُره ، ولَمَّا حضرته الوفاة دعَا بِجُبَّةٍ [4] له من صُوف ، فقال : **كَفِّنُوني فِيهَا ، فَإِنِّي كُنْتُ لَقِيتُ الْمُشْرِكِينَ فِيهَا يَوْمَ بَدْرٍ ، وهِيَ عَلَيَّ ، وإِنَّمَا كُنْتُ أَخْبَؤُهَا لِهَذَا** [5] ..

---

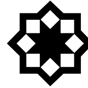
[1] رواه البخارى كتاب المناقب . [2] رواه ابن عساكر . [3] رواه ابن عساكر .
[4] الجبة : رداء يلبس فوق الثياب . [5] أسد الغابة لابن الأثير .

وتصعد روحه الطاهرة إلى بارئها ، وتُنَفَّذ وصيَّته ، ويُكَفَّن فى جُبَّته ، ويُحْمَل على أعناق الرِّجَال إلى المسجد ، ويصلّى عليه « مروان بن الحكم » ، وأزواج النبى (ﷺ) ، ويُدْفَن ببَقِيع الغَرْقَد إلى جِوَار أصحاب رسول الله (ﷺ) الذين سبقوه إلى حيث الرِّضَا والرِّضْوان ..

سَلامٌ عَلَيْكَ يا مُجَابَ الدَّعوَات ، ويا فَارِسَ الْغَزَوَات ،

ويا خَالَ سَيِّدِ السَّادَات (ﷺ) ..

سَلامٌ عَلَيْكَ فِى عِلِّيِّين ..



سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرو (رضى الله عنه)

حين بُعِثَ النبى (ﷺ) كان من الْمُسَارِعِين إلى هذا النور المبين « سَعِيدُ بْنُ زَيْد » ، الذى لم يكن قد بلغ العشرين من عمره .. فقد نشأ (رضي الله عنه) فى بيت لا يعْبدُ الأصنام ، ولا يَسْجُدُ للأوثان .. إذ كان أبوه « زَيْدُ بنُ عَمْرِو بنِ نُفَيْل » مشهورًا فى الجاهلية بأنه يعْبُدُ الله على مِلَّة « إبراهيم » (عليه السلام) ، يُؤْمِن بالله الواحِد الأَحَد .. يُسَفِّه أحلام قُرَيْش ، ولا يَعْبُدُ آلهتهم ، ولا يأكل من ذبائحهم التى يُريقون دماءها تحت أقدام أصنامهم ، ليقربوهم إلى الله زُلْفَى ..

تربَّى « سَعِيدُ بْنُ زَيْد » على يَدِ هذا الأب الموحِّد ، وشرب منه عقيدة التوحيد .. لذلك كان من المسارعين إلى الدخول فى دين الإسلام ، دين التوحيد ، شغوفًا بالقرآن يتلقَّفه من فم رسول الله (ﷺ) أوَّلاً بأوَّل ، ويراجعه مع أحد السابقين مثله ، وهو « خَبَّابُ بن الأَرَتِّ » الذى كان يأوى إليه فى بيته ، ويشاركه طعامه .. ولقد كانت زوجة سَعِيد : « فَاطِمة بنت الْخَطَّاب » - أخت « عمر بن الخطاب » - خير عَوْن لزوجها على ذلك ، حيث تَحْفَظُ معه القرآن ، وتُهَيِّئ له ولِخَبَّاب المكان ، وتُعِدُّ لهما الطعام والشراب فى بيتها ، الذى كان من أوائل البيوت التى دخلها نور الإيمان ..

وينتشر الإسلام سِرًّا بين شباب مكَّة من أحرار ، وعبيد .. ويستشعر صناديد

قُرَيْش ذلك الخطر القادم الذى يهدِّدهم ، ويهدِّد سلطانَهم حتى فى بيوتِهم ..

ويتصدَّى « عمر بن الخطاب » لمواجهة هذا الْخَطَر ، ويخرج من بيته متوشِّحًا سيفه للقضاء على مَصْدَرِ الفِتْنَة ، ويلتقى فى طريقه بـــ « نُعَيْمِ بْنِ عَبْدِ الله » – الذى كان يستخفي بإسلامه خوفًا من قومه – فقال له : **أين تُريدُ ؟** .. قال : **أُرِيدُ مُحَمَّدًا ، هَذَا الصَّابِئَ الَّذِي قد فَرَّقَ أَمْرَ قُرَيْشٍ ، وَسَفَّهَ أَحْلامَهَا** [1] ، **وَعَابَ دِينَهَا ، وَسَبَّ آلِهَتَهَا ، فَأَقْتُلُهُ** .. فقال له « نُعَيْمٌ » : **وَاللهِ ، لَقَدْ غرّتْكَ نَفْسُكَ مِنْ نَفْسك يَا عُمَرُ ، أَتَرَى بَنِي عَبْدِ مَنَاف تَارِكِيك تَمْشِي عَلَى الأَرْضِ وَقَدْ قَتَلْتَ مُحَمَّدًا ؟ أَفَلا تَرْجِعُ إِلَى أَهْلِ بَيْتك فَتُقِيمُ أَمْرَهُمْ ؟** .. قَالَ : **وَأَيّ أَهْلِ بَيْتِي ؟ قَالَ : خَتَنُكَ** [2] **وَابْنُ عَمِّكَ : سَعِيدُ بْنُ زَيْد ، وَأُخْتُكَ : فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ ، ، فَقَدْ أَسْلَمَا ، وَتَابَعَا مُحَمَّدًا عَلَى دِينِهِ ، فَعَلَيْكَ بِهِمَا** .. فرجع « عمر » عامدًا لِخَتَنِه وأخته ، وعندهما « خَبَّابُ بْنُ الأَرَتّ » معه صحيفة فيها : (طه) يُقْرِئُهُمَا إِيَّاهَا ، فلما سمعوا حِسَّ « عمر » تَغَيَّبَ « خبّابُ بْنُ الأَرَتّ » في مَخْدَعٍ لَهُم [3] أو في بعض البيت ، وأخذت « فاطمة بنت الخطاب » الصحيفة فجعلتها تحت فَخِذِها ، وقد سمع « عمر » حين دنَا من البيت قراءته عليهما ، فلما دخل قال : **مَا هَذِه الْهَيْنَمَةُ التي سَمِعتُها ؟** .. قالا : **ما سَمِعْتَ شَيْئًا** .. قال : **بَلَى وَاللهِ لَقَدْ أُخْبِرْت أَنّكُمَا تَابَعْتُمَا مُحَمَّدًا عَلَى دِينِهِ** .. وبَطَشَ بِخَتَنِه « سَعِيد بن

---

[1] أحلامها : عقولها .
[2] ختنك : زوج أختك .
[3] المخْدَع : هو البيت الصغير الذي يكون داخل البيت الكبير .

زَيْدٍ » ، وقامت إليه فاطمة أخته لِتَكُفّهُ عن زوجها ، فضَرَبَها فشَجَّهَا ، فلما فعل ذلك قالت له أخته : **نَعَمْ قَدْ أَسْلَمْنَا ، وَآمَنَّا بِاللهِ وَرَسُولِه ، فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ** .. ولما رأى « عمر » ما بأخته من الدم نَدمَ على ما صنع فَارْعَوَى [1] وقال لأخته : **أَعْطِينِي هَذِهِ الصَّحِيفَةَ الَّتِي سَمِعْتُكُمْ تَقْرَءُونَ آنفًا** [2] **أَنْظُرْ مَا هَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمّدٌ** – وكان عمر كاتبًا [3] – فلما قال ذلك ، قالت له أخته : **إنَّا نَخْشَاك عَلَيْهَا** .. قَالَ : لاَ تَخَافِي – وَحَلَفَ لَهَا بِآلِهَتِهِ لَيَرُدَّنَّهَا إِلَيْهَا إِذَا قَرَأَهَا – فلما قال لها ذلك طَمِعَتْ في إسلامه ، فقالت له : **يَا أَخِي ، إنّك نَجَسٌ عَلَى شِرْكِك ، وَإِنَّهُ لاَ يَمَسّهَا إلاَّ الطَّاهِرُ** .. فقام عمر فاغتسل ، ثم أعطته الصَّحِيفَة ، وفيها (طه) ، فقرأها ، فلما قرأ صَدْرًا منها [4] قال : **مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلاَمَ وَأَكْرَمَهُ** .. فلما سمع « خبّابُ » ذلك خرج إليه فقال له : **يَا عُمَرُ ، وَاللهِ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللهُ قَدْ خَصَّكَ بِدَعْوَةِ نَبِيِّه** (ﷺ) **فَإِنِّي سَمِعْته وَهُوَ يَقُولُ** : (**اللَّهُمَّ أَيِّدِ الإِسْلاَمَ بِأَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ ، أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ**) ، **فَاللَّهَ اللَّهَ يَا عُمَرُ** .. فقال له عند ذلك : **فادللني عليه يا خبَّاب حتى آتيه فَأُسْلِم** .. [5]

وهكذا كان « سعيد بن زيد » (رضي الله عنه) سببًا فى إسلام « عُمَر بن الخطاب » الذى أصْبحَ أميرًا للمؤمنين ، وقُدْوَةً للسَّالِكينَ طريق العَدْل على مَرِّ السِّنين ..

ويهاجر « سَعِيد بن زَيْد » (رضي الله عنه) إلى المدينة ، ويصبح (رضي الله عنه) أحد العَشرة

---

[1] فارعوى : أى فرجع عن جهله . [2] آنفا : قبل قليل . [3] أى يعرف الكتابة .
[4] صدرا منها : بدايتها ومقدمتها . [5] فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل .

الْمُبَشَّرِين بالْجَنَّة الذين كانوا أمام رسول الله (ﷺ) فى القتال ، وخَلفه فى الصلاة .. لقول النبي (ﷺ) : (**سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ فِي الْجَنَّة**)[1] .. ولقد كان (رضي الله عنه) عاشر عشرة مع رسول الله (ﷺ) على جبل « حراء » حين تحرك الجبل فقال رسول الله (ﷺ) : (**اثْبُتْ حِرَاءُ فَإِنَّهُ لَيسَ عَلَيْكَ إلاَّ نَبِيٌّ ، أَوْ صِدِّيقٌ ، أَوْ شَهِيدٌ**)[2] ..

وتأتى غزوة « بَدْر » ولا يشهدها (رضي الله عنه) ، فقد خرج مع « طَلْحة بن عبيد الله » (رضي الله عنه) يتحسَّسَان أخبار قافلة قُرَيْش قِبَل الشام .. وحين عادا ، كانت الغَزْوَة قد انتهت فطيَّب رسول الله (ﷺ) خاطرهما ، وبشَّرهما بأن لهما من الأجر والغَنِيمَة مثل الذى لِمَنْ شهدها ..

ثم تأتى غزوة « أُحُد » ويبلى فيها بلاء حَسَنًا ، ويشهد المشاهد كُلَّها مع رسول الله (ﷺ) ولا يتخلَّف عنه قط .. ويظل مُجاهِدًا حاملاً سَيْفَهُ .. فارِسًا بالنهار ، وراهِبًا باللَّيل .. يشهد الغزوات بعد انتقال النبى (ﷺ) إلى الرفيق الأعْلَى ، وقد كان مِمَّن شهد وقعة « اليَرْمُوك » ، وشاركَ فى حِصَار دِمَشْق ..

وتأتى أيَّام يقل فيها الخير ، ولا يُعْرَف فيها قَدْر الرجال ، فقد انتقل معظم المهاجرين والأنصار إلى الرَّفِيق الأعْلى .. ويتولَّى « مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَم » إمارة المدينة المنوَّرة من قِبَل « مُعَاوِيَة بن أبي سُفْيَان » ، ويستدعى « سَعِيدَ بْنَ زَيْد » ذلك السابق فى الإسلام ، والهجرة ، والجهاد .. الذى لم يَتَوَلَّ إمارة قط ، ولا جِبَايَة

---

[1] رواه أحمد مسند العشرة المبشرين بالجنة . [2] رواه الترمذى كتاب المناقب .

قط ، ذلك القانع طَيِّب النَّفْس ، الذى كان جُلُّ هَمِّه : الجهاد فى سبيل الله ، والعمل بكتاب الله الذى كان يحفظه ويتلوه آناء الليل وأطراف النهار .. ذلك القانت العابد مُسْتجاب الدَّعْوة الذى بشَّرَهُ رسول الله (ﷺ) بالجنة ، فكان واحِدًا من العَشرة الْمُبَشَّرين ..

ولما ذهب « سَعِيدٌ » إلى « مَرْوَان » ، وجد عنده امرأة تُدْعى : « أَرْوَى بنت أُوَيْس » قد ادَّعَتْ عَلَيْه أَنَّهُ أَخذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا ، فَخاصَمَتْهُ إِلَى « مَرْوَان » فَقَالَ « سَعِيدٌ » : **أَنَا كُنْتُ آخُذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّه (ﷺ) ؟!** .. قَالَ « مَرْوَان » : **وَمَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّه (ﷺ) ؟** .. قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ : (**مَنْ أَخَذَ شبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا ، طُوِّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ**) .. فَقَالَ لَهُ « مَرْوَانُ » : **لاَ أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا** .. [1]

ثم يتوجَّه « سَعِيدٌ » إلى الله قائلاً : **اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً ، فَأَعْمِ بَصَرَهَا ، وَاجْعَلْ قَبْرَهَا فِي دَارِهَا** .. فَمَا مَاتَتْ حَتَّى صَارَتْ عَمْيَاءَ تَلْتَمِسُ الْجُدُرَ ، تَقُولُ : **أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعِيد بْنِ زَيْد** .. فَبَيْنَمَا هِيَ تَمْشِي فِي الدَّارِ ، مَرَّتْ عَلَى بِئْرٍ فِي الدَّارِ فَوَقَعَتْ فِيهَا ، فَكَانَتْ قَبْرَهَا .. [2]

وقد رُوِىَ أن « أَرْوَى » سألت « سَعِيدًا » أن يدعو لها ، وقالت : **إِنِّي ظَلَمْتُكَ** .. فقال : **لاَ أَرُدُّ عَلَى اللهِ شَيْئًا أَعْطَانِيه** .. [3]

ويتناقل أهل المدينة الخبر ، وتصير القِصَّة مثلاً يُروى ، ودعاءً يُقَال ، فكان

---

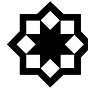
[1] رواه مسلم كتاب المساقاة . [2] رواه مسلم كتاب المساقاة . [3] رواه ابن عساكر .

بعضهم يدعو على بعض فيقول : **أَعْمَاكَ اللَّهُ عَمَى أَرْوَى** !!.. [1]

وتتفتَّح أبواب السماء لهذا القانت المجاهد ، الذى جهل أهل الأرض قَدْرَهُ ومَقَامَه .. وتصعد روحه إلى بارئها عن عُمْرٍ يُنَاهِز بضعة وسبعين عامًا .. ويتولَّى تغسيلَه وتكفينه : « عبد الله بن عمر » ، و« سعد بن أبي وقاص » (رضي الله عنهما) ، ويدفنانِه فى البقيع إلى جوار السابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار !! .. [2]

سَلاَمٌ عَلَيْكَ يَا حَامِلَ الْقُرْآن .. يَا مُبَشَّرُ بِسُكْنَى الْجِنَان ..

يا مَنْ كُنْتَ سَبَبًا في إِسَلامِ الإمَامِ الأَوَّابِ النَّاطِقِ بِالصَّوَابِ : عُمَرَ بْنِ الْخَطَّاب ..



---

(1) رواه ابن عساكر .

(2) رواه ابن عساكر .

أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاح (رضى الله عنه)

هو « عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْجَرَّاحِ » الْمُلَقَّب بـــ « أَبِى عُبَيْدَة » ، أَسْلَمَ (رضي الله عنه) وهو ابن سبع عشرة سنة ، وهاجر الهجرتين إلى الْحَبَشَة ، ثم هاجر إلى المدينة .. وآخى النبى (صلى الله عليه وسلم) بينه وبين « أبى طَلْحَةَ الأنْصَارى » .. وهو أحد العَشرة الْمُبَشَّرين بالْجَنَّة الذين كانوا أمام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى القتال ، وخَلفه فى الصلاة .. لقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (**أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ**)[1] .. ولقد كان (رضي الله عنه) عاشر عشرة مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على جبل « حراء » حين تحرك الجبل فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (**اثْبُتْ حِرَاءُ فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلاَّ نَبِيٌّ ، أَوْ صِدِّيقٌ ، أَوْ شَهِيدٌ**)[2] .. وقد شهد (رضي الله عنه) غزوتَيْ « بَدْرٍ » و« أُحُد » ، والغزوات كلها مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ..

ففى غزوة « بَدْر » جعل « أبو أبي عبيدة » يتصدى لأبي عبيدة ، فجعل « أبو عبيدة » يحيد عنه ، فلما أكثر ، قصَدَه فقتله ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ فيه هذه الآية حين قتل أباه : (لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ

[1] رواه أحمد مسند العشرة المبشرين بالجنة .

[2] رواه الترمذى كتاب المناقب .

خَـٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾)[١] .. [٢]

ويحكى « أبو بكر الصديق » (رضي الله عنه) موقِفًا من مواقف « أبى عبيدة بن الجراح » فيقول : لَمَّا كان يوم « أُحُد » ، انصرف الناس كلهم عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فكُنْتُ أول من فاء إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فرأيت بين يديه رجلاً يقاتل عنه ويحميه ، قلتُ : **كُنْ طَلْحَة فِداكَ أبي وأمي ، كُنْ طَلْحَة فِداكَ أبي وأمي** .. وكان بَيْني وبَيْن المشرق رجل لا أعرفه وأنا أقرب إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) منه وهو يخطف السَّعْيَ خطفًا لا أخطفه ، فإذا هو « أبو عبيدة بن الجراح » فدفعنا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جميعًا وقد كُسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ [٣] اليُمْنَى السُّفْلى ، وشُجَّ فِي وَجْهِهِ ، وقد دَخَل في وَجْنَتَيْهِ حلقتان من حلق الْمِغْفَر [٤] فقال لنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (**عَلَيْكُمْ بِصَاحِبِكُمْ**) .. يريد « طلحة » ، وقد نزف ، فلم نلتفت إلى قوله .. وذهبتُ لأنْزَع ذاك من وجهه ، فقال « أبو عبيدة » : **أَنْشُدُكَ اللهَ يَا أَبَا بَكْرٍ .. ألاَ تَرَكْتَنِي ؟** .. فتركته ، فكره تناولها بيده فيؤذي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فأَزَم عليها بفيه [٥] ، فاستخرج إحدى الحلقتين ، ووقعت ثنيته [٦] مع الحلقة ، وذهبت لأصنع ما صنع ، فقال : **أَنْشُدُكَ اللهَ يَا أَبَا بَكْرٍ .. ألاَ تَرَكْتَنِي ؟** .. ففعل مثل ما فعل في المرة الأولى ، فوقعت ثنيته الأخرى مع الحلقة .. فكان « أبو عبيدة » (رضي الله عنه) من أحسن الناس هتمًا ! ..

---

[١] سورة المجادلة آية ٢٢ .
[٢] رواه ابن عساكر .
[٣] الرباعية : السِّنّ بين الثنيّة والناب .
[٤] الْمِغْفَر : الخوذة التى توضع على الرأس لحمايته .
[٥] أى عضَّها وأمسكها بفمه .
[٦] الثَنية : السن الأمامية .

فأصلحنا من شأن رسول الله (ﷺ) ، ثم أتينا « طلحة » فإذا به بضع وسبعون من بين طعنة ورمية وضربة ، وإذا قد قُطِعت أصبعه ، فأصلحنا من شأنه .. [١]

وفى غزوة « ذات السلاسل » أرسل رسول الله (رضي الله عنه) « أبا عُبَيْدة » أميرًا على جيش فيه « أبو بكر » ، و« عمر » (رضي الله عنهما) ، مددًا لـــ « عمرو ابن العاص » (رضي الله عنه) .. وحين وصلوا إليه ، قال لهم « عمرو » : **أنَا أَميرُكُمْ ، وأنَا أَرْسَلْتُ إِلَى رسولِ الله (ﷺ) أَسْتَمِدّه بِكُم** .. فقال المهاجرون : **بَلْ أَنْتَ أَميرُ أَصْحَابِكَ ، وأَبُو عُبَيْدَة أَميرُ الْمُهَاجِرِين** .. فقال « عمرو » : **إِنَّمَا أَنْتُمْ مَدَدٌ ، أُمْدِدْتُ بِكُمْ** .. فلما رأى ذلك « أبو عبيدة » (رضي الله عنه) – وكان رجلاً حسن الْخُلُق ، لين الشِّيمَة ، مُتَّبعًا لأمر رسول الله (ﷺ) وعهده – قال : **تَعَلَّم يَا عَمْرُو أَنَّ آخرَ مَا عَهِدَ إِلَيَّ رَسُولُ الله (ﷺ) أَنْ قال : (إِذَا قَدِمْتَ عَلَى صَاحِبِكَ فَتَطَاوَعَا) ، وإِنَّكَ لَئِنْ عَصَيْتَنِي لأُطِيعَنَّكَ** .. فسَلَّم « أبو عبيدة » الإمارة لعمرو ابن العاص [٢] .. وهكذا استقرَّت الأمور بفَضل حِكْمَة هذا الصحابىّ الجليل ، الذى كان من بين العَشَرَة الْمُبَشَّرِينَ بالجنة ، والذى كان من أشهر قادة الإسلام الذين فُتِحَت الأمْصَار بشجاعتهم ، وانتشر الإسلام فى ربوع العالَم على أيديهم ..

ويقول « جَابِرُ بْنُ عَبْدِ الله » (رضي الله عنهما) : بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) وَأَمَّرَ عَلَيْنَا « أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ » نَتَلَقَّى عِيرًا [٣] لِقُرَيْشٍ ، وَزَوَّدَنَا جِرَابًا مِنْ تَمْرٍ لَمْ

---

[١] سيرة ابن كثير ، وزاد المعاد لابن القيم ، ورواه الحاكم فى المستدرك .
[٢] رواه ابن عساكر . [٣] نتلقى عيرًا : أى نرقب قوافل .

يَجدْ لَنَا غَيْرَهُ ، فَكَانَ « أَبُو عُبَيْدَةَ » يُعْطِينَا تَمْرَةً تَمْرَةً ، كُنَّا نَمُصُّهَا كَمَا يَمُصُّ الصَّبِيُّ ، ثُمَّ نَشْرَبُ عَلَيْهَا منَ الْمَاءِ ، فَتَكْفِينَا يَوْمَنَا إِلَى اللَّيْلِ .. وَكُنَّا نَضْرِبُ بعصيِّنَا الْخَبَطَ [1] ثُمَّ نَبُلُّهُ بِالْمَاءِ فَنَأْكُلُهُ [2] .. وَانْطَلَقْنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ ، فَرُفِعَ لَنَا كَهَيْئَةِ الْكَثِيبِ [3] الضَّخْمِ ، فَأَتَيْنَاهُ فَإِذَا هُوَ دَابَّةٌ [4] تُدْعَى : الْعَنْبَرَ ، فَقَالَ « أَبُو عُبَيْدَةَ » : **مَيْتَةٌ ، وَلاَ تَحِلُّ لَنَا** .. ثُمَّ قَالَ : **لاَ ، بَلْ نَحْنُ رُسُلُ رَسُولِ اللَّه** (ﷺ) ، **وَفِي سَبِيلِ اللَّه ، وَقَد اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْه ، فَكُلُوا** .. فَأَقَمْنَا عَلَيْه شَهْرًا ، وَنَحْنُ ثَلاَثُ مائَة ، حَتَّى سَمِنَّا ، فَلَمَّا قَدمْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّه (ﷺ) ذَكَرْنَا ذَلكَ لَهُ ، فَقَالَ : (**هُوَ رِزْقٌ أَخْرَجَهُ اللَّهُ لَكُمْ ، فَهَلْ مَعَكُمْ مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٌ فَتُطْعِمُونَا مِنْهُ ؟**) .. فَأَرْسَلْنَا مِنْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فَأَكَلَ .. [5]

وحين جاء وفد « نَجْرَان » إلى رسول الله (ﷺ) يطلبون مُعَلِّمًا ، وقَاضِيًا ، قال لهم : (**لأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلاً أَمِينًا ، حَقَّ أَمِينٍ ، حَقَّ أَمِينٍ**) .. فَاسْتَشْرَفَ لَهَا أَصْحَابُ النبى (ﷺ) .. فَقَالَ : (**قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ**) .. فَلَمَّا قَفَّا [6] قَالَ : (**هَذَا أَمِينُ هَذه الأُمَّة**) [7] ..

ويقول « عمر بن الخطاب » (رضي الله عنه) : ما تعرضت للإمارة قط أُحِبُّ أن أكون عليها إلا مرة واحدة ، فإن قومًا أتوا النبي (ﷺ) يشكون عاملهم ، فقال رسول الله

---

(1) الخبط : ورق الشجر . (2) من أجل ذلك سميت هذه الغزوة غزوة « الخبط » .
(3) الكثيب : ما ارتفع من الرمل المتجمع . (4) المقصود بالدابة هنا : الحوت .
(5) رواه مسلم وأبو داود ، واللفظ لأبى داود كتاب الأطعمة .
(6) قفَّا : ذهب . (7) رواه أحمد ، وابن عساكر .

(ﷺ) : (**لأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلاً أَمِينًا ، حَقَّ أَمِينٍ**) .. يقول « عمر » : فتعرضت لهذا لتدركني كلمة رسول الله (ﷺ) ، فأمَّر « أبا عبيدة » وتركني .. [1]

وعن « أَنَسِ بْنِ مَالك » (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ : (**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا ، وَإِنَّ أَمِينَنَا أَيَّتُهَا الأُمَّةُ : أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ**) [2] ..

ولقد كاد « أبو بكر » أن يعطيه الْخِلاَفة بعد رسول الله (ﷺ) حين اجتمعت الأنصار فى سقيفة بَنِى سَاعِدَة ، بعد انتقال النبى (ﷺ) إلى الرفيق الأعلى ، وقالوا لأبى بكر وعمر : **مِنَّا أَمِيرٌ ، وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ** .. وقال « عمر » : **سَيْفَان فى غِمْدٍ وَاحِدٍ إذًا لا يَصْطَحِبان** [3] .. فدعا « أبو بكر » إلى البيعة لعمر بن الخطاب ، أو أبي عبيدة بن الجراح ، وقال : **قَدْ رَضِيتُ لَكُمْ أَحَدَهُمَا** [4] .. فمد « عمر » يده إلى « أبى بكر » وبايَعَهُ ، وتمَّت البيعة لأبى بكر الصديق ، بعد ما اقتنع الأنصار بكلام عمر ، إذ قال : **يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ الله (ﷺ) أَمَرَ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يَؤُمَّ النَّاسَ** ؟ قالوا : بلى .. قال : **فَأَيُّكُمْ تَطِيبُ نَفْسُهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ** ؟ قالت الأنصار : **نَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ نَتَقَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ** [5] ..

وسار « أبو عُبَيْدة بن الجراح » (رضي الله عنه) فى خلافة « أبى بكر » نفس سِيرَته فى عهد رسول الله (ﷺ) جُنْدِيًّا من جنود الإسلام ، يدافع عن راية الحق ، ويَنْشُر الدين فى رُبُوع البلاد ، زاهدًا ، عابدًا ، متواضعًا ، تقيًّا ، عفًّا ، عفيفًا ، أمينًا ، تراه

---

(1) رواه ابن عساكر .
(2) رواه البخارى كتاب المناقب .
(3) رواه أحمد مسند العشرة المبشرين بالجنة .
(4) رواه ابن عساكر .
(5) رواه أحمد مسند العشرة المبشرين بالجنة ، والنسائى فى السنن الكبرى .

بين جنوده تحسبه واحِدًا منهم ..

وتأتى خلافة « عمر بن الخطاب » (رضي الله عنه) ويرسل الجيوش لمحاصرة « دمشق » بقيادة « خالد بن الوليد » (رضي الله عنه) لتأديب الرُّوم ، ونشر هَيْبَة الإسلام والمسلمين ، ويرى « عمر » أن الناس كادت أن تفتن بـــ « خالد بن الوليد » لكثرة انتصاراته ، فأرسل خطابًا إلى « أبى عبيدة بن الجراح » – وكان أميرًا فى جيش خالد – يولِّيه قيادة الجيوش ، ويعيِّنه أميرًا للأمراء ، حتى يعلم الناس أن النصر من عند الله ، ويكتم « أبو عبيدة بن الجراح » الخبر عن الجميع ، ويقاتل تحت إمرة « خالد بن الوليد » حتى ينتهى الحصار بالنصر ، ثم يذهب إليه فى تواضع ، وأدب جم ، ويقدِّم له خطاب أمير المؤمنين ، ويقرأ خالد الأمر بِعَزْلِه وتولية « أبى عبيدة » فيقول له : **يَرْحَمُكَ اللهُ ، ما مَنَعَكَ أَنْ تُعْلمَنِي حِينَ جَاءَكَ ؟** .. فيقول « أبو عبيدة » : **إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَكْسرَ عَلَيْكَ حَرْبَكَ ، ومَا سُلْطَانُ الدُّنْيَا أُرِيدُ ، ولا للدُّنْيَا أَعْمَلُ ، وما تَرَى سَيَصِيرُ إِلَى زَوَالٍ وانْقِطَاع ، وإِنَّمَا نَحْنُ إِخْوَان ، وما يَضُرُّ الرَّجُلَ أَنْ يَلِيَهُ أَخُوهُ فِي دِينِهِ ودُنْيَاهُ ..** [1]

ويتولَّى أَمِينُ الأمة قيادة الجيوش فى الشام ، ويفتح الله على يديه الأمصار ، ويذيع صيته ، ويصبح حديث الناس فى كل مكان ، وكأنه أسطورة ، فيفزع لذلك أشدَّ الفزع ، ويجمع الناس ، ويخطب فيهم قائلاً : (**يا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، ومَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَحْمَرَ ولا أَسْوَدَ يَفْضُلُنِي بِتَقْوَى إِلاَّ وَدِدْتُ أَنِّي فِي**

---

[1] البداية والنهاية لابن كثير .

مِسْلاَخِهِ [١])[٢] ..

وحين ذهب « عمر بن الخطاب » (رضي الله عنه) إلى الشام ، يتفقَّد حال جيوشه وحال أُمرائه ، تلقاه أمراء الأجناد ، وعظماء أهل الأرض ، فقال « عمر » : **أين أخي ؟** .. قالوا : **مَنْ ؟** .. قال : **أبو عُبَيْدَة** .. قالوا : **يَأْتِيكَ الآن** .. فجاء على ناقة مَخْطُومَة [٣] بِحَبْل ، فسَلَّمَ عَلَيْهِ وسَأَلَهُ [٤] ، ثم قال للناس : **انْصَرِفُوا عَنَّا** .. فسار معه حتى أتى منـــزله ، فنـــزل عليه ، فلم ير في بيته إلا سيفه وترسه ورحله ، فقال له « عمر » : **لَوِ اتَّخَذْتَ مَتَاعًا !!** .. قال « أبو عبيدة » : **يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ هَذَا سَيُبَلِّغُنَا الْمَقِيلَ** [٥] .. قال « عمر » : **غَيَّرَتْنَا الدُّنْيَا كُلَّنَا غَيْرَكَ يَا أَبَا عُبَيْدَة ..** [٦]

وينتشر الطاعون المعروف بطاعون « عَمْوَاس » بالشام ، وكان « أبو عبيدة » معافى منه هو وأهله فقال : **اللَّهُمَّ نَصِيبَكَ فِي آلِ أَبِي عُبَيْدَة** .. فخرجت بثرة فى أصبعه الخنصر ، فجعل ينظر إليها فقيل له : **إِنَّهَا لَيْسَتْ بِشَيْءٍ** .. فقال : **إِنِّي أَرْجُو أَنْ يُبَارِكَ اللهُ فِيهَا ، فَإِنَّهُ إِذَا بَارَكَ فِي الْقَلِيلِ كَانَ كَثِيرًا** [٧] ..

واستجاب الله له .. وأُصِيبَ بالطاعون فكان شهادة له كما قال النبى (صلى الله عليه وسلم) : (**الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**)[٨] .. وأوصى (رضي الله عنه) « مُعَاذَ بن جبل » بالصلاة

---

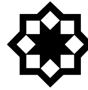
[١] مسْلاخه : جلده ، كناية عن التبعيَّة له .
[٢] رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى .
[٣] الَخطام : الزمام .
[٤] أى وسأله عن أحواله .
[٥] أى سيكفينا كزاد مسافر فى الدنيا يوشك أن يتركها .
[٦] رواه ابن عساكر .
[٧] رواه البيهقي فى شُعب الإيمان .
[٨] رواه البخارى كتاب الجهاد والسير .

عليه ، واستخلفه على الناس حتى يأتى أمر أمير المؤمنين ..

ويتذكره « عمر بن الخطاب » (رضي الله عنه) وهو على فراش موته ، والناس يطلبون منه أن يستخلف فيقول : (**لَوْ أَدْرَكْتُ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ لاسْتَخْلَفْتُهُ ، ومَا شَاوَرْتُ فِيهِ ، فَإِنْ سُئِلْتُ عِنْهُ ، قلت : اسْتَخْلَفْتُ أَمِينَ اللهِ وأَمِينَ رَسُولِهِ**)[1] ..

رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ يَا أَمِينَ الأُمَّة ، ويا أَمِيرَ الأُمَرَاء ..

وجَزَاكَ اللَّهُ عَنْ أُمَّةِ الإسْلامِ خَيْرَ الْجَزَاء ..



(1) رواه الحاكم فى المستدرك .

حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ (رضى الله عنه)

كان « حَمْزَةُ بْنُ عبدِ الْمُطَّلِبِ » سَيِّدًا من سادات قُرَيشٍ ، وزِينَة شبابِها .. واشتهر بشجاعته ، وفروسيَّته ، وحُبِّه للصَّيْد .. وحين بُعِث النبى (ﷺ) لم يَكُنْ من بين المؤيِّدين أو المعارضين ، وظل يُرَاقب ذلك الْحَدَث الكبير دون تدخُّل .. فالمبعوث أخ له فى الرَّضاع ، فقد أرضعتهما « ثُوَيْبَةُ » جَارِيَة « أَبِى لَهَب » – وإن كان أسنَّ من النبى (ﷺ) بسنتين – وهُو فى الوقت نفسه عمُّه ، وأُمُّه بنت عم أُمِّه ، فهو مُتَّصل النَّسَب به عن طريق الأب ، وعن طريق الأم .. تلك كانت الصِّلَة ذات الشُّعَبِ الثلاث ، التى جعلته من أقرب الناس إلى قَلْبه ، والتى جَعَلَتْه يثور ثورة عارمة حين علم بعد عودته من رِحْلَة صَيْد أن « أبا جهل » قد أغلظ القول له (ﷺ) ، وأسمعه من السِّباب ما يَكْرَه ، دون أن يردَّ عليه .. فانطلق إلى الكعبة حيث يجلس « أبو جهل » فى ملإ من قُرَيش ، وضربه بقوسه ضربة شديدة على رأسه .. وقال له : **أَتَشْتمهُ وأنَا عَلَى دِينِه ، أَقُولُ ما يَقُول ؟! فَرُدَّ عَلَيَّ إِنِ اسْتَطَعْتَ** [1] .. ويذهل الجميع عن الضربة التى شجَّت وجه زعيمهم بِهذه المقالة التى قالها « حَمْزَة » ، وقاموا إليه فزعين : **مَا نَراكَ يا حَمْزَةُ إلاَّ صَبَأْتَ !!** .. فقال « حمزة » : **وما يَمْنَعُنِي وقَدِ اسْتَبَان لِي ذَلِكَ مِنْهُ ، أنَا أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُول اللهِ ، وأَنَّ الَّذِي يَقُول :**

---

[1] معرفة الصحابة لأبي نعيم .

حَقٌّ ، فَوَاللهِ لا أَنْزِعُ ، فَامْنَعُونِي إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين .. [1]

ويخيِّم الصمت على الجميع .. فذاك آخر ما كانوا يتوقَّعون ، أن ينضم « حمزة ابن عبد المطلب » – فارس قريش وزينة شجعانِها – إلى ابن أخيه ..

وينصرف « حَمْزَةُ » ، وتذهب عنه سَوْرَة الغضب ، ويعود إليه هدوؤه ، ويجد أنه قد تسرَّع فى هذا الإعلان الذى لم يكن صادرًا إلا عن حميَّة وغضب ، لا عن إيمان واقتناع .. يعود « حمزة » إلى بيته ، ويبيت ساهِرًا مُتَمَلْمِلاً فى شك من أمره عظيم .. فينطلق إلى البيت الحرام ، ويطوف بالكَعبة ، داعيًا الله تبارك وتعالى أن يَهْدِيَه إلى الحق ، وما إن انتهى من طوافه حتى شرح الله صدره للإسلام .. فذهب إلى رسول الله (ﷺ) وأخبره بخبره فدعا الله أن يثبِّته على الإيمان واليقين ..

وبإسلام « حَمْزة » (رضي الله عنه) خففَّت قُرَيش من أذاها لرسول الله (ﷺ) فقد أصبح فى مَنعَةٍ ..

وتأتى الهجرة ، ويهاجر « حَمْزَةُ » مع مَنْ هاجر ، وينال شرف أن يكون أوَّلَ من سار بسَرِيَّةٍ فى الإسلام ، وأوَّل من حَمَل لواءً لرسول الله (ﷺ) .. ويشاء الله تبارك وتعالى أن يَلْتَقِى المسلمون والمشركون فى غزوة « بَدْر » على غير موعد – فقد خرج صناديد قُرَيْش بِخَيْلِهم وخيلائهم لإنقاذ قافلتهم – وبرز منهم ثلاثة من أعتى مقاتليهم : « عُتْبَةُ بن رَبيعَة » ، و« شَيْبَة بن رَبيعَة » ، و« الوَلِيد بن عُتْبة » .. ودعوا إلى المبارزة ، فخرج لهم فتية من الأنصار ، فقالوا لهم : **ما لنا**

---

[1] رواه الحاكم في المستدرك .

بكم حاجة ، إنما نريد قومنا .. ونادَوْا : **يا محمد ، أخرج إلينا أَكْفَاءنَا من قومنا** .. فخرج إليهم « حمزة بن عبد المطلب » ، و« على بن أبى طالب » ، و« عبيدة ابن الحارث بن عبد المطلب » (رضي الله عنهم) ، والتقى الخَصْمان ، فقتل « حمزةُ » شيبةَ ، وقتل « عَلِىٌّ » الوليدَ ، ثم أعانا « عُبَيْدة » على قتل « عُتْبَة » [١] ..

وتبدأ المعركة .. ويصول « حَمْزَةُ » ويجول بسيفين فى يديه ، ويقتل « طُعَيْمَةَ ابن عَدِىٍّ » أخا « الْمُطْعِمِ بن عَدِىٍّ » .. وينتصر المسلمون على قِلَّةِ عَدَدِهم وعُدَّتِهم بفضل الله .. بعد أن قتلوا من المشركين سبعين ، وأَسَرُوا سبعين .. وكان من بين القَتْلى « عُقْبَةُ بنُ أَبِى معيط » ، و« أُمَيَّةُ بنُ خلف » ، و« أبو جهل » ، و« شيبة بن ربيعة » كبار صناديد قريش ، وأشدهم تعذيبًا للمسلمين بمكّة ..

وتعود فلول قريش بالخزى والعار إلى مَكَّةَ لا همَّ لهم إلا الثأر والانتقام خاصة من « حمزة بن عبد المطلب » الذى كان يقاتل بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بسيفين ، الملقَّب بأسد الله وأسد رسوله ..

وقد رُوِىَ عن « حَمْزَة » (رضي الله عنه) أنه كان يُعَلِّم في الحرب بريشة نعامة ، وحين تساءل بعض أسارى كفار يوم بدر : **مَنِ الرَّجُل الْمُعَلَّم بِرِيشَة نَعَامَة فِي صَدْرِه ؟** فقيل لهم : **حَمْزَة** .. قالوا : **ذَاكَ فَعَلَ بِنَا الأَفَاعِيل** .. [٢]

ويستدعى « جُبَيْرُ بْن مُطْعِمٍ » عَبْدَه « وحشيًّا الْحَبَشِى » ، ويقول له : **إِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ بِعَمِّي فَأَنْتَ حُرٌّ** [٣] – فقد قتل « حَمْزَة » (رضي الله عنه) « طُعَيْمَةَ بن

---

[١] سيرة ابن هشام . [٢] رواه ابن عساكر . [٣] رواه البخارى كتاب المغازى .

عَدِيٍّ » – وكانت « هِنْد بنت عُتْبة » كلما مرت بــ « وَحْشِيّ » – الذى كان يُكْنَى بأبي دسمة – أو مر بِهَا قالت : **وِيهًا أبا دسمة ، اشْفِ واشْتَفِ** [1] .. تحرضه بذلك على قتل « حَمْزَة » الذى قتل أباها وعمَّها فى المبارزة ..

وتستعد قريش لغزوة « أُحُد » ، ويخرج « وَحْشِيٌّ » معهم ولا همَّ له إلا التربُّص بِحَمْزَة .. وتدور الدائرة على المشركين ، ويصول « حمزة » ويجول يقاتل بسيفيه ، ويقتل من المشركين واحدًا وثلاثين رجلاً [2] .. ويكاد النصر أن يتحقق لولا مخالفة بعض الرماة لأمر رسول الله (ﷺ) إذ تركوا مواقعهم ، فدارت الدائرة على المسلمين .. وأثناء ذلك يتربَّص « وَحْشِيٌّ » بِحَمْزَة ، ولا يشترك فى القتال ، حتى رآه قد عثر عثرة ، فوقع على ظهره ، فانكشف الدرع عن بطنه ، فرماه برمحه ، فقتله .. وانْهَزَم المسلمون ، وفرُّوا لا يلوون على شيءٍ ، وجاءت نساء المشركين ، وكل امرأة لها ثأر يُجَدِّعْنَ [3] أنوفَ القَتْلى من المسلمين وآذانَهم ، ويَبْقُرْنَ [4] بطونَهم ، وعثرت « هِنْد بنت عُتْبَة » على « حمزة » (رضي الله عنه) بين القَتْلَى فَبَقَرَتْ بطنه ، وأخرجت كَبِدَه ، ولاكتها بأسنانِها فلم تستسغها فلفظتها .. وفى ذلك يقول النبى (ﷺ) : (**لَوْ دَخَلَ بَطْنَهَا لَمْ تَمَسَّهَا النَّارُ**) [5] ..

ويعود المشركون فرحين بنصرهم وانتقامهم بعد أن هتف « أبو سُفْيَان » :

يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ ، وَالْحَرْبُ سِجَالٌ ، إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ فِي الْقَوْمِ مُثْلَةً لَمْ آمُرْ بِهَا ،

---

[1] رواه ابن اسحاق في سيرته . [2] ذكره ابن عساكر . [3] يجدعن : يقطعن .
[4] يبقرن : يشققن . [5] رواه ابن عساكر .

وَلَمْ تَسُؤْنِي .. [١]

وذهب النبى (ﷺ) يتفقَّد القَتْلى ، ووقعت عيناه على عمِّه « حَمْزة » وقد قُتِل ، ومُثِّل به ، فرأى منظرًا لَمْ يَرَ منظرًا قط أَوْجَع لقلبه منه ، فقال : (**رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْكَ ، قَدْ كُنْتَ وَصُولاً لِلرَّحِم ، فَعُولاً لِلْخَيْرَات**) .. ثم قال : (**لَوْلاَ أَنْ تَجِدَ** [٢] **صَفِيَّةُ** [٣] **لَتَرَكْتُهُ حَتَّى يَحْشُرَهُ اللَّهُ مِنْ بُطُونِ الطَّيْرِ والسِّبَاع**) .. ثم حلف (ﷺ) وهو واقف مكانه : (**واللهِ لَئِنْ ظَفِرْتُ بِهِمْ لأُمَثِّلَنَّ بِسَبْعِينَ رَجُلاً مِنْهُمْ**) ، فنـــزل قول الله تعالى : (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ)[٤] ، فكَفَّر رَسُولُ الله (ﷺ) عن يَمِينه ، وأمسك عما أراد .. [٥]

ويروى « جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ » (رضى الله عنهما) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى « أُحُد » فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ يَقُولُ : (**أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ ؟**) .. فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا ، قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ ، وَقَالَ : (**أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) .. وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ بِدِمَائِهِمْ ، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يُغَسِّلْهُمْ .. [٦]

ولَمَّا عاد النبى (ﷺ) إلى المدينة سَمِعَ نِسَاءَ الأَنْصَارِ يَبْكِينَ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ ،

---

[١] رواه البخارى كتاب الجهاد والسير . [٢] تجد : تحزن . [٣] صفية هى أخت حمزة .
[٤] سورة النحل الآيتان ١٢٦ ، ١٢٧ . [٥] رواه ابن عساكر ، والحاكم فى المستدرك .
[٦] رواه البخارى كتاب الجنائز .

فَقَالَ : (**لَكِنَّ حَمْزَةَ لاَ بَوَاكِيَ لَهُ**) .. فَبَلَغَ ذَلِكَ نِسَاءَ الأَنْصَارِ ، فَجِئْنَ يَبْكِينَ عَلَى « حَمْزَةَ » ، فَانْتَبَهَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) مِنَ اللَّيْلِ فَسَمِعَهُنَّ وَهُنَّ يَبْكِينَ ، فَقَالَ : (**وَيْحَهُنَّ ، لَمْ يَزَلْنَ يَبْكِينَ بَعْدُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ !! مُرُوهُنَّ فَلْيَرْجِعْنَ ، وَلاَ يَبْكِينَ عَلَى هَالِكٍ بَعْدَ الْيَوْمِ**)[1] ..

وقد أنشد شعراء رسول الله (ﷺ) : « كَعْب بن مَالِك » ، و« عَبْدُ الله بن رَوَاحَة » شِعْرًا يَرْثون به « حمزة » (رضي الله عنه) .. وكان من ضمن ما قاله « كَعْب » :

بَكَتْ عَيْنِي وحَقٌّ لَهَا بُكَاهَــا ... ومَــا يُغْنِي الْبُكَاءُ ولا العَوِيلُ

عَلَى أَسَدِ الإلَــهِ غَدَاةَ قَالُــوا ... لِحَمْزَةَ : ذَاكُمُ الرَّجُلُ الْقَتِيلُ

أُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ بِــهِ جَمِيعًا ... هُنَاكَ ، وقَدْ أُصِيبَ بِهِ الرَّسُولُ[2]

أما « هِنْد بنت عُتْبَة » (رضي الله عنها) فقد أسلمت يوم فتح مكة ، وحَسُن إسلامها .. وأما « وحشيّ » ذلك الحبشيّ فقد عاد إلى مكة ، وأُعْتِقَ ، وأصبَحَ حُرًّا .. ولما فتح رسول الله (ﷺ) مكَّة فرَّ « وحْشِيٌّ » إلى الطائف ، ولجأ إليها .. وحين فتحت الطائف ، وأسْلَمَ أهلُهَا ضاقت به الأسباب ، وفكَّر أن يهرب إلى الشام ، أو اليمن ، فقال له رجل : **وَيْحَكَ يَا وَحْشِيُّ ، واللهِ مَا يَأْتِي مُحَمَّدًا أَحَدٌ يَشْهَدُ بِشَهَادَتِهِ إلاَّ خَلَّى عَنْهُ**[3] .. فذهب « وحْشِيٌّ » إلى رسول الله (ﷺ) ونطق بالشهادة بين يديه ، فقال له رسول الله (ﷺ) : (**آنْتَ وَحْشِيٌّ ؟**) .. قال :

---

[1] رواه أحمد مسند المكثرين من الصحابة . [2] رواه ابن عساكر . [3] رواه البيهقى فى سننه .

نَعَمْ .. قَالَ : (**أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ ؟**) .. قال : **قَدْ كَانَ مِنَ الأَمْرِ مَا بَلَغَكَ يَا رَسُولَ اللهِ** .. قَالَ : (**فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّبَ وَجْهَكَ عَنِّي**)[1].. فكان « وحشىٌّ » يتقي أن يراه رسول الله (ﷺ) [2] ..

ويخرج الْمُسْلِمُونَ لقتال « مُسَيْلِمَة الكذَّاب » فى خلافة « أبى بكر الصديق » (رضي الله عنه) ، ويَرْوِى « وَحْشِيٌّ » فيقول : **لَمَّا خَرَجَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى « مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ » صَاحِبِ الْيَمَامَةِ ، خَرَجْتُ مَعَهُمْ ، وَأَخَذْت حَرْبَتِي الَّتِي قَتَلْت بِهَا « حَمْزَةَ » ، فَالْتَقَيْنَا ، فَرَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي ، فَأَضَعُهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ ، فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ بِحَرْبَتِى فَإِنِّى أَرْجُو أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِى أَنْ قَتَلْتُ بِهَا شَرَّ النَّاسِ** .. [3]

هذا .. ومن عظمة الإسلام أنه يَجُبُّ ما قَبْله .. فمهما ارتكب العبد من شرور قبل إسلامه ، فإنه بالإسلام يبدأ صفحة جديدة وكأنه قد وُلِد من جديد ، أما إذا كان قد عمل من الصالحات قبل إسلامه ، فإنَّها تُكْتَب له بعد إسلامه ، فقد سأل رجلٌ النبى (ﷺ) عن أعمال صالحة عملها قبل إسلامه بقوله : **يَا رَسُولَ اللَّه ، أَرَأَيْتَ أُمُورًا كُنْتُ أَتَحَنَّثُ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّة مِنْ صِلَة وَعَتَاقَة وَصَدَقَة ، هَلْ لِي فِيهَا مِنْ أَجْرٍ ؟!** .. فأجاب (ﷺ) قائلا : (**أَسْلَمْتَ عَلَى مَا سَلَفَ لَكَ مِنْ خَيْرٍ**)[4] ..

---

[1] رواه البخارى كتاب المغازى ، وأحمد فى مسنده . [2] رواه البيهقى فى سننه .
[3] رواه البخارى ، والبيهقى بنحوه . [4] رواه البخارى كتابي البيوع والأدب .

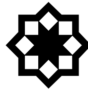
وفى خلافة « معاوية بن أبى سفيان » (رضي الله عنه) — وقد مضت أربعون سنة على استشهاد « حمزة » (رضي الله عنه) - يحدث سيل يجرف القبور فى « أُحُد » ويُستصرخ الناس على قتلاهم ، فيذهبون لتسوية القبور ، وإذا بالشهداء وكأنهم نيام إذا حملوهم وجدوهم رطابًا تُثْنَى أطرافهم ، وأصابت المَجْرَفَة رِجْل « حمزة بن عبد المطلب » فانفجر منها الدم [1] ..

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[2] ..

ويروى « يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَبِيبَةَ » عن جده أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنَّهُ لَمَكْتُوبٌ عِنْدَ اللهِ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ : حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَسَدُ اللهِ ، وَأَسَدُ رَسُولِهِ**)[3] ..

ويقول « علي بن أبي طالب » (رضي الله عنه) : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (**سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ : حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ**)[4] ..

رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَأَرْضَاكَ يَا سَيِّدَ الشُّهَدَاءِ



---

[1] رواه بنحوه ابن عساكر ، والبيهقى في دلائل النبوة .
[2] سورة آل عمران آية ١٦٩ .
[3] رواه الحاكم فى المستدرك ، والطبراني فى المعجم الكبير .
[4] رواه الحاكم فى المستدرك ، والطبراني فى المعجم الكبير .

مُصْعَبُ بنْ عُمَيْر (رضى الله عنه)

كان « مُصْعَبُ بنُ عُمَير » (رضي الله عنه) أحسنَ فتيان مكة لِمَّة [1] ، وأنعمهم نعمة .. وأكثرهم جمالاً ، وأَغضّهم شبابًا .. وكان أثيرًا لدى أبويه اللذَيْن كانا يكسوانه بأرَقِّ الثياب ، وأنعمها ، وأغلاها ، وأحلاها .. ذلك الفتى ذو الأربعة والعشرين ربيعًا ، الذى كان يمشى مختالاً فى طرقات مكة ، وعطره يسبقه ..

وعلى قدر زينة مظهره وبَهائه ، كان طِيب معدنه ومخبره .. فما إن سمع برسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى سارع إليه فى دار « الأَرْقَم بن أبى الأَرْقَم » يبايعه ، ويُسْلِم على يديه مع السابقين إلى الإسلام ، ويُخفى إسلامه عن أبويه ، ويتردَّد على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سِرًّا .. يسمع منه ، ويحفظ عنه ..

وفى يوم من الأيام ، يبصر به « عُثمان بن طَلْحَة » – أحد رجال قبيلته : بنى عبد الدار – يُصَلِّى فيسرع إلى أبويه يخبرهما الخبر .. وتثور ثائرة الأب والأم فيحبسانه ، ويوثقانه ، ويمنعان عنه الطعام ، ويجتمع عليه قومه يحاولون إثناءه عن إسلامه : تارة بالترغيب ، وتارة بالترهيب .. ويصمد الفتى ، ويثبت على إسلامه ، غير مبال بالتعذيب والحرمان ، حتى تُتَاح له الفرصة فيهرب مهاجرًا إلى الحبشة مع المهاجرين الأوَّلين ..

---

[1] أى شعر رأسه يُجاوز شحمتي أذنيه .

ويعود « مُصْعَبُ بنُ عُمَير » (رضي الله عنه) من الحبشة مع مَنْ هاجر إليها حين وصلتهم إشاعة إسلام أهل مكة ، ويفاجأ الجميع بعدم صحة الخبر ، ويشتد إيذاء أهل مكة للمسلمين ، ويلقى « مُصْعَبُ بنُ عُمَيْر » النصيب الأكبر من التعذيب ، والإيذاء ، والحرمان .. يقول « سَعْدُ بْنُ أَبِى وَقّاص » (رضي الله عنه) : **كُنَّا قَوْمًا يُصِيبُنَا ظَلْفُ العَيْش بمكة مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فلما أصابنا البَلاءُ اعترفنا ، ومررنا عليه فصبرنا ، وكان « مُصْعَب بن عُمَيْر » أنعمَ غُلامٍ بمكة ، وأجوده حُلَّة مع أبويه ، ثم لقد رأيتُه جُهِد في الإسلام جهدًا شديدًا ، حتى لقد رأيتُ جِلْدَه يَتَحشَّفُ كما يَتَحشَّف جِلْدُ الْحَيَّة** .. [1]

ويروى « على بن أبى طالب » (رضي الله عنه) فيقول : إِنَّا لَجُلُوسٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فِي الْمَسْجِدِ إِذْ طَلَعَ « مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ » مَا عَلَيْهِ إِلاَّ بُرْدَةٌ لَهُ مَرْقُوعَةٌ بِفَرْوٍ ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) بَكَى لِلَّذِي كَانَ فِيهِ مِنَ النِّعْمَةِ ، وَالَّذِي هُوَ الْيَوْمَ فِيهِ .. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (**كَيْفَ بِكُمْ إِذَا غَدَا أَحَدُكُمْ فِي حُلَّة ، وَرَاحَ فِي حُلَّة ، وَوُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ صَحْفَةٌ ، وَرُفِعَتْ أُخْرَى ، وَسَتَرْتُمْ بُيُوتَكُمْ كَمَا تُسْتَرُ الْكَعْبَةُ ؟!**) .. قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، نَحْنُ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مِنَّا الْيَوْمَ ، نَتَفَرَّغُ لِلْعِبَادَةِ ، وَنُكْفَى الْمُؤْنَةَ .. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (**لأَنْتُمُ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْكُمْ يَوْمَئِذٍ**)[2] ..

ويأذن الله تبارك وتعالى بالفَرَج ، ويأتى بعض أهل المدينة إلى مكة فى أحد مواسمها ، ويعرض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عليهم الإسلام ، ويشرح الله تبارك وتعالى

---

[1] أسد الغابة لابن الأثير .

[2] رواه الترمذى كتاب صفة القيامة .

صدورهم ، وتتم بيعة العقبة الأولى ، ويشهدها اثنا عشر رجلاً من رجالات المدينة ، ويبعث رسول الله (ﷺ) معهم « مُصْعَبَ بن عُمَيْر » (رضي الله عنه) مُعَلِّما ، وهاديا .. يُقْرِئهم القرآن ، ويُفقِّههم فى الدِّين .. فكان أوَّل سفير للإسلام .. وينـــزل « مصعب بن عمير » فى ضيافة « أسْعَد بن زُرَارَة » ، ويلبس من ثيابه ، ويمشى فى طرقات المدينة : يقرأ القرآن على الناس ، ويدعوهم إلى عبادة الله الواحد الأحد .. وينتشر الخبر ، ويصل إلى سادات المدينة وزعمائها ، فيسرع « أُسَيْدُ بنُ حُضَيرٍ » مُغْضَبًا إلى بيت « أَسْعَد بن زُرَارَة » ومعه حَرْبَتُهُ ، فلما رآه « أَسْعَد » قال لـــ « مُصْعَب بن عُمَيْر » : **هَذَا سَيِّدُ قَوْمِهِ قَدْ جَاءَك ، فَاصْدُقِ اللَّهَ فِيهِ** .. قال « مُصْعَب » : **إنْ يَجْلِسْ أُكَلِّمْهُ** .. فوقف عليهما « أُسَيْدُ » مُتَشَتِّمًا فقال : **مَا جَاءَ بِكُمَا إلَيْنَا تُسَفِّهَانِ ضُعَفَاءَنَا ؟ اعْتَزِلاَنَا إنْ كَانَتْ لَكُمَا بِأَنْفُسِكُمَا حَاجَةٌ** .. فقال له « مُصْعَب » : **أَوَتَجْلِسُ فَتَسْمَعَ ، فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا قَبِلْتَهُ ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ كُفَّ عَنْكَ مَا تَكْرَهُ ؟** .. قال : **أَنْصَفْتَ** .. ثم رَكَزَ حَرْبَتَهُ ، وجلس إليهما ، فكلمه « مُصْعَب » بالإسلام ، وقرأ عليه القرآن .. فعُرِف في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهله ، ثم قال : **مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلاَمَ وَأَجْمَلَهُ ! كَيْفَ تَصْنَعُونَ إذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا فِي هَذَا الدِّينِ ؟** .. قالا له : **تَغْتَسِلُ فَتَطْهُرُ ، وَتُطَهِّرُ ثَوْبَيْكَ ، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ ، ثُمَّ تُصَلِّي** .. فَقَامَ فَاغْتَسَلَ ، وَطَهَّرَ ثَوْبَيْهِ ، وَتَشَهَّدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ ، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ ، ثم قال لهما : **إنَّ وَرَائِي رَجُلاً إنْ اتَّبَعَكُمَا لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ ، وَسَأُرْسِلُهُ إلَيْكُمَا الآنَ : « سَعْدَ**

ابْنَ مُعَاذٍ » .. ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ ، وَانْصَرَفَ إِلَى « سَعْدٍ » .. [(١)]

ويتكرَّر الأمر مع « سَعْد بن مُعَاذ » الذى يسارع بإعلان إسلامه ، ويسلم قومه بإسلامه ، ثم يسلم « سَعْدُ بنُ عبادة »[(٢)] ، ويتسابق الحيَّان : « الأَوْس » ، و« الْخَزْرَج » فى الدخول فى هذا الدين الجديد الذى أشرقت المدينة بنوره وضيائه .. ولم يبق بيت بالمدينة إلا وفيه ذِكْرٌ لرسول الله (ﷺ) .. ويأتى موسم الحج فى العام التالى ، وإذا بـــ « مُصْعَب بن عُمَيْر » (رضي الله عنه) قادم من المدينة ومعه ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان يبايعون رسول الله (ﷺ) بيعة العَقَبَة الثانية ..

ويعود « مُصْعَب بن عُمَيْر » (رضي الله عنه) إلى المدينة يُفَقِّه أهلها ، ويُعَلِّمهم القرآن ، ويُصَلِّي بِهِم أوَّل جمعة صليت فى الإسلام ، ثم يلحق به « عبد الله ابن أم مَكْتوم » ، ثم « عَمَّار بن ياسر » ، و« سَعْد بن أبي وقَّاص » ، و« عبد الله بن مَسْعُود » ، و« بِلال بن رَبَاح » ، ثم « عمر بن الخطاب » فى أربعين راكبًا من ضعفاء المسلمين .. (رضي الله عنهم جميعًا) ..

ويترقَّب أهل المدينة وصول رسول الله بعد ما مهَّد « مُصْعَب بن عُمَيْر » أُناسها ، وأهلها ، بل جبالها ووديانـــها بقرآنه ، وحكمته ، وهَدْيه .. حتى إذا وصل النبي (ﷺ) خرجت إليه المدينة بِكُلِّها وكَلِيلها وهتاف الجميع :

طَلَــعَ الْبَـــــدْرُ عَلَيْنَـــا مِـــنْ ثَنِيَّـــاتِ الــوَدَاع
وَجَـــبَ الشُّكْـــرُ عَلَيْنَا مَـــــا دَعَـــــا للهِ دَاع

---

(١) سيرة ابن هشام . (٢) سيرة ابن هشام .

أَيُّهَـــا الْمَبْعُــوثُ فِينَـــا جِئْتَ بالأَمْــرِ الْمُطَـــاع

جِئْتَ شَرَّفْـــتَ الْمَدِينَــة مَرْحَبًا يَـــا خَيْــرَ دَاع

وتأتى غزوة « بَدْر » فى السنة الثانية من الهجرة .. وكما اصطفى رسول الله (ﷺ) مُصْعَبًا ليكون أوَّل سفير للإسلام بالمدينة المنوَّرة ، يصطفيه ليكون حامل لوائه فى الغزوة التى تحقق فيها النصر المبين ..

وتعود قُرَيْش وقد صمَّمت على الثأر لقتلاها في « بَدْر » ، ويلتقى الفريقان فى « أُحُد » ، ويدفع رسول الله (ﷺ) اللواء إلى « مُصْعَب بن عُمَيْر » (رضي الله عنه) الذى يقاتل بشجاعة منقطعة النظير .. وتَهُبُّ رياح النصر لولا مخالفة الرماة لأمر رسول الله (ﷺ) الذين تركوا موقعهم ظنًّا منهم بانتهاء القتال ، وتسرُّعًا إلى الغنائم ، وتدور الدائرة على المسلمين ، وينكشف الناس عن رسول الله (ﷺ) كُلٌّ يحاول أن ينجو بِنَفْسه ولا يلوى على شيء ، وتَسْرِي إشاعة مقتل النبي (ﷺ) بين صفوف المسلمين مما يزيد الكَرْب والْهَلَع فى النفوس ..

ويثبت حول الرسول (ﷺ) قليل من السابقين ، ويقاتل « مُصْعَب بن عُمَيْر » (رضي الله عنه) بيد ، ويرفع لواء رسول الله (ﷺ) باليد الأخرى ، حتى جاء « ابن قَمِئة الليثي » فضرب يده اليمنى التى تحمل اللواء فقطعها ، و« مُصْعَب » يقول : (**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ**) – ولم تكن الآية قد نزلت بعد – وأخذ (رضي الله عنه) اللواء بيده اليسرى وحنا عليه ، فضرب « ابن قَمِئة » يده اليسرى فقطعها ، فحنا (رضي الله عنه) على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول : (**وَمَا**

مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) ، ثم حمل عليه « ابن قَمِئة » الثالثة بالرمح فأنفذه [١] ، واندق الرمح ، ووقع « مُصْعَب » (رضي الله عنه) وخضَّبت دماؤه الشريفة رمال « أُحُد » ، وسقط اللواء ، وابتدر رجلان من بني عبد الدار اللواء ، فلم يزل في يد أحدهما حتى دخل به المدينة حين انصرف المسلمون .. [٢]

وتنتهى المعركة ، ويتفقَّد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) القتلى من أصحابه ، ويقف على « مُصْعَب بن عُمَيْر » – وهو منكفئ على وجهه – ويتلو (صلى الله عليه وسلم) قول الله تعالى : (مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً)[٣] ، ثم يقول (صلى الله عليه وسلم) : **إِنَّ رَسُولَ اللهِ يَشْهَدُ عَلَيْكُمْ أَنَّكُمْ شُهَدَاءُ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَة** .. ثم أقبل على الناس فقال (صلى الله عليه وسلم) : (**أَيُّهَا النَّاسُ ، ائْتُوهُمْ فَزُورُوهُمْ ، وسَلِّمُوا عَلَيْهِمْ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لاَ يُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلاَّ رَدُّوا عَلَيْهِ السَّلاَم**)[٤] ..

وتمضى الأيام ويحكى لنا « خَبَّابُ بْنُ الأَرَتِّ » (رضي الله عنه) فيقول : هَاجَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) نَبْتَغِي وَجْهَ اللَّهِ ، فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ ، فَمِنَّا مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا ، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدِبُهَا [٥] ، وَإِنَّ « مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ » مَاتَ وَلَمْ يَتْرُكْ إِلاَّ ثَوْبًا كَانُوا إِذَا غَطَّوْا بِهِ رَأْسَهُ خَرَجَتْ رِجْلاَهُ ، وَإِذَا

---

[١] أنفذه : أدخله فى جسمه حتى أخرجه من الجهة الأخرى .

[٢] رواه ابن سعد فى الطبقات الكبرى .

[٣] سورة الأحزاب آية ٢٣ .

[٤] أسد الغابة لابن الأثير .

[٥] يهدبـــها : يقطعها ويجتنيها .

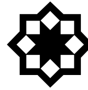
غَطَّوْا بِهِ رِجْلَيْهِ خَرَجَ رَأْسُهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : (**غَطُّوا رَأْسَهُ ، وَاجْعَلُوا عَلَى رِجْلَيْهِ الإِذْخِرَ** [1])[2] ..

سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا أَوَّلَ سَفِيرٍ للإِسْلَام ..

سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا حَامِلَ لِوَاءِ سَيِّدِ الأَنَام ..

سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا مُعَلِّمَ القُرْآن ..

سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا « مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ » ..



---

[1] الإذخر : نبات طيب الرائحة .

[2] رواه الترمذى كتاب المناقب .

بِلاَلُ بْنُ رَبَاحٍ (رضى الله عنه)

(**أَحَدٌ** .. **أَحَدٌ** .. **أَحَدٌ**) .. صرخات .. ردَّدت جبالُ مَكَّة السبعةُ صدَاها .. صرخات صاعِدَة من أعماق قَلْب مُؤْمنٍ فى جَسَدٍ نَحِيلٍ لِعَبْدٍ حَبَشِيٍّ أصَرَّ على أن يُظْهِرَ إسْلامَهُ ويُعْلِنَهُ على رُءوسِ الأشْهَادِ ضِمْن سبعة على رأْسِهم رَسُولُ الإِسْلاَم (ﷺ) ..

لقد كان « بلاَلٌ » (رضي الله عنه) عبدًا لــ « أُمَيَّة بن خَلَف » أحد صناديد قُرَيش ، وأحدِ رءوس الكُفْر بمكَّة ، الذى هاله بقدر ما أفزعه أن يخرج عَبْدُه عن طوعه مُعْلنًا إسْلامه ، وإيمانه برَبِّ « مُحمَّدٍ » (ﷺ) الواحد الأحد .. وكان لابُدَّ مِن أن يُجْعل عِبْرَة حتى لا يحذو العَبِيدُ والإِمَاء حَذوه ، فكان سيِّدُه يطرحه فى الشمس على الرَّمْضَاء [1] ، ويضع الرَّحَى الكبيرة على ظهرة تارة ، وعلى صَدْره تارة حتى تَصْهَرَه الشمس ، ويكاد الظمأ يقْتُله ، ويرشُّ الماء البارد حوله كي تشربه الرِّمال ، ولا ينال منه قطرة تُبَلِّل شفتيه المتشققتينِ من شِدَّة الظَّمإ .. ويقول له : **اكْفُرْ بِمُحَمَّدٍ** .. فيقول (رضي الله عنه) : **لا** .. ويقول : **أحدٌ** .. **أَحَد** [2] .. فيشتدُّ سيِّدُه فى عذابه ، ويشتدُّ هو فى عناده .. فيأخذه ، ويربطه من عُنقِه بحبل من لِيف ، ويُسلمه إلى الغلمان يلهُون به فى سِكَكِ مكَّة ، وشعابِها ، ويقذفونه بالحجارة حتى إذا مَلُّوا

---

(1) الرمضاء : الحصى الملتهب .

(2) رواه ابن عساكر .

تركوه فى الشمس مُوثق اليَدَين والقَدَمين [١] ..

ويمرُّ عليه « وَرَقَة بن نَوْفَل » [٢] ويراه فى هذا العذاب فيقول له : **أَحَدٌ أَحَدٌ واللهِ يَا بِلاَلُ .. لَئِنْ قَتَلُوكَ لاتَّخَذْتُ قَبْرَكَ حَنَانًا** [٣] .. [٤]

ويشفق النبى (ﷺ) على « بلال » من هذا العذاب الذى لا تحتمله الجبال ، فيقول لــ « أبى بكر الصديق » (رضي الله عنه) : (**لَوْ كَانَ عِنْدَنَا شَيْءٌ لاشْتَرَيْنَا بِلالاً**)[٥].. ويفهم « أبو بكر » (رضي الله عنه) إشارة النبى (ﷺ) ، فيرسل إلى « أُمَيَّة بن خَلَف » يعرض عليه شراء « بلال » ، ويزهِّدُه فيه ، فيبيعه له بخمس أَوَاقٍ ذَهَبًا ، ويقول له : **لَوْ أَبَيْتَ إلاَّ أُوقِيَّة لَبِعْنَاكَهُ** .. فيرد عليه « أبو بكر » قائلاً : **لَوْ أَبَيْتَ إلاَّ مِائَة أُوقِيَّة لأَخَذْتُهُ** [٦] .. واشتراه « أبو بكر » ، وأعتقه لوجه الله الكريم .. فيقول « عمر بن الخطاب » (رضي الله عنه) : (**أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا ، وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا** [٧])[٨] ..

وتمضى الأيام .. ويلازم « بلال » (رضي الله عنه) رسولَ الله (ﷺ) ، ويُصبح أوَّل مُؤَذِّن فى الإسلام .. يُؤَذِّن للنبى (ﷺ) فى السَّفَر ، وفى الْحَضَر ، ولا يتخلَّف عنه فى غَزْوَة أو سَفَر .. يحمل طعامه الذى قال عنه النبى (ﷺ) يومًا : (**لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ ، وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ .. وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللَّهِ ، وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ .. وَلَقَدْ أَتَتْ**

---

[١] رواه بنحوه ابن ماجه ، وابن عبد البر فى الاستيعاب ، وأبو نعيم فى الحلية .
[٢] كان « وَرَقَة بن نَوْفَل » راهبًا قد تنصر فى الجاهلية . [٣] موضعا للتبرك أتمسح به .
[٤] فتح البارى لابن حجر . [٥] أسد الغابة لابن الأثير .
[٦] رواه أبو نعيم فى حلية الأولياء . [٧] يَعْنِي بلاَلاً .
[٨] رواه البخارى كتاب المناقب .

عَلَيَّ ثَلاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمَا لِي وَلِبِلالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ [1] ، **إِلاَّ شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلاَلٍ** [2])[3] ..

وتأتى غزوة « بَدْرٍ » ويخرج « بلال » مع النبى (ﷺ) ، ويرى بين جموع المشركين « أُمَيَّةَ بْنَ خَلَف » ذلك الجبار الذى كان يسومه سُوء العذاب ، فيهتف « بلال » قائلا : **أُمَيَّة بن خَلَف !! لا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا** .. ويهجم عليه هجمة الأَسَد الجريح ، ويُمكِّنه الله تعالى منْه ، فيقتله بيَدِه التى كان يُوثِقُها « أُمَيَّة » [4] ، ويشفى الله صَدْر « بلاَلٍ » ، ويُذْهِب غَيْظَ قَلْبِه ، ويهتف المسلمون فى « بَدْرٍ » : أَحَدٌ .. أَحَدٌ .. أَحَدٌ ..

وتمضى الأَيَّام ، وتفتح مَكَّة أبوابَها على مصاريعها لرسول الله (ﷺ) وصَحْبِه ، ويدخل النبى (ﷺ) الكَعْبَة ، ومعه « بِلاَلٌ » ، و« أُسَامَة بن زَيْد » ، ويصلِّى فيها ركعتين ، ويحطِّم الأصنام وكانت ثلاثمائة وستين صَنَمًا وهو يقول : (**جَاءَ الْحَقُّ ، وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**) [5] ..

ويأمر النبى (ﷺ) « بِلالاً » فيَرْقى على سطح الكعبة ليهتف بأوَّل أذان فى مكَّة : **الله أَكْبَر .. الله أَكْبَر** .. فتردِّدُ جبال مكَّةَ صدى أذان « بلال » بكلمة الحق ، بعد ما ردَّدَت أنينَه من قبل : **أَحَدٌ .. أَحَدٌ** ..

---

(1) أى كل ما له روح .
(2) أى ما كان لنا من الطعام إلا شيء قليل بقدر ما يأخذه بلال تحت إبطه .
(3) رواه الترمذى كتاب صفة القيامة .
(4) رواه البخارى بنحوه كتاب الوكالة .
(5) رواه البخارى كتاب تفسير القرآن .

ويبشِّر النبى (ﷺ) « بلالاً » (رضي الله عنه) بالْجَنَّة قائلا له : (**يَا بِلاَلُ ، بِمَ سَبَقْتَنِي إِلَى الْجَنَّةِ ؟! .. مَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ قَطُّ إِلاَّ سَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ** [1] **أَمَامِي !!**) .. فقال « بلال » : **يَا رَسُولَ اللَّه ، مَا أَذَّنْتُ قَطُّ إِلاَّ صَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ ، وَمَا أَصَابَنِي حَدَثٌ** [2] **قَطُّ إِلاَّ تَوَضَّأْتُ عِنْدَهَا وَرَأَيْتُ أَنَّ لِلَّهِ عَلَيَّ رَكْعَتَيْنِ** .. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : (**بِهِمَا**) .. [3]

وينتقل الرسول (ﷺ) إلى الرفيق الأعلى ، ويذهب « بِلاَلٌ » إلى « أبي بكر الصِّدِّيق » ويقول له : **يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ** (ﷺ) **يقول : (أَفْضَلُ أَعْمَالِ الْمُؤْمِنِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ) .. وقد أردتُ أن أُرَابط فِي سَبِيل اللهِ حَتَّى أَمُوت** .. فقال « أبو بكر » : **أَنْشُدُكَ اللهَ يا بِلاَلُ ، وحُرْمَتِي ، وحَقِّي ، فَقَدْ كَبِرْتُ ، واقْتَرَبَ أَجَلِي** [4] .. فأقام « بلال » مع « أبي بكر الصِّدِّيق » يُؤَذِّن له حتى مات « أبو بكر » .. وتولَّى الخلافة « عُمَرُ بن الخطاب » فذهب إليه ، وقال له مثل ما قال لـــ « أبي بكر » ، وحاول « عُمَرُ » أن يُثْنِيَه عن عزمه فأبى [5] ..

وخرج « بِلاَلٌ » (رضي الله عنه) إلى الشام مجاهدًا مع أخ له فى الله يُقَال له : « أبو رُوَيْحَة » ، وذهبا يَخْطُبان شقيقتين ، فقال بلال لأهلهما : **قَدْ أَتَيْنَاكُمْ خَاطِبَيْنِ ، وقَدْ كُنَّا كَافِرَيْن فَهَدَانا اللهُ عَزَّ وجَلَّ ، ومَمْلُوكَيْن فَأَعْتَقَنَا اللهُ عَزَّ وجَلَّ ،**

---

(1) الخشخشة : حركة لها صوت .
(2) الحدث : إنتقاض الوضوء .
(3) رواه الترمذى كتاب المناقب .
(4) أراد بذلك (رضي الله عنه) أن يقيم معه ولا يتركه .
(5) أسد الغابة لابن الأثير .

وفَقِيرَيْن فَأَغْنَانَا اللهُ ، فَإِنْ تُزَوِّجُونَا فَالْحَمْدُ للهِ ، وإِنْ تَرُدُّونَا فَلاَ حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلاَّ بِالله .. فزوَّجوهما والحمد لله [1] .. واستقرَّ « بلال » فى الشام ، حتى جاءها « عمر بن الخطاب » فأذَّن له فى بيت الْمَقْدِس ، وهاجت ذكرياته فبكى فى أذانه ، وامتنع عن الأذان بعد ذلك .. [2]

وذات يوم يَرى « بِلاَل » (رضي الله عنه) فى منامه النبى (صلى الله عليه وسلم) يقول له : (**مَا هَذِه الْجَفْوَةُ يَا بِلالُ ؟! .. أَمَا آنَ لَكَ أَنْ تَزُورَنَا ؟!**) .. فانتبه « بلال » من نومه حزينًا ، وشدَّ الرِّحال إلى مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأتى قَبْرَه ، وجعل يَبْكى عنده ، ويَتَمرَّغ عليه ، فأقبل عليه « الْحَسَنُ » و« الْحُسَيْن » (رضى الله عنهما) فجعل يُقَبِّلُهُمَا ، ويضمُّهما ، ويبكى .. فقالا له : **يَا بِلالُ ، نَشْتَهِي أَنْ تُؤَذِّنَ فِى السَّحَر** .. فلم يستطع أن يرْفُضَ هذا الطَّلَبَ فى هذا المقام .. فعَلاَ سطح المسجد فى السَّحَر ، وقال : **الله أَكْبَرُ .. الله أَكْبَر** .. فارْتَجَّت المدينَة .. فلما قال : **أَشْهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلاَّ الله** .. زادت رجَّتُها ، فلما قال : **أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله** .. خَرَجَ الرجال جَميعًا وخَرَجَت النساء من خدُورِهِنَّ .. فما رُؤِى يومٌ أكْثر بَاكِيًا وبَاكِية من ذلك اليوم [3] .. فقد هيَّج أذانه ، وصوته الرخيم أحْزَانَ الناس ، وأشواقَهُمْ إلى سيِّد الخلق (صلى الله عليه وسلم) ..

وبعد تلك الليلة المشهودة شدَّ « بِلاَلٌ » (رضي الله عنه) رِحَالَهُ عائدًا إلى الشام مُرَابِطًا

---

(1) معرفة الصحابة لأبى نعيم .
(2) أسد الغابة لابن الأثير .
(3) رواه ابن عساكر ، وذكره ابن الأثير فى أسد الغابة .

فيها ، متفائلاً بِبُشْرى رسول الله (ﷺ) : (**الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)[1] ..

وتأتى لحظة الرحيل .. وتقول امرأة « بلال » (رضي الله عنه) : **وَا وَيْلاه !** .. ويقول هو (رضي الله عنه) : **وَا فَرَحَاه !** .. ويقول : (**غدًا نَلْقَى الأَحِبَّهْ .. مُحَمَّدًا وحِزْبَهْ**)[2] ..

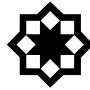
ويموت « بلال » (رضي الله عنه) عن بضع وستين سنة .. ويُدْفن بالشام .. ويلحق بالرفيق الأعلى ، ليتقدم بين يَدىْ رسول الله (ﷺ) فى الْجَنَّة ، كما كان يتقدَّم بين يديه فى الدُّنْيا .. يُفْسِح له الطَّرِيق .. ويسمع الرسول (ﷺ) خَشْخَشَة نَعْلَيْهِ بَيْنَ يَدَيْه ..

رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ يَا مُؤَذِّنَ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) ..

رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ يا سَابِقَ الْحَبَشَة ..

رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ يا مَنْ ضَرَبْتَ الْمَثَلَ الأَعْلَى فِى الثَّبَاتِ عَلَى الإِيمَان ..

رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وأَرْضَاكَ ، وأَسْكَنْكَ أَعْلَى الْجِنَان ..



(١) رواه مسلم كتاب الصلاة .

(٢) رواه ابن عساكر .

زَيْدُ بْنُ حَارِثَة (رضي الله عنه)

بَكَيْتُ عَلَى زَيْــدٍ ولَمْ أَدْرِ ما فَعَل　　أَحَيٌّ يُرْجَى أَمْ أَتَى دُونَهُ الأَجَــل
فَوَاللهِ ما أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ سَــائِلاً　　أغَالَكَ [1] سَهْلُ الأَرْضِ أَمْ غَالَكَ الْجَبَل
فَيَالَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَكَ الدَّهْرَ رَجْعَةٌ　　فَحَسْبِي مِنَ الدُّنْيَا رُجُوعُكَ لِي بَجَل [2]
تُذكّــرُنيهِ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُــوعِهَا　　وتَعْرِضُ ذِكْرَاه إِذَا قَارَبَ الطَّفَل [3]
وإِنْ هَبَّتِ الأَرْوَاحُ [4] هَيَّجْنَ ذِكْرَه　　فَيَاطُول مَا حُزْنِي عَلَيْه ويَا وَجَل [5]
سأُعْمِلُ نص العيسِ [6] فى الأَرْضِ جَاهِدًا　　ولا أَسْــأَمُ التطوافَ أو تَسْأَمُ الإبِل
حَيَــاتِي أو تَأْتِــي عَلَــيَّ مَنِيَّتِــي　　وكُلُّ امْرِئ فَــانٍ وإِنْ غَرَّهُ الأَمَل
فَأُوصِي بِهِ قَيْسًا وعمرًا [7] كِلَيْهِمَا　　وأُوصِي يَزِيدَ ثُمَّ مِنْ بَعْدِه جَبَل [8]

وتَعود بنا أبيات هذا الشعر الباكي إلى يوم خرجت فيه « سُعْدى بنت تغلبة » بابنها الصغير « زَيْد » لزيارة أهلها ، وتصل « سُعْدى » إلى ديار قومها آمنة ، ومعها الصغير يسرح ويمرح في ديار قوم أُمِّه ، وتُغِير قبيلة من القبائل على الديار ، وتختطف الغلام لتبيعه في سوق « عُكَاظ » فيشتريه « حَكِيمُ بن حِزَام » الذي

---

(1) قتلك .　(2) فحسب .　(3) الغروب .　(4) الرياح .
(5) خوفي .　(6) الإبل .　(7) ، (8) أسماء إخوته .

يبيعه بدوره لابنة عمِّه « خديجة بنت خُوَيْلد » فتهديه لزوجها « محمد بن عبد الله » ..

وتعود « سُعْدى بنت تغلبة » إلى زوجها « حارثة بن شراحيل » حزينة باكية فيشتد حُزْن الأب ، ويَشُدُّ الرِّحَال باحثًا عن وليده الصغير الذى لم يجاوز عمره ثَمانِيَ سنوات ، ويتمزَّق شوقًا إلى ابنه .. فينشد ذلك الشِّعْر الحزين الذي تسير به الرُّكْبَان في كل مكان حتى يصل إلى مكَّة على ألسنة بعض القوافل ، ويسمعه « زَيْد » ويفهم أنه المقصود ، فيذهب إلى هؤلاء القادمين ويقول لهم : **إذَا رَجَعْتُمْ إِلَى دِيَارِكُمْ فَبَلِّغُوا عَنِّي مَقَالَتِي** .. ويُنْشِدُهم أبياتًا يقول فيها :

أَحنُّ إِلَى قَوْمِـــي وَإِنْ كُنْتُ نَائِيًـــا   فَإِنِّي قَعِيــدُ الْبَيْتِ عِنْدَ الْمَشَاعِرِ
فَكُفُّوا عَنِ الوَجْدِ [1] الَّذِى قَدْ شَجَاكُم   ولا تعْمَلُوا فِى الأَرْضِ نصَّ الأبَاعِرِ [2]
فَإِنِّي بِحَمْــدِ الله في خَيْرِ أُسْــرَةٍ   كِــرَامِ مَعْــدِنٍ كَابِرًا بَعْدَ كَابِرِ

ويحفظ الرُّكبان شعر « زَيْد بن حَارِثَة » ، ويرجعون به إلى قومه ، ويسمع الأب شِعْر ابنه ، ويكاد يطير من الفرح ، ويَشُدُّ الرِّحَال إلى مكَّة مع أخيه « كعب ابن شراحيل » .. فقد آن الأوان للقاء الحبيب الغائب .. ويصل الأخوان إلى مكة ، ويسألان حتى يعلما مكان « زَيْد » ، وأنه لدى الصادق الأمين « محمد بن عبد الله » ، فيذهبان إليه ويقولان له : **يَا بْنَ عَبْدِ المطَّلب ، يا بْنَ هَاشِم ، يا بْنَ سَيِّدِ قَوْمِهِ .. أنتمْ أَهْلُ حَرَم الله ، تَفُكُّونَ العَانِي ، وتُطْعِمُونَ الأسِيرَ .. جِئْنَاك في ابْنٍ**

---
[1] الوجد : الحزن .   [2] الأباعر : الإبل .

لنا عنْدكَ ، فامْنُنْ عَلَيْنا ، وأَحْسِنْ إلينا فِدَاءَهُ .. فقال : (**فَهَلاَّ غَيْرَ ذَلك ؟**) .. قالوا : **ما هُوَ ؟!** .. قال : (**أَدْعُوهُ وخَيِّرُوهُ ، فَإِن اخْتَارَكُمْ ، فَهُوَ لَكُمْ بِغَيْر فِدَاء .. وَإِنِ اخْتَارَنِي ، فَمَا أنا بالَّذي أختارُ عَلَى مَنِ اخْتَارَنِي أحَدًا**) .. قالا : **لقد زِدْتَنَا على النَّصَف** [1] **وأحْسَنْتَ** .. فدعاه النبي (ﷺ) فقال : (**هَلْ تَعْرِفُ هَؤُلاءِ ؟!**) .. قال : **نَعَمْ ، هذا أبِي ، وهذا عَمِّي** .. قال : (**فَأَنَا مَنْ قَدْ عَرَفْتَ ، ورأَيْتَ صُحْبَتِي لَكَ ، فاخْتَرْنِي أَوِ اخْتَرْهُمَا**) – ولم يكن النبي (ﷺ) قد بُعِثَ بَعْد – قال : **مَا أَنَا بِالَّذِي أَخْتَارُ عَلَيْكَ أَحَدًا ، أنْتَ مِنِّي مَكَانَ الأَبِ والعَمِّ** .. فقال أبوه وعمه : **وَيْحَكَ يا زَيْدُ ، أَتَخْتَارُ العُبُودِيَّةَ عَلَى الْحُرِّيَّةِ ، وعَلَى أَبِيكَ وأَهْلِكَ ؟!** .. قال : **نَعَمْ ، ما أنا بالَّذِي أَخْتَارُ عَلَيْه أحَدًا أبَدًا** .. فلما رأى النبي (ﷺ) ذلك ، أخذه من يده ، وذهب به إلى الكعبة حيث يجلس أشراف قريش ، ونادى : (**يا مَنْ حَضَرَ ، اشْهَدُوا أنَّ زَيْدًا ابْنِي ، يَرِثُنِي وأَرِثُهُ**) .. فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت نفساهما ، وانصرفا عائدين إلى ديارهما [2] ..

وأصبح « زَيْدٌ » يُلَقَّبُ بـــ « زَيْد بن محمد » .. فقد كان التَّبَنِّي مُبَاحًا في الجاهلية ، حتى جاء الإسلام ونزل قول الله عز وجل : (ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ﴿٥﴾) [3] ..

---

[1] النصف : الإنصاف . [2] رواه ابن حجر في الإصابة . [3] سورة الأحزاب آية ٥ .

وهكذا تغيَّر اسم « زَيْد » ليعود مرة ثانية « زَيْد بن حَارِثَة » وإن كان المشهور به بين الصحابة هو « زَيْدُ الْحِبّ » .. فقد أسلم « زَيْد بن حَارِثَة » أوَّل الناس بعد السيدة « خديجة » (رضي الله عنها) وقبل « أبي بكر الصديق » (رضي الله عنه) فى أرجح الأقوال [1] ، وكان (رضي الله عنه) أحبَّ الناس إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأقربَهم إلى قَلْبه ، حتى إن السيدة « عائشة » (رضي الله عنها) تقول : **مَا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ فِي جَيْشٍ قَطُّ إِلاَّ أَمَّرَهُ عَلَيْهِمْ ، وَلَوْ بَقِيَ بَعْدَهُ لاسْتَخْلَفَهُ ..** [2]

ولمعرفة « زَيْد » بمنـــزلته عند النبي (صلى الله عليه وسلم) يذهب إليه يومًا متطلعًا إلى نَسَبِه ، ويطلب منه أن يزوِّجه من ابنة عمَّته « زَيْنَب بنت جَحْش » الْحَسِيبة النَّسِيبة ، سيِّدة فتيات قريش وأتقاهن .. وتحكي السيدة « زَيْنَب » (رضي الله عنها) فتقول : خطبني عدَّة من قريش ، فأَرْسَلْتُ أختي « حَمْنَة بنت جَحْش » إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أَسْتَشِيرهُ ، فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (**أَيْنَ هِيَ مِمَّنْ يُعَلِّمُهَا كِتَابَ رَبِّهَا ، وسُنَّةَ نَبِيِّهَا ؟**) .. قالت : **ومَنْ هُوَ يا رَسُولَ اللهِ ؟** .. قال : (**زَيْد ابن حَارِثَة**) .. قالت : فغَضِبَتْ « حَمْنَة » غضبًا شديدًا فقالت : **يَا رَسُولَ اللهِ أَتُزَوِّجُ ابْنَةَ عَمَّتِكَ مَوْلاكَ ؟** .. قالت : وجاءَتْني فَأَخْبَرَتْنِي ، فَغَضِبْتُ أشَدّ مِنْ غَضَبِها وقلتُ أشَدّ مِنْ قَوْلِهَا ، فأنزل الله عَزَّ وجَلَّ : (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ)[3] ، فَأَرْسَلْتُ إلى رسُولِ

---

[1] رواه الطبراني فى المعجم الكبير . [2] رواه أحمد باقي مسند الأنصار . [3] سورة الأحزاب آية ٣٦ .

الله (ﷺ) فقلتُ : **إِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، وأُطِيعُ اللَّهَ ورَسُولَهُ ، افْعَلْ يا رَسُولَ الله مَا رَأَيْتَ** .. فزَوَّجْنِي رَسُولُ اللهِ (ﷺ) « زَيْدَ بْنَ حَارِثَة » ، فكنتُ أزرأ عليه فشكاني إلى رَسُولِ الله (ﷺ) فعاتَبَنِي رَسُولُ الله (ﷺ) ، ثم عدتُ فَأَخَذْتُهُ بِلِسَانِي ، فَشَكَانِي إِلَى رَسُولِ الله (ﷺ) ، فقال رَسُولُ الله (ﷺ) : (**أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ**) ، فقال : **أنا أُطَلِّقُهَا** .. قالت : فطلقني ، فلما انقضت عِدَّتِي لم أعلم إلا ورَسُولُ الله (ﷺ) قد دخل عليَّ بيتي وأنا مكشوفة الشَّعْر ، فعلمتُ أنه أمر من السماء ، فقلتُ : **يَا رَسُولَ اللهِ بِلاَ خِطْبَة ولا إِشْهَاد** ؟ .. فقال : (**اللَّهُ زَوَّجَ ، وجِبْرِيلُ الشَّاهِدُ**)[1] .. وبذلك تصبح (رضي الله عنها) من أمهات المؤمنين ، ويبطل شرع الجاهلية بتحريم الزواج من أزواج الأبناء بالتَّبَنِّي ..

ويتضح من هذه القصة أن « زيدًا » لم يكن حِبًّا لرسول الله (ﷺ) فقط ، بل كان حِبًّا لله عزَّ وجلَّ ، الذى ذكر اسْمه فى القرآن دون أسماء الصحابة جميعًا ، ودون أسماء أصحاب الأنبياء كذلك .. وأصبح ذلك الاسم وحروفه من كلام رب العالمين الذى لا يمسُّه إلا المطهرون : (فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا)[2] ..

ولقد كان « زيد بن حارثة » من رهبان الليل ، وفرسان النهار .. فما تخلَّف عن رسول الله (ﷺ) فى غزاة قط حتى جاءت غزوة « مُؤْتة » ببلاد الشام حين نمى إلى علم النبى (ﷺ) أن « هِرَقْل » قد جهز جيشا يغزو به ديار الإسلام ، فأراد أن يرسل إليه جيشا لملاقاته فى « مُؤْتة » وكان ذلك فى السنة الثامنة من الهجرة ، وأمَّر

---

[1] رواه الدارقطني ، وأبو نعيم في حلية الأولياء .
[2] سورة الأحزاب آية ٣٧ .

على الجيش « زيد بن حارثة » وقال : (**إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَأَمِيرُكُمْ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَأَمِيرُكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ**)[1] .. ويخرج الجيش لإظهار شوكة الإسلام ، ولرد كيد الأعداء فى ديارهم ، حتى لا يَجترِئُوا على التفكير فى غزو بلاد المسلمين بعد ذلك ..

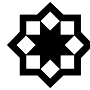
وتدور المعركة ، ويُستشهد « زيد بن حارثة » ، ويتولَّى « جَعْفَر » القِيَادة ، فيُستشهد هو الآخر ، ويتولى القيادة « عبد الله بن رواحة » فيلحق بصاحبيه .. وينـــزل « جبريل » إلى النبى (ﷺ) يخبره باستشهاد الثلاثة ، وبأن « خالد بن الوليد » أخذ الراية ، وفتح الله على يديه ..

فخرج النبى (ﷺ) إلى أصحابه وعيناه تذرفان وهو يقول : (**أَخَوَاى ، ومُؤْنِسَاى ، ومُحَدِّثَاى**)[2] .. مشيرًا إلى « زيد بن حارثة » ، و« جعفر بن أبى طالب » (رضى الله عنهما) ..

رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ يا أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْمَوَالِي ..

رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ يا حِبَّ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) .. رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وأَرْضَاك ..

وجَزَاكَ عَنِ اسْتِشْهَادِكَ فِى سَبِيلِهِ بِخَيْرِ مَا جَازَى بِهِ الشُّهَدَاء ..



---

(١) رواه أحمد بنحوه ، وذكره ابن حجر في فتح الباري .

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر .

أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ (رضى الله عنهما)

دخل رسول الله (ﷺ) مَكَّةَ فاتِحًا ، وهو يركب ناقته القَصْوَاء ، مُطأطِئ الرَّأْس تواضُعًا لله عز وجل ، وحوله عَشرَة آلاف مُقاتِل ، وكان يركب خَلْفه على الناقة شاب أسودُ اللَّون ، أفْطَسُ الأَنْفِ ، لا يتجاوز عُمره الثامنة عشر عامًا .. وحين دخل رسول الله (ﷺ) الكعبة ، دخل معه ، وأغلق الباب وراءه ، وحين خرج من الكعبة خرج معه .. فالتفَّ الناس حوله يسألونه : هل صلَّى رسول الله (ﷺ) فى جوف الكعبة ، وكم صلَّى من الركعات ؟ ..

ذلك الشاب هو « أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ » ، الْحِبُّ ابْنُ الْحِبِّ ، الذى تحكى عنه أم المؤمنين « عائشة » (رضى الله عنها) فتقول : عَثَرَ أُسَامَةُ بِعَتَبَةِ الْبَابِ فَشُجَّ فِي وَجْهِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : (**أَمِيطِي عَنْهُ الأَذَى**) .. فَتَقَذَّرْتُهُ ، فَجَعَلَ يَمُصُّ عَنْهُ الدَّمَ وَيَمُجُّهُ عَنْ وَجْهِهِ ، ثُمَّ قَالَ : (**لَوْ كَانَ أُسَامَةُ جَارِيَةً** [1] **لَحَلَّيْتُهُ ، وَكَسَوْتُهُ حَتَّى أُنْفِقَهُ** [2]) [3] .. وكان ذلك وهو طفل صغير يتمتع بِحُبِّ رسول الله (ﷺ) وحنانه .. فقد كان نتاجًا لزواج « زَيْد بن حَارِثَة » : حِبِّ رسول الله (ﷺ) ، و« أُمِّ أَيْمَن » بَرَكَةَ الحبشية : حاضنة النبى (ﷺ) .. فكان الْحِبَّ ابنَ الْحِبِّ [4] ..

---

[1] جارية : فتاة .   [2] أى أزوِّجه .   [3] رواه ابن ماجه كتاب النكاح .

[4] الاستيعاب لابن عبد البر .

وتَرْوِى (رضي الله عنها) فتقول : دَخَلَ عَلَيَّ قَائفٌ [1] وَالنَّبِيُّ (ﷺ) شَاهِدٌ ، و« أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ » ، و« زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ » مُضْطَجِعَانِ ، فَقَالَ : **إِنَّ هَذِهِ الأَقْدَامَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ** .. فَسُرَّ بِذَلِكَ النَّبِيُّ (ﷺ) ، وَأَعْجَبَهُ فَأَخْبَرَ بِهِ عَائِشَةَ .. [2]

ويحدِّث « أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ » (رضي الله عنهما) عن نفسه فيقول : إن النبي (ﷺ) كَانَ يَأْخُذُهُ ، و« الْحَسَنَ » وَيَقُولُ : (**اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا**)[3] ..

وقد علم الناس مَدَى حُبِّ رسول الله (ﷺ) لأُسَامَةَ فكانوا يتشفَّعون به عند النبى (ﷺ) .. وفى يوم من الأيام سرَقَتْ امرأة يقال لها « فاطمة المخْزُوميَّة » ، وخاف أهلها أن يَقْطَعَ النَّبِىُّ (ﷺ) يَدَهَا ، فتشاوَرُوا فى الأَمْرِ : مَنْ يُكَلِّمُ رسول الله (ﷺ) فى شأنها ؟!.. ومَنْ يشْفَع لها ؟!.. فقد اعترفت ، وتابت ، ولم يجدوا أحدًا يَجْرُؤ على ذلك .. فقالوا : **وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلاَّ « أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ » حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)** .. فَأُتِيَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) ، فَكَلَّمَهُ فِيهَا « أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ » – وهو شاب صغير لا يقدر الموقف – فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) ، فَقَالَ : (**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ؟!**) .. فَقَالَ لَهُ « أُسَامَةُ » : **اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ** .. فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فَاخْتَطَبَ ، فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ قَالَ : (**أَمَّا بَعْدُ .. فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ** [4] **تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ** ..

---

[1] القائف : هو الذي يتتبع الآثار ، ويعرف النسب من الشبه . [2] رواه البخارى كتاب المناقب .

[3] رواه البخارى كتاب المناقب . [4] الشريف : مَن له مكانة فى قومه .

وَإِنِّي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه لَوْ أَنَّ « فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّد » سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا) .. ثُمَّ أَمَرَ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقُطِعَتْ يَدُهَا [١] .. فَعَلِم الناس أنه لا شَفَاعَةَ فى الْحُدُودِ ، وأن الأمر إذا وصل إلى الحاكِمِ أو السُّلْطَان ، فلا تَصِحُّ ولا تجوز الشفاعة بأَي حَال من الأحْوَال .. أما إذا لم يكن الأمر قد رُفِع إلى السلطان أو القاضى ، فقد تَصِحُّ الشفاعة لدى أصحاب الحقوق ..

ولَمَّا قُتِلَ « زَيْدُ بنُ حَارِثَة » والد « أُسَامَة » فى غزوة « مُؤْتَة » وكان أميرًا للجيش ، حَزِنَ الرسول (ﷺ) عليه حزنًا شديدًا ..

وبعد فترة أمر بتجهيز جيش لتأديب الرُّوم ، وأَمَّر عليه « أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ » ، الذى لم يكن قد بلغ العشرين من عمره ، وكان فى الجيش كبار الصحابة كـــ « أبى بكر » ، و« عمر » ، و« عثمان » ، و« علِىّ » .. فتهامس بعض الناس مِنَ المنافقين وضعيفى الإيمان حتى بلغ همسهم رسولَ الله (ﷺ) فخطب الناس قائلاً : **(إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِه فَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيه مِنْ قَبْله ، وَأَيْمُ اللَّه إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لَهَا ، وَأَيْمُ اللَّه إِنْ كَانَ لأَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ ، وَأَيْمُ اللَّه إِنَّ هَذَا لَهَا لَخَلِيقٌ [٢] ، وَأَيْمُ اللَّه إِنْ كَانَ لأَحَبَّهُمْ إِلَيَّ مِنْ بَعْدِه ، فَأُوصِيكُمْ بِهِ فَإِنَّهُ مِنْ صَالِحِيكُمْ)** [٣] ..

ويمرض النبى (ﷺ) مرض الموت ، ويتأخَّر خروج الجيش ، ويوصى (ﷺ) قبل موته : (**أَنْفِذُوا بَعْثَ أُسَامَةَ**) [٤] ..

---

[١] رواه مسلم كتاب الحدود .
[٢] يريد أسامةَ بن زيد .
[٣] رواه مسلم كتاب فضائل الصحابة .
[٤] رواه ابن سعد فى الطبقات الكبرى .

ويتولَّى الْخِلافَة « أبو بكر الصِّدِّيق » ويُنَفِّذ وَصِيَّة الرسول (ﷺ) ، ويخرج مُودِّعًا الجيشَ ماشِيًا ، وأُسَامَة راكب على فَرَسِه ، فيقول له : **يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ الله ، لَتَرْكَبَنَّ ، أو لأَنْزِلَنَّ** .. فيقول « أبو بكر » (رضي الله عنه) : **والله لا تَنْزِلُ ، ووالله لا أَرْكَبُ .. ومَا عَلَيَّ أَنْ أُغَبِّرَ قَدَمَيَّ سَاعَةً فِي سَبِيلِ الله** [1] .. ثم يستأذن (رضي الله عنه) « أسامةَ » فى أن يتخلف « عُمَرُ بنُ الخطاب » عن الغزوة ليعاونه على أمر الخلافة ، فيأذن « أُسَامَةُ » له ..

ويعود جيش « أُسَامَة » بعد أن أدَّى مهمَّته على أكمل وجه من دون ضحايا .. وأصبح الناس يتحدَّثون : **ما رَأَيْنَا جَيْشًا أَسْلَمَ مِنْ جَيْشِ أُسَامَةَ** ..

وتأتى خلافة « عمر بن الخطاب » ، ويقرِّب إليه « أسامةَ بن زَيْد » ، ويفضِّله فى العطاء على ابنه « عبد الله بن عُمَر » .. وحين شكى له « عبد الله » قائلاً : **يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَضَّلْتَ عَلَيَّ أُسَامَةَ ، وَقَدْ شَهِدْتُ مَا لَمْ يَشْهَد ؟**.. قال له « عمر » : **إنَّ أُسَامَةَ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ الله (ﷺ) مِنْكَ ، وَأَبُوهُ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ الله (ﷺ) مِنْ أَبِيكَ** [2] ..

وتمضى الأَيَّام .. وتأتى خلافة « عَلِيّ بن أبى طَالِب » (رضي الله عنه) ، وتحدث الفِتْنَة بينه وبين « مُعَاوِيَة بن أبي سُفْيَان » (رضي الله عنه) .. ويعتزل « أسامةُ بن زَيْد » (رضي الله عنه) هذه الفِتْنة ولا ينضَمُّ إلى أحد الفريقين .. وحين عاتبه « عَلِيُّ بن أبى طَالِب » على ذلك ، قال له « أسامةُ » : **واللهِ لَوْ أَدْخَلْتَ يَدَكَ فِى فَمِ تِنِّين لأَدْخَلْتُ يَدِى**

---

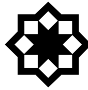
[1] رواه ابن عساكر .

[2] أُسد الغابة لابن الأثير .

معَهَا ، ولَكنَّكَ سَمعْتَ مَا قَالَهُ رَسُولُ الله (ﷺ) لِى حِينَ قَتَلْتُ ذَلكَ الرَّجُلَ الَّذى نَطَقَ بالشَّهَادَة .. فَقَدْ كُنْتُ فِى غَزَاةٍ ، ورَأَيْتُ رَجُلاً مِنَ الكُفَّارِ يَقْتُلُ الْمُسْلمِينَ ، فَأَدْرَكْتُهُ أَنَا ورَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ ، فَلَمَّا شَهَرْنَا عَلَيْه السِّلاَحَ قَالَ : **أَشْهَدُ أن لا إِلَهَ إلاَّ الله** .. فَلَمْ نَبْرَحْ حَتَّى قَتَلْنَاهُ ، فَلَمَّا قَدمْنَا عَلَى رَسُولِ الله (ﷺ) أَخبَرْنَاهُ خَبَرَهُ ، فقال : (**يَا أُسَامَةُ ، مَنْ لَكَ بلاَ إِلَهَ إلاَّ الله ؟!!**) .. فقلت : **يَا رَسُولَ الله ، إنَّمَا قَالَهَا تَعوُّذًا منَ الْقَتْلِ** .. فقال : (**يَا أُسَامَةُ ، مَنْ لَكَ بلاَ إِلَهَ إلاَّ الله ؟!!**) .. فَوَالَّذى بَعَثَهُ بِالْحَقِّ ، مَا زَالَ يُرَدِّدُهَا عَلَيَّ حَتَّى وَددْتُ أَنَّ مَا مَضَى منْ إِسْلامي لَمْ يَكُنْ ، وأَنِّى أَسْلَمْتُ يَوْمَئذٍ .. فقلت : **أُعْطِى اللَّهَ عَهْدًا أَنْ لاَ أَقْتُلَ رَجُلاً يَقُولُ : لاَ إِلَهَ إلاَّ الله** .. (1)

واعتزل « أُسَامَة بن زَيْد » (رضي الله عنه) الفتْنَة ، ولم يرفع سَيْفَه فى وجه مُسْلم حتى مات (رضي الله عنه) فى آخر خلافة « مُعَاوِيَة بن أبي سُفْيَان » (رضي الله عنه) .. ودُفِن بالبَقِيع إلى جوار أصحاب النبى (ﷺ) من الْمُهَاجِرين والأَنْصَار ..

رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وأَرْضَاكَ يَا حِبَّ رَسُولِ الله (ﷺ) وابْنَ حِبِّه ..



(1) أُسد الغابة لابن الأثير .

عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ (رضى الله عنهما)

دخل « عَمَّارُ بْنُ يَاسِر » على رسول الله (ﷺ) فى دار الأَرْقَم ، وهو يبكى بكاءِ مُرًّا ، تكاد تخنقه عَبَرَاتُه ، فسأله النبى (ﷺ) : (**مَا وَرَاءَكَ ؟!**) .. قال : **شَرٌّ يَا رَسُولَ اللهِ ! ما تُرِكْتُ حَتَّى نِلْتُ مِنْكَ ، وذَكَرْتُ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ !!** .. قال : (**كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ ؟**) .. قال : **مُطْمَئِنًّا بِالإيمَان** .. قال : (**إِنْ عَادُوا لَكَ ، فَعُدْ لَهُمْ**)[1].. ونزل قول الله تعالى : (مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ)[2] .. وتلك رُخْصَة فى النطق بكلمة الكفر لِمنْ لاَ يَقْوَى على العذاب بشرط اطمئنان قَلْبه بالإيمان ، وكان ذلك بسبب ما حدث لـــ « عمَّار ابن ياسِر » وأُمِّه وأبيه ..

وحِين أُبْلِغَت هذه الرُّخْصة لـــ « سُمَيَّة » أُمِّ عمَّار (رضى الله عنهما) قالت : **واللهِ مَا أَنْطِقُ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ أَبدًا بَعْدَ أَنْ نَجَّانِى اللَّهُ مِنْهُ** .. واستمرَّت فى تَحمُّل العذاب حتى فقد مُعذِّبوها صبرهم فطعنها أحدُهم بالحربة فى مكان حساس من جسمها فقتلها ، وأصبحت بذلك أول شهيدة فى الإسلام .. وأصبح الشرف كل الشرف لابنها « عمَّار » أن يُطْلَق عليه لقب : « **ابن سُمَيَّة** » ..

---

[1] رواه البيهقى فى سننه ، وذكره ابن الأثير فى أُسد الغابة .   [2] سورة النحل آية ١٠٦ .

ذلك الشاب معدوم المال ، معدوم الجاه .. الذى كان من السبعة الأوائل الذين أظهروا الإسلام بمكَّة مع رسول الله (ﷺ) : « أبو بكر » .. « بلال » .. « صُهَيْب » .. « عمَّار » .. « يَاسِر » .. « سُمَيَّة » .. « خَبَّاب » .. وقد أسْلَم هو و« صُهَيْب » فى لحظة واحدة إذ التقيا على باب دار « الأَرْقَم بن أبى الأَرْقَم » ، ورسول الله (ﷺ) مُسْتَخْف فيه فى أوَّل الإسلام ، فدخَلا معًا ، وأسْلَما معًا ..

وقد تولَّى بنو الْمُغِيرَة بن مَخْزُوم تعذيب « عمَّار » ، وأبيه ، وأُمِّه عذابًا لا طاقة لِبَشَرٍ على احتماله ليردُّوهم عن الإسلام ، و لم يكن رسول الله (ﷺ) يملك لهم شيئًا إلا أن يقول : (**صَبْرًا آلَ يَاسِرَ ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّة**)[1] ..

وتمكَّن « عمَّار بنُ ياسِر » من الْهِجْرَة إلى « المدينة المنوَّرة » ، ولَحِق بـــ « مُصعَب بن عُمَير » .. واشترك في بناء مسجد « قُبَاء » فى حى بنى عمرو ابن عَوْف استعدادًا لمقدم رسول الله (ﷺ) .. وقد صُلِّيَتْ فى هذا المسجد أوَّل جُمُعَة فى الإسلام .. ذلك المسجد الذى قال رسول الله (ﷺ) فى شأنه : (**مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ ، ثُمَّ جَاءَ مَسْجِدَ قُبَاء فَرَكَعَ فِيهِ أَرْبَعَ رَكَعَات ، كَانَ ذَلِكَ عَدْل عُمْرَة**)[2] ..

وينتظر « عمَّار بن ياسر » رسولَ الله (ﷺ) فى المدينة .. حتى إذا جاءها لم يفارقه لحظة ، وشهد مع رسول الله (ﷺ) المشاهد كُلَّها ، بدءًا من غزوة « بَدْر » ..

---

[1] رواه الحاكم فى المستدرك ، وذكره ابن كثير فى سيرته .
[2] رواه ابن أبي شيبة ، والطبرانى .

ثم غزوة « أُحُد » .. حتى جاءت غزوة « الْخَندَق » ويعمل « عمار » فى حَفْر الخندق بجدٍّ وعزيمة .. ويُغَطِّى التراب لِحْيته ، فيراه الرسول (ﷺ) ، فينفض التراب عن لحيته بيده الشريفة ، ويقول له : (**أَبْشِرْ يَا عَمَّارُ .. تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ البَاغِيَةُ**)[1] .. ويحفظ الأصحاب هذه البُشْرى ، ولكن لا يعلمون متى تتحقّق .. ويجاهد « عمَّار » فى دين الله ، ويشهد مع رسول الله (ﷺ) بَيْعَة « الرِّضْوَان » ويصير مثلاً وقُدْوة للأُمَّة بقول النبى (ﷺ) عنه : (**وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمَّارٍ**)[2] .. ذلك الهدى الذى تشير إلى بعض علاماته وأماراته السيدة « عائشة » أم المؤمنين (رضى الله عنها) بروايتها لقول رسول الله (ﷺ) : (**مَا خُيِّرَ عَمَّارٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ اخْتَارَ أَرْشَدَهُمَا**)[3] ..

وفى يوم من الأيام يختلف « خالد بن الوليد » مع « عمَّار بن ياسر » فيُغْلِظ له القول ، فيتركه « عَمَّار » ويذهب إلى رسول الله (ﷺ) ، ويلحق به « خالد » ويستمر فى إغلاظ القول له ، والنبى (ﷺ) يسمع ويسكت .. فبكى « عمَّار » وقال : **يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلاَ تَرَاهُ ؟!** .. فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) رَأْسَهُ ، وقَالَ : (**مَنْ عَادَى عَمَّارًا عَادَاهُ اللَّهُ ، وَمَنْ أَبْغَضَ عَمَّارًا أَبْغَضَهُ اللَّهُ**) .. فيقول « خالد بن الوليد » : **فَخَرَجْتُ ، فَمَا كَانَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رِضَا عَمَّارٍ ، فَلَقِيتُهُ ، فَرَضِيَ** .. [4]

---

[1] أُسد الغابة لابن الأثير .
[2] رواه الترمذى كتاب المناقب .
[3] رواه الترمذى كتاب المناقب .
[4] رواه أحمد مسند الشاميين .

وقد كان الأصحاب يحرصون على رضاء « عمَّار بن ياسر » بعد علمهم بـــهذا الذى قاله رسول الله (ﷺ) فى شأنه .. بالإضافة إلى أنه كان إذا استأذن فى الدخول على رسول الله قال (ﷺ) : (**ائْذَنُوا لَهُ : مَرْحَبًا بِالطَّيِّبِ الْمُطَيَّبِ**)[1]..

وينتقِل الرسول (ﷺ) إلى الرفيق الأعلى .. و« عمَّار » حافظ للعهد ، طائع لـــ « أبي بَكْر الصِّدِّيق » منفذ لأوامره .. ويخرج لقتال « مُسَيْلِمَة الكذَّاب » الذى ادَّعى النُّبوَّة .. ويشتد القتال .. فقد كان الكثيرون يحيطون بـــ « مُسَيْلِمَة » ، حتى كاد بعض المسلمين أن يَفِرَّ من ساحة المعركة ، فينادي فيهم « عمَّار بن ياسر » : **يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ .. أَمِنَ الْجَنَّةِ تَفِرُونَ ؟! أَنَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِر .. هَلُمَّ إِلَيَّ** [2] .. ويصول ، ويجول بسيفه ، وتأتيه ضربة تقطع أذنه ، وتبقى مُعَلَّقة في وجهه بجِلْدة رقيقة ، وهو لا يبالي بذلك .. وظل يقاتل حتى كتب الله النصر للمسلمين ، وقُتِل « مُسَيْلِمَة الكذَّاب » شرَّ قتلة .. وتفرَّق من بقى من جيشه .. كُلٌّ يريد أن ينجو بنَفْسِه ..

ويظل « عمَّار بن ياسر » (رضي الله عنه) مَثَلاً يُحْتَذَى فى الجهاد فى سبيل الله فى كل ميادين الجهاد .. فارس بالنهار ، راهب بالليل ..

ومن مناقبه (رضي الله عنه) ما يرويه التابعيّ « عَلْقَمَة بن قَيْس بن عبد الله » (رحمه الله) فيقول : قَدِمْتُ الشَّأْمَ ، فَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ قُلْتُ : **اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي جَلِيسًا صَالِحًا** .. فَأَتَيْتُ قَوْمًا فَجَلَسْتُ إِلَيْهِمْ ، فَإِذَا شَيْخٌ قَدْ جَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَى جَنْبِي ،

---

[1] رواه الترمذي كتاب المناقب .

[2] تاريخ الرسل والملوك للطبرى .

قُلْتُ : **مَنْ هَذَا** ؟ قَالُوا : **أَبُو الدَّرْدَاءِ** .. فَقُلْتُ : **إِنِّي دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُيَسِّرَ لِي جَلِيسًا صَالِحًا** ، **فَيَسَّرَكَ لِي** .. قَالَ : **مِمَّنْ أَنْتَ** ؟ قُلْتُ : **مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ** .. قَالَ : **أَوَلَيْسَ عِنْدَكُمُ ابْنُ أُمِّ عَبْدٍ صَاحِبُ النَّعْلَيْنِ وَالْوِسَادِ وَالْمِطْهَرَةِ** ؟ يعنى عبد الله بن مسعود ، قال : **قلت : بَلَى** .. قال : **أَلَيْسَ فِيكُمِ الَّذِي أَجَارَهُ اللَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ ، يَعْنِي عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ** (ﷺ) ؟ يعنى عَمَّارًا .. قال : **قلت : بَلَى** .. قال : **أَوَلَيْسَ فِيكُمْ صَاحِبُ سِرِّ النَّبِيِّ** (ﷺ) **الَّذِي لاَ يَعْلَمُهُ أَحَدٌ غَيْرُهُ** ؟ يعنى حُذَيْفَة .. قال : **قلت : بَلَى** .. [1]

وتمضي الأيام .. وتأتى خلافة « عَلِيّ بن أبي طَالِب » ، ويحدث الخلاف بينه وبين « مُعَاوِيَة بن أبي سُفْيَان » (رضي الله عنهم) ، وينضم « عمَّار بن ياسر » (رضي الله عنه) إلى جيش « عَلِيّ » .. ويشهد معه وقعة « الْجَمَل » ثم يشهد معه وقعة « صِفِّين » .. ويقول : **والله لَوْ ضَرَبُونَا حَتَّى يَبْلُغُوا بِنَا سَعَفَات هَجَر** [2] **لَعَلِمْتُ أَنَّا عَلَى الْحَقِّ ، وأَنَّهُمْ عَلَى الْبَاطِل** .. [3]

ويتوقَّف فريق من الصحابة ، لا ينضمُّون إلى « عَلِيّ » ، ولا إلى « مُعَاوِيَة » ، معتزلين لهذه الفِتْنَة الكبرى .. ومنهم « خُزَيْمَة بن ثَابِت الأَنْصَارى » الذى جَعَلَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) شَهَادَتَهُ بِشَهَادَةِ رَجُلَيْنِ [4] ، وقال : (**مَنْ شَهِدَ لَهُ خُزَيْمَةُ ، أو شَهِدَ عَلَيْهِ فَحَسْبُهُ**) [5] ..

---

(1) رواه البخارى . (2) أى أغصان النخيل ببلدة هَجَر . (3) أُسد الغابة لابن الأثير .

(4) رواه أبو داود كتاب الأقضية . (5) رواه الطبراني في المعجم الكبير .

يحمل « خُزَيْمَة » سيفه ، ولا يشارك فى المعركة .. ويظل يراقب سيرها .. وحين يُسأل لماذا يقف هذا الموقف ، ولا ينحاز إلى أحد الفريقين .. يقول : إنى أنتظرُ حتى يقتل « عَمَّارُ بن ياسِر » .. فَأَنْظُرُ من يقْتُله .. فإِنِّى سَمِعْتُ رسولَ الله (ﷺ) يقولُ : (**وَيْحَ ابْنَ سُمَيَّةَ !! تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ البَاغِيَةُ**)[1] .. وحينئذ سوف أنضم إلى الفريق الآخر .. [2]

ويصول « عمَّار بن ياسر » ذو الثلاث والتسعين سنة بسيفه ، وهو يهتف مُسْتبشرًا : (**اليَوْمَ أَلْقَى الأَحِبَّهْ .. مُحَمَّدًا وَحِزْبَهْ**) [3] ..

ويستريح قليلاً من عناء المعركة ، ويطلب شرابًا يشربه فيأتونه بإناء فيه لبن .. فضحك ، فقيل له : **ما يضحكك ؟!** .. فقال : إن رسول الله (ﷺ) قال لى : (**آخِرُ شَرْبَةٍ تَشْرَبُهَا مِنَ الدُّنْيَا : شَرْبَةُ لَبَنٍ**)[4] .. ثم يوصى من حوله قائلا : **ادْفِنُونِى فِى ثِيَابِى فَإِنِّى مُخَاصِمٌ** [5] .. ويأخذ سيفه ، ويندفع إلى ساحة المعركة ، ويسقط شهيدًا ..

وهنا .. وهنا فقط ينضم « خُزَيْمَة بن ثابت الأنصارى » (رضي الله عنه) إلى جيش « على بن أبى طالب » (رضي الله عنه) وهو يقول : **قَدْ بَانَتْ لِي الضَّلاَلَةُ** [6].. فقد عرف من هى الفئة الباغية ..

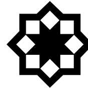
---

[1] وفى رواية للبخاري : (وَيْحَ عَمَّارٍ !! تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ) . [2] رواه ابن عساكر بنحوه .
[3] رواه الحاكم فى المستدرك . [4] رواه أحمد والحاكم . [5] رواه البيهقي فى سننه .
[6] الإصابة لابن حجر .

ويفاجأ « معاوية بن أبي سفيان » و« عمرو بن العاص » برجلين يدخلان عليهما يُبَشِّرَانِهِمَا بقتل « عمار بن ياسر » ، وكُلٌّ منهما يدَّعي قَتْله ، ويختصمان فيه .. فينفجر « عمرو بن العاص » باكيًا وهو يقول : **والله ، إِنْ يَخْتَصِمَان إِلاَّ فِي النَّارِ !! واللهِ ، لَوَدِدْتُ أَنِّي مِتُّ قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ بِعِشْرِينَ سَنَة !!..** [1]

رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وأَرْضَاكَ يَا سَيِّدِي يا « عَمَّار »

يَا مَنْ أَجَارَهُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ (ﷺ) مِنَ الشَّيْطَان



---

(1) أُسد الغابة لابن الأثير .

خَبَّابُ بنُ الأَرَتِّ (رضى الله عنه)

حين بُعِثَ النَّبِىُّ (ﷺ) كان « خَبَّابُ بْنُ الأَرَتِّ » مِن أوائل الذين آمنوا بِهَذا الدِّين الْجَدِيد .. فقد كان سَادِسَ سِتَّة فِى الإسلام ..

ولقد آثَرَ مَنْ أسْلَمَ فى بداية الدعوة أن يُخْفِى إسْلاَمه عن الناس حتى لا يتعرَّض للأذى ، إلا سبْعة كانوا هم أول من أظهر الإسلام ، وهم : « أَبُو بَكْر الصِّدِّيق » ، و« صُهَيْبُ بنُ سِنَان » ، و« بِلاَلُ بنُ رَبَاح » ، و« يَاسِر بن عَامِر العَنْسِيّ » ، و« سُمَيَّةُ » زوج يَاسِر ، و« عَمَّارُ بنُ يَاسِر » ، و« خَبَّابُ بْنُ الأَرَتِّ » .. [1]

فَأَمَّا « أَبُو بَكْر » فَمَنَعَه اللَّهُ بقومِه ، وأما الآخرون فَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيد ، ثم صَهَرُوهم فى الشَّمْس ، وسَامُوهم سُوءَ العذاب [2] ..

ولقد كان « خَبَّابٌ » من أشراف العرب ، وأصابه سَبْىٌ فى الجاهلية ، واشترته امرأة تدعى « أم أَنْمَارٍ » ، وكان صَانِعًا للسُّيُوف والدروع ، وكان له كِيرٌ يُحْمِي فيه الْحَدِيد ، ولما علمت « أم أَنْمَار » بإسلامه ، كانت تُحْمِي الْحَدِيد فى الكِير ثم تَكْوِى به رَأْسَه لِتجْبرَه على الكُفْر فَيَأْبَى إلا الثبات على الإيمان .. وكلما رأت منه الثَبَات والإصْرَار زَادَتْ مِن عَذَابه .. فذهب « خَبَّابٌ » إِلَى

---

[1] رواه ابن عساكر ، وذكره ابن الأثير فى أُسد الغابة .

[2] رواه ابن عساكر ، وذكره ابن الأثير فى أُسد الغابة .

الكَعْبَة يومًا فوجد رسولَ الله (ﷺ) مُتَّكِئًا على بُرْدَة له فى ظِلِّ الكَعْبَة فقال له : **يَا رَسُولَ اللَّه .. أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا .. أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ ..** فَقَعَدَ (ﷺ) وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ فَقَالَ : (**قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ ، فَيُجْعَلُ فِيهَا ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ ، فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ .. وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ « صَنْعَاءَ » إِلَى « حَضْرَ مَوْتَ » لاَ يَخَافُ إِلاَّ اللَّهَ ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**)[1] ..

ويصبر « خَبَّاب » على الأَذَى الذى زاد عن حَدِّ الاحتمال .. **فقد كان المشرِكُون يذهبُون إلى « أُمِّ أَنْمَار » يحمُون الْحِجَارَةَ فى الكِيرِ حتى تَحْمَرَّ ، ثم يفرِشُون الأَرْضَ بِهَا ، ويُجَرْجِرُون خبَّابًا عليها .. فما يُطْفِئُها إلاَّ لَحْمُ ظَهْرِهِ وشَحْمُه**[2] .. ويذهب (رضي الله عنه) إلى رسول الله (ﷺ) يشكو إليه مولاته : « أُمَّ أَنْمَارٍ » التى كانت تأخذ الحديدة وقد أحمتها ، فتضعها على رأسه ، فَيَرِقّ رسول الله (ﷺ) له ، ويرفع يديه إلى السماء ، ويقول : (**اللَّهُمَّ انْصُرْ خَبَّابًا**)[3] .. وما هى إلا أيام .. حتى تُصابَ « أُمُّ أَنْمَارٍ » بداء فى رَأْسِهَا ، وصُدَاع تعوي منه كما تعوي الكلاب ، وتحار فى علاج الدَّاء ، ويحار معها أطباء قومها ، ولا يجدون علاجًا لها إلا أن تُكْوَى بالنارِ فى رَأْسِها ، فتذهب بِنَفْسِها وبمحض إرادتـــها إلى « خَبَّاب » ،

---

(1) رواه البخارى كتاب المناقب .

(2) ذكره بنحوه ابن الأثير فى أُسد الغابة .

(3) أسد الغابة لابن الأثير .

وتَطْلب منه أن يُحْمِىَ الْحَدِيدَ ، ويَكْوِيها فى رَأْسِها كما كانت تَكْوِيه !!..

ويُعْتَقُ « خبَّابٌ » أخيرًا ، ويُلْحِقُهُ رَسُول الله (ﷺ) بـــ « سَعيد بن زَيْدٍ » زَوْجِ « فَاطمَة بنت الخطَّاب » ، وأَحَد العَشرة الْمُبَشَّرينَ بالْجَنَّة ، فيشاركهما طعامَهُمَا ويُعَلِّمُهُمَا القرآن ، ويقْرَأ مَعَهُمَا .. ويَعْلَمُ « عمر بن الخطاب » بإسلام أخته وزوجها ، ويذهب إليهما ، وقد امتلأ غيظًا وغَضَبًا ، ويسمع القرآن من « خبَّاب » ، ويشرح الله صَدْرَه للإسْلاَم ، بعدما قرأ صدرًا من سورة (طه) ويقول : **مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلاَمَ وَأَكْرَمَهُ** .. فلما سمع « خبّابُ » ذلك خرج إليه فقال له : **يَا عُمَرُ ، وَاللهِ إنّي لأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللهُ قَدْ خَصَّكَ بِدَعْوَة نَبِيِّه (ﷺ) فَإِنِّي سَمِعْته وَهُوَ يَقُولُ** : (**اللَّهُمَّ أَيِّدِ الإِسْلاَمَ بِأَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ ، أَوْ بِعُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ**) ، **فَاللَّهَ اللَّهَ يَا عُمَرُ** .. فقال له عند ذلك : **فادللني عليه يا خَبَّاب حتى آتيه فَأُسْلِم** .. [1]

وتمضى الأيام .. ويهاجر « خبَّاب بن الأَرَتِّ » إلى المدينة المنوَّرَة ويصبح مِنْ أَهْل الصُّفَّة ، وهم المهاجرون الفُقَراء الذين كانوا يجلسون فى مَسْجِدِ رَسُول الله (ﷺ) لا هَمَّ لَهُمْ إلا حفظ القرآن وترتيله ، والصلاة مع رسول الله (ﷺ) ، والخروج معه فى جميع غزواته ..

وينـــزل « جبريل » الأمين بوحي من السماء : (وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ

---

(1) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل .

ﭐلۡحَيَوٰةِ ﭐلدُّنۡيَا)[1] .. ويتعجَّب النبى (ﷺ) من هذا الأمر ، ويخرج من حُجرته فيرى أهل الصُّفَّة عاكفِينَ على القُرْآنِ الكَرِيم ، يتدارسونه ، فينظر إليهم ويقول : (**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يُمِتْنِي حَتَّى أَمَرَنِي أَنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَ قَوْمٍ مِنْ أُمَّتِي .. مَعَكُمُ الْمَحْيَا ، ومَعَكُمُ الْمَمَات**)[2] .. وكان بعد ذلك كلَّما دخل عليه « خَبَّاب » وإخوانه من أهل الصُّفَّة يهشُّ ويبشُّ فى وجوههم ، ويَبْسُطُ لهم رِدَاءه ليجلسوا عليه ، ويقول : (**أهلاً بِمَنْ أَوْصَانِي بِهِمْ رَبِّى**) ..

ولقد كان « خبَّاب » من الفُقَرَاءِ الذين استهزأ بِهم منافقوا المدينة وطلبوا من رسول الله (ﷺ) أن يَصْرِفهُم عنه ، أو أن يجعل لهم يومًا وللأغنياء وأشراف القوم يومًا حتى يجلسوا إليه ، ويسمعوا منه ، إذ لا يَصِحُّ لهم أن يجالسوهم ، أو أن يُسَوَّى بينهم فى الْمَجْلِسِ فنَزَل « جِبْرِيلُ الأمِينُ » بالْوَحْي يقول : (وَلَا تَطۡرُدِ ﭐلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِﭐلۡغَدَوٰةِ وَﭐلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ﭐلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ﭐللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ﭐللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِﭐلشَّٰكِرِينَ)[3] ..

وتمضى الأيام .. ولا يتخلَّف « خَبَّابٌ » عن غزوة من غزوات النبى (ﷺ) .. وينتقل الرسول (ﷺ) إلى الرَّفِيقِ الأَعْلَى ، و« خبَّابٌ » على العهد : فَارِسٌ بالنهار ،

---

(1) سورة الكهف آية ٢٨ .
(2) رواه البيهقي فى شُعَب الإيمان .
(3) سورة الأنعام الآيتان ٥٢ ، ٥٣ .

رَاهِبٌ بالليل فى خلافة « أبى بكر الصديق » ، ثم فى خلافة « عمر بن الخطاب » .. ويقول له « عُمَرُ » يومًا : **يَا خَبَّابُ ، كَيْفَ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يُعَذِّبُونَكَ بِمَكَّةَ ..** فيكشف « خبَّاب » عن ظهْرِهِ ، ويقول : **يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ انْظُرْ إِلَى ظَهْرِى ..** فنظر « عمر » فتعجَّب واندهش .. وقال : **ما رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ ظَهْرَ رَجُل !!** – فقد كان ظهره خاليًا من اللحم – فقال « خباب » : **لَقَدْ أُوقِدَتْ نَارٌ ، وسُحِبْتُ عَلَيْهَا فَمَا أَطْفَأَهَا إلاَّ وَدَكُ** (١) **ظَهْرِي** (٢) ..

ويمرض « خبَّابٌ » مرضًا شديدًا ، ويطول به مرضه أيامًا وشهورًا حتى إنه كان يقول : **لَوْلاَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) نَهَانَا أَنْ نَدْعُوَ بِالْمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِهِ** (٣) ..

ويدخل عليه أصحابه يعودونه ، فيجدونه يبكى بكاء شديدًا ، فيقولون له : **أَبْشِرْ أَبَا عَبْدِ اللهِ .. تَرِدُ عَلَى إِخْوَانِكَ الْحَوْضَ ..** فيشتد بكاؤه ويقول : **واللهِ مَا أَبْكِى جَزَعًا مِنَ الْمَوْتِ ، أو حُبًّا للدُّنْيَا .. ولكِنَّكُمْ ذَكَرْتُمْ أَقْوَامًا وسَمَّيْتُمُوهُمْ لِي إِخْوانًا مَضَوا لَمْ يَنَالُوا مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا ، وبَقِينَا بَعْدَهُمْ حَتَّى نِلْنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا نَخَافُ أَنْ يَكُونَ ثَوَابًا لِتَلْكَ الأَعْمَال** (٤) .. ثم يشير إلى صندوق وضع فى ركن من الدار ويقول : **إنَّ في هذا التَّابُوت ثمانين ألف دِرْهَم ، واللهِ ما شَدَدْتُ لها مِنْ خَيْطٍ ، ولا مَنَعْتُها مِنْ سَائِلٍ ..** ثم بكى ، فقيل : **ما يُبْكِيكَ ؟** .. قال : **أبْكِي أَنَّ أَصْحَابِي مَضَوْا وَلَمْ تَنْقُصْهُمُ الدُّنْيَا شَيْئًا ، وإِنَّا بَقِينَا بَعْدَهُمْ حَتَّى لَمْ نَجِدْ لَهَا**

---

(١) ودك : شحم .

(٢) أُسد الغابة لابن الأثير .

(٣) رواه البخارى كتاب الدعوات .

(٤) رواه أبو نعيم فى حلية الأولياء .

مَوْضِعًا إِلاَّ التُّرَابَ [١] .. [٢]

ويستعدُّ « خباب » للقاءِ اللهِ بظهر لا لَحْمَ فيهِ ، وبجَسَدٍ لا مَوْضِعِ فيه إلا وبه أَثَرُ الْكَيِّ بالنار حتى رأسه ، ومع ذلك يَبْكِي ولا يتوقف عن الْبُكَاء ، ويُوصِي أن يُدْفَن بظاهر « الكوفة » ..

ويموت عن ثلاثٍ وسبعين سنة .. سنة سبع وثلاثين من الْهِجْرَةِ .. وقد سنَّ للناس سُنَّةً حَسَنَةً وهى أن يدفنوا موتاهم بعيدًا عن دِيَارِهِمْ .. وفى ذلك يروى « زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ » فيقول : سِرْنَا مَعَ « عَلِيّ بن أبى طالب » حين رجع من « صِفِّين » ، حتى إذا كان عند باب الكُوفَةِ إذا نحن بقُبُورٍ سَبْعَةٍ عَنْ أَيْمَانِنَا ، فقال : **ما هذه القُبُور ؟** قالوا : **يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِين ، إِنَّ خَبَّابَ بْنَ الأَرَتِّ تُوُفِّيَ بعد مخرجك إلى « صِفِّين » ، فأَوْصَى أن يُدْفَن فى ظاهر الكُوفَة ، وكان الناس إنما يدفنون موتاهم فى أفنيتهم ، وعلى أبواب دورهم ، فلما رأوا « خبابًا » أوصى أن يُدْفَنَ بالظَّهْر دفن الناس موتاهم بعيدًا عن دورهم** .. فقال « علىّ » (رضي الله عنه) : **رَحِمَ اللَّهُ خَبَّابًا : لقد أَسْلَمَ رَاغِبًا ، وهَاجَرَ طَائِعًا ، وعَاشَ مُجَاهِدًا ، وابْتُلِيَ فِى جِسْمِه أَحْوَالاً ، ولَنْ يُضِيعَ اللَّهُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً** ، ثم دنا من قبورهم فقال : **السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الدِّيَار مِنَ الْمُؤْمِنِينَ والْمُسْلِمِين ، أَنْتُمْ لَنَا سَلَفٌ فَارِط** [٣] ، **ونَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ – عَمَّا قَلِيل – لاَحِقٌ ، اللهم اغْفِرْ لَنَا ولَهُمْ ، وتَجَاوَزْ بِعَفْوِكَ**

---

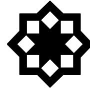
[١] يشير إلى داره التى ابتناها فى الكوفة .

[٢] رواه أبو نعيم فى حلية الأولياء .

[٣] أى مُتَقَدّم .

عَنَّا وعَنْهُمْ .. طُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ المعادَ ، وعَمِلَ لِلْحِسَابِ ، وقَنِعَ بِالْكَفَاف ، ورَضِيَ عَنِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ .. [1]

رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ يا مَنْ أَسْلَمْتَ رَاغِبًا .. وهَاجَرْتَ طَائِعًا .. وعِشْتَ مُجَاهِدًا .. وابْتُلِيتَ فَكُنْتَ مُحْتَسِبًا صَابِرًا ..



---

[1] رواه الطبراني فى المعجم الكبير .

صُهَيبُ بْنُ سنان (رضى الله عنه)

يَا مَعْشَرَ قُرَيْش ، تَعْلَمُون أَنِّى مِنْ أَرْمَاكُم [1] **.. ووالله لا تَصلُونَ إِلَيَّ حَتَّى أَرْمِيكُمْ بِكُلِّ سَهْمٍ مَعِى ، ثُمَّ أَضْرِبَكُمْ بِسَيْفِى مَا بَقِى فِى يَدِى مِنْهُ شَىْء ، فَإِنْ كُنْتُم تُرِيدُونَ مَالِى دَلَلْتُكُمْ عَلَيْه ..** قالوا : **فَدُلَّنَا عَلَى مَالِكَ ، ونُخَلِّى عَنْكَ ..** فتعاهدوا على ذلك فدلَّهُمْ عَلَيْه [2] ..

كان ذلك ما قاله « صُهَيْبُ بْنُ سِنَانٍ » المعروف بـــ « صُهَيبٍ الرُّومِىّ » للملإِ من قُرَيْشٍ الذين لَحقوُا به خارجًا من مَكة للّحاق برسول الله (ﷺ) فى المدينة مُهَاجِرًا إليه ، ولقد صَدَقَهُم القَوْلَ فى إخبارهم بمكان مَالِه ، وصدَّقُوهُ ، فما كان لـــ « صُهَيْبٍ » الَّذى أسْلَمَ مُبَكِّرًا - ورسول الله (ﷺ) ما زال فى دار الأَرْقَمِ يدعو إلى الله سِرًّا - أن يَكْذب .. فإن المؤمن لا يَكْذِب ، وما كان له أن يَضِنَّ بماله فى سبيل النجاة بدِينِه ، والْهِجْرَةِ إلى الله ، ورسولِه .. وهو الذى تحمَّل من العذاب فوق ما يُطِيقُهُ البَشَرُ إذ كان من السَّبْعَةِ الَّذِين أظْهَرُوا الإِسْلامَ بمَكَّةَ وأُلْبِسُوا أدْرَاعَ الْحَدِيدِ ، ثم أُصْهِرُوا فى الشَّمْسِ [3] ، ولقد أسْلَمَ هو و« سَلْمَان الفَارِسِىّ » فى يومٍ واحد بعد بضعة وثلاثين رجلاً فقط ..

---

[1] أى أحسنكم رميًا بالسّهام .
[2] رواه أبو نعيم ، وابن سعد ، وذكره ابن شبَّة فى تاريخ المدينة .
[3] رواه أحمد ، وابن عساكر .

وهو سابق الرُّوم كما قال عنه النبى (ﷺ) : (**السُّبَّاقُ أَرْبَعَةٌ : أَنَا سَابِقُ الْعَرَبِ ، وصُهَيْبٌ سَابِقُ الرُّومِ ، وسَلْمَانُ سَابِقُ فَارِس ، وبِلالٌ سَابِقُ الْحَبَشِ**)[1] ..

لَحِقَ « صُهَيْبُ بنُ سِنَانٍ » برسول الله (ﷺ) وهو فى « قُباء » قبل أن يدخل المدينة ، وقد نزل جبريل (عليه السلام) على النبى (ﷺ) بقول الله عز وجل فى شأن « صُهَيْب » وما حدث منه : (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ)[2] ..

ولما دخل « صُهَيْب » على النبى (ﷺ) هَشَّ وبَشَّ فى وجهه وقال : (**رَبِحَ الْبَيْعُ أَبَا يَحْيَى .. رَبِحَ الْبَيْعُ أَبَا يَحْيَى**)[3] ..

وأصبح « صُهَيْبٌ » من أهل الصُّفَّة الذين تفرَّغُوا لتعلُّم القرآن ، والعِبادَة ، والالتصاق برسول الله (ﷺ) فى كل مكان وزمان ، فشهد غزوة « بَدْرٍ » ، و« أُحُد » ، و« الْخَنْدَق » ، وجميع المشاهد والغَزَوَات ، وما شهد رسولُ الله (ﷺ) مَشْهَدًا إلا وكان حاضرًا معه ، ولا بَايَع بَيْعَةً إلا وكان حاضرَها ، وما سار بِسَرِيَّةٍ إلا وكان معه ، ولا غَزَا غَزْوَةً إلا وكان عن يمينه أو عن شماله فيها ، وما خاف المسلِمُون من أمامهم قَطُّ ، إلا وكان أمامهم .. ولا خافوا من خَلْفِهم قط ، إلا وكان خلفهم .. وما جعل رسولَ الله (ﷺ) بينه وبين العَدُوِّ حتى لَحِقَ (ﷺ) بالرَّفيق الأعلى[4] ..

---

[1] رواه الحاكم ، والطبراني .
[2] سورة البقرة آية ٢٠٧ .
[3] المطالب العالية للحافظ ابن حجر .
[4] رواه الحاكم فى المستدرك .

وظل « صُهَيْبٌ » فى خلافة « أبى بكر الصديق » ، و« عمر بن الخطاب » (رضى الله عنهما) زاهِدًا عابِدًا مجاهِدًا فى سبيل الله عز وجل ، حاملاً للقُرْآن فى قَلْبِه ، عاملاً بأحكامه ، يَرْوِى عن رسول الله (ﷺ) قوله : (**مَا آمَنَ بِالْقُرْآنِ مَنِ اسْتَحَلَّ مَحَارِمَهُ**)[١] ، فكان حريصًا كل الْحِرْص على البُعْدِ عن كُلِّ ما حُرِّمَ فى القرآن ، وكان جوادًا سَخِيًّا بِمَالِه ..

ولقد كان « عمر بن الخطاب » (رضي الله عنه) مُحبًّا لـــ « صُهَيْب » ، مُقَرِّبًا له ، ودخل عليه يومًا فقال له : **مَا فِيكَ شَىْءٌ أُعِيبُهُ يَا صُهَيْبُ إلاَّ ثَلاثَ خِصَالٍ ، لَوْلاهُنَّ ما قَدَّمْتُ عَلَيْكَ أَحَدًا : أَرَاكَ تَنْتَسِبُ عَرَبِيًّا ولِسَانُكَ أَعْجَمِىٌّ ، وتَكْتَنَى بِأَبِى يَحْيَى وهُوَ اسْمُ نَبِىٍّ ، وتُبَذِّرُ مَالَكَ** .. فقال « صُهَيْبٌ » (رضي الله عنه) : **أَمَّا تَبْذِيرِى مَالِى فَمَا أُنْفِقُهُ إلاَّ فِى حَقِّه ، وأَمَّا اكْتِنَائِى بِأَبِى يَحْيَى فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) كَنَّانِى بِأَبِى يَحْيَى فَلَنْ أَتْرُكَهَا ، وأَمَّا انْتِمَائِى إِلَى الْعَرَبِ فَإِنَّ الرُّومَ سَبَتْنِى [٢] صَغِيرًا ، فَأَخَذْتُ لِسَانَهُمْ ، وأَنَا رَجُلٌ مِنَ « النّمِرِ بن قَاسِطٍ [٣] » ، ولو انْفَلَقَتْ عَنِّى رَوْثَةٌ [٤] لانْتَمَيْتُ إِلَيْها [٥]** .. [٦]

ولقد كان من تَقْدِير « عمر بن الخطاب » لـــ « صُهَيْب » وإجلاله له أن أوْصَى – حين طعنه « أبو لؤلؤة المجوسى » – أن يُصَلِّى « صُهَيْبٌ » بالناس ثلاثة أيام حتى يَفْرَغَ أهل الشورى السِّتَّة من اختيار الخليفة رغم اللَّكْنَة الأَعْجَمِيَّة التى

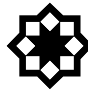
---

[١] رواه الترمذى كتاب فضائل القرآن .
[٢] سبتني : أسَرَتْني .
[٣] قبيلة من العرب .
[٤] فضلات البهائم .
[٥] أى لا أخْجَل أَن انْتَسِبَ إلى قوْمِى مهما كانوا .
[٦] أُسد الغابة لابن الأثير .

كانت فى لِسَان « صُهَيْبٍ » ، بل وأوْصَى أن يَؤُمَّ الناسَ فى صلاة الجنازة عليه « صُهَيْبُ بِنُ سِنَان » ذلك السابق فى الإسلام ، وأَحَد السُّبَّاق الأربعة ، الذى روى عن رسول الله (ﷺ) قوله : (**إذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّة الْجَنَّةَ ، نَادَى مُنَادٍ : إنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ .. قَالُوا : أَلَمْ يُبَيِّضْ وُجُوهَنَا !! وَيُنْجنَا مِنَ النَّارِ !! وَيُدْخلْنَا الْجَنَّةَ !!** .. قَالَ : **فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ** .. قَالَ : **فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ**)[1] .. والنظر إلى وجه الله الكريم هو الزيادة التى جاءت فى قول الله تعالى : (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ)[2] ..[3]

ويقترب الأَجَلُ .. ويلحق « صُهَيْبُ بنُ سِنان » بالرَّفيق الأَعْلى سنة ثمان وثلاثين من الهجرة ، ويُدْفَنُ بالبَقِيعِ إلى جوار أصحاب رسول الله (ﷺ) الذين سَبَقَتْ لهم من الله الْحُسْنَى .. وكان عُمرُهُ ثلاثًا وسبعين سنة ..

رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَأَرْضَاكَ أَبَا يَحْيَى .. يَا سَابِقَ الرُّومِ ..
يَا مَنْ هَشَّ وبَشَّ فِي وَجْهِهِ سَيِّدُ الْعَرَبِ والْعَجَمِ (ﷺ) ..



(١) رواه مسلم والترمذى وأحمد . (٢) سورة يونس آية ٢٦ . (٣) تفسير ابن كثير .

جَعْفَرُ بنُ أبى طَالِب (رضى الله عنه)

دخل « أَبُو طالبٍ » على النبى (ﷺ) فوجده يصلّى ، وعن يمينه « عَلِيٌّ بن أبى طالب » ، فقال لابنه « جعفر » : **صِلْ جَنَاحَ ابْنِ عَمِّكَ ، وصَلِّ عَنْ يَسَارِهِ** [1] ..
وكان « جعفر » شقيقًا لِـــ « عَلِيٍّ » (رضي الله عنهما) ، وأَسَنَّ مِنْه بعشر سنين .. وقد أسلم بعد إسلام عَلِيّ بقليل ، وقيل أسلم قبله ثلاثون رجلاً ..

وحين اشتدَّ أذى المشركين لِمَنْ أسْلَمَ ، أذن رسول الله (ﷺ) للقادرين منهم بالهجرة إلى الحبشة ، حيث يحكمها مَلِكٌ لا يُظْلَمُ عنْدَه أحَد .. وهاجر « جعفر بن أبى طالب » (رضي الله عنه) إلى الحبشة مع مَنْ هاجر إليها ، فأكرم « النَّجَاشِيُّ » وِفَادَتَهم ..

واستشاطت قريش غضبًا لهروب هؤلاء بدينهم ، وعيشهم فى سلام إلى جوار ذلك الْمَلِكِ العادل الذى كان مَسِيحِيًّا مخلصًا لدينه ، فقرَّر زعماؤها إرسال وَفْدٍ برئاسة « عمرو بن العاص » (رضي الله عنه) لاسترجاع هؤلاء الذين تركوا دين قومهم ، وخرجوا عن طاعة آبائهم ..

ووصل الوَفْد بِهَدايَا قَيِّمة للنجاشيِّ .. وتكلم « عمرو بن العاص » المتحدِّث اللَّبق مُتَّهما المهاجرين بالعقوق ، مُهوِّلاً حالةَ الأهل والعَشِيرَة مِنَ الحزن على أبنائهم المخدوعين بدين جديد ..

---

[1] أُسد الغابة لابن الأثير .

ورفض الْمَلِكُ العادل أن يجيب طلب « عمرو » بإعادة المهاجرين معه حتى يسمع منهم .. وما كان للباطل أن يَهْزِم الحق ، فقد تكلَّم المهاجرون ، وشرحوا للنَّجَاشِىّ ما كانوا عليه فى الجاهلية من : غَدْرٍ ، وإغَارَةٍ ، وعُقُوق للأُمّهات ، ووَأْدٍ للبَنَات ، وهَضْمٍ لِحَقِّ الجار ، وعبادةٍ للأصنام ، وكيف أن الإسلام جاء يأمرهم بالصِّدْق ، والصِّلَة ، والعَفَافِ ، وبرِّ الوالِدَيْن ، وحُسْن الْجِوَار ، وعِبَادَة الله الواحِدِ الأَحَد .. وَرَقَّ قَلْبُ « النَّجَاشِىِّ » لِمَا سمعه من مكارم الأخلاق التى اجتمعَت عليها الأديان ، وظهر ذَلِكَ جَلِيًّا على وجهه ..

وهنا فكَّر « عمرو بن العاص » فى حِيلَة يُثِيرُ بِهَا غضبَ النَّجَاشِىّ ، وحميَّته لدينه .. فقال : **أَيُّهَا الْمَلِكُ .. إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلاً عَظِيمًا ، ويَزْعُمُونَ أَنَّهُ عَبْدٌ ..** (١)

وأَفْلَحَتِ الْحِيلَة ، وغضب « النجاشِىُّ » غضبًا شديدًا ، والتفت إلى « جَعْفر ابن أبى طالب » – الذى كان يتكلَّم باسْم المهاجرين ويتحدَّث عنهم – سائلاً إِيَّاهُ عما يقولونه فى عِيسَى ابن مَرْيَم .. فقال « جعفر » : **نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا ، هُوَ عَبْدُ اللَّهِ ، وَرَسُولُهُ ، وَرُوحُهُ ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ** .. ثم قرأ عليه بصوته الرَّخِيم الْمُمْتَلِئ إيمانًا ، وخشوعًا سُورَة : « مَرْيَم » فبكى « النجاشِىُّ » ، وفاضت الدموع من عينيه ، ثم ضرب يَدَهُ إِلَى الأَرْض ، فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا ، وخطَّ به خطًّا فى الأرض ، وقال : **ليس بين دينكم وديننا**

---

(١) رواه أحمد مسندى أهل البيت والأنصار .

أكثر من هذا الخط .. **إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ عِيسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ** [1].. ثم أَمَرَ بردِّ الهدايا إلى وفد قُرَيْشٍ ، ولم يَقْبَلْها ، وأمَرَ بإكْرَامِ وِفَادَةِ المسلمين المهاجرين إليه ، والعِنَاية بِهم ، ورعايتهم ، وعاد « عمرو بن العاص » ومَنْ معه إلى مَكَّة خائبين ، وعاش المهاجرون فى جوار هذا الْمَلِكِ العادل فى أَمْن وأَمَان [2] ..

وتمضى الأيام .. وتستقرُّ الأمور فى المدينة المنوَّرة بعد هِجْرَةِ النبى (ﷺ) إليها .. ويهاجر « جعفر بن أبى طالب » إلى المدينة لِيَلْحَقَ برسول الله (ﷺ) وأصحابه ، ويوافق يوم وصوله يوم فَتْح خَيْبَر ، وحين يدخل على النبى (ﷺ) يفرح به فرحًا شديدًا ويحتضنه ، ويُقَبِّلُه بين عينيه ويقول : (**مَا أَدْرِى بِأَيِّهِمَا أَنَا أَشَدُّ فَرَحًا : بِقُدُومِ جَعْفَرٍ ، أَمْ بِفَتْحِ خَيْبَر**)[3] ..

ويلازم « جعفر بن أبى طالب » (رضي الله عنه) رسولَ الله (ﷺ) ، ويشهد معه غزواته ، ويمتدحه النبى (ﷺ) بقوله : (**أَمَّا أَنْتَ يَا جَعْفَرُ فَأَشْبَهْتَ خَلْقِي ، وَخُلُقِي ، وأَنْتَ مِنْ عِتْرَتِى الَّتِى أَنَا مِنْهَا**)[4] ، ويحيط فقراء المهاجرين بـــ « جعفر » ، ويتعلَّقون به لشِدَة عطفه عليهم ، ومشاركتهم له فى طعامه - قل أو كثر - حتى لَقَّبه رسول الله (ﷺ) : **بِأَبِي الْمَسَاكِينِ** [5] ..

وتأتى غزوة « مُؤْتَة » ويُؤَمِّرُ رسولُ الله (ﷺ) « زَيْدَ بن حَارِثَة » (رضي الله عنه) على

---

[1] ذكره ابن هشام بنحوه فى سيرته . [2] ذكر القصة بنحوها ابن هشام في سيرته ، وأحمد فى مسنده .
[3] رواه الحاكم والطبراني والبيهقي . [4] رواه البخارى ، والحاكم ، وذكره ابن الأثير فى أُسد الغابة .
[5] رواه الترمذى كتاب المناقب .

الجيش ، ويقول : (**إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَأَمِيرُكُمْ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَأَمِيرُكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ**)[1] .. ويخرج الجيش فى السنة الثامنة من الهجرة لملاقاة جيش الرُّوم فى بلدة « مُؤْتة » قريبًا من الشام .. وتدور المعركة الشرسة ، ويُقْتل « زيد بن حارثة » ، وتكاد الراية تسقط من يَدِه فيلتقطها « جَعْفَرٌ » ، ويتقدم الصفوف على فرسه الشقراء ، ويبث الرعب فى قلوب الأعداء ، الذين يجعلونه هدَفًا لهم بأى ثمن ، فينـــزل عن فرسه ، ويَعْقِرها ، ويقاتل ماشِيًا على أقدامه ليشعرهم أنه لا مجال للفِرَار ، أو التراجع ، فقد عَقَر فرسه التى قد تساعده على الهروب وأنه إما مَنْصور ، أو مَقْتُول .. فكان بذلك أوَّل مَنْ عَقَر فَرَسَهُ فى الإسلام ليكون مَثَلاً يُحْتَذَى للشجعان الذين لا يهابون الموت فى سبيل الله ..

ويتكاثر عليه جنود العدو ، الذى جاء فى جيش قوامه مائتا ألف مقاتل ، ويقطعون يَدهُ فيلتقط الرَّاية – قبل أن تسقط – بيَدِه الأُخْرى .. فيقطعونَها ، فيحتضن الراية بعَضُدَيْه حتى لا تسقط على الأرض ، وقبل أن يتلقَّى الضربة القاتلة ، يسلم الراية لـــ « عَبْدِ الله بن رَوَاحَة » ..

وقد أُصِيبَ ببضع وسبعين إصابة : ما بين ضربة بسيف ، وطعنة برمح ، كُلّها فيما أقبل مِنْ جَسَده ..

وينـــزل جبريل (عليه السلام) إلى النبى (ﷺ) يخبره بمصْرَع القادة الثلاثة (رضي الله عنهم) ، وبتولى « خالد بن الوليد » (رضي الله عنه) القيادة ، وانتصار جيش المسلمين ،

---

[1] رواه أحمد بنحوه ، وذكره ابن حجر في فتح الباري .

فيسرع النبى (ﷺ) إلى بيت « جعفر بن أبى طالب » يطلب رؤية أبنائه ، وتأتيه « أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْس » - زوج جعفر - بِهم وقد غسَّلَتْهُمْ ، وطَيَّبَتْهم .. فيأخذ النبى (ﷺ) يُقَبِّلُهم ، ويتشمَّمهُم ، وعيناه تذرفان .. وتسأله « أسماء » : **بِأَبِى وأُمِّى أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ .. أَبَلَغَكَ عَنْ جَعْفَرٍ وأَصْحَابِهِ شَىْءٌ ؟!**.. قال : (**نَعَمْ أُصِيبُوا هَذَا الْيَوْم**)[1] ..

ويحكى (ﷺ) عن « جعفر » فيقول : (**إِنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ أَبْدَلَهُ بِيَدَيْهِ جَنَاحَيْنِ يَطِيرُ بِهِمَا فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ يَشَاءُ**)[2] .. فصاحت « أسماء » باكية ، ودخلت « فاطمة » بنت النبى (ﷺ) تصرخ وتقول : **وَا عَمَّاهُ** .. فقال النبى (ﷺ) : (**عَلَى مِثْلِ جَعْفَرٍ فَلْتَبْكِ الْبَوَاكِى**)[3] .. ويخرج إلى أصحابه وهو يبكى ويقول : (**أَخَوَاى !! ومُؤْنِسَاى !! ومُحَدِّثَاى !!**)[4] .. ثم يرجع إلى بيته ، ويقول لنسائه : (**اصْنَعُوا لأَهْلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا .. فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَهُمْ مَا يَشْغَلُهُمْ**)[5] .. وتُصْبِحُ سُنَّةً أن يصنع الناس طعامًا لأهل الميت الذين يشغلهم الحزن عن ذلك ..

وصدق « أبو هريرة » (رضي الله عنه) إذ يقول :

مَا احْتَذَى النِّعَالَ ، وَلاَ رَكِبَ الْمَطَايَا [6] ، وَلاَ رَكِبَ الْكُورَ [7]
بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) أَفْضَلُ مِنْ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .. [8]

---

[1] سيرة ابن هشام .
[2] الاستيعاب لابن عبد البر ، وعيون الأثر لابن سيد الناس .
[3] أُسد الغابة لابن الأثير .
[4] الاستيعاب لابن عبد البر .
[5] رواه الترمذى كتاب الجنائز .
[6] المطايا : الدواب .
[7] الكور : الرحل .
[8] رواه الترمذى كتاب المناقب .

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ (رضى الله عنه)

هَلُمَّ بنا - أَيُّها القارئ الكريم - نُصِيخُ السَّمْع لهذا الذى قال له رسول الله (ﷺ) : (**إِذْنُكَ عَلَيَّ أَنْ تَرْفَعَ الْحِجَابَ ، وَأَنْ تَسْمَعَ سِوَادِي حَتَّى أَنْهَاكَ**)[١].. فكان يدخل عليه ، ويُلبسه نعليه ، ويمشى معه وأمامه ، ويستره إذا اغتسل ، ويوقظه إذا نام ، وكان يُعْرَف فى الصحابة بصاحب السِّواد [٢] والسِّواك ، حتى قال عنه « أبو مُوسَى الأشْعَرِيُّ » : **قَدِمْتُ أَنَا وَأَخِي مِنَ الْيَمَنِ ، فَمَكَثْنَا حِينًا مَا نُرَى** [٣] **إِلاَّ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ (ﷺ) لِمَا نَرَى مِنْ دُخُولِهِ ، وَدُخُولِ أُمِّهِ عَلَى النَّبِيِّ (ﷺ)** [٤] ..

ذلك الذى قال فيه « حُذَيْفَةُ بنُ اليمانِ » (رضي الله عنه) صاحب سرِّ رسول الله (ﷺ) : **كَانَ أَقْرَبَ النَّاسِ هَدْيًا** [٥] ، **وَدَلاًّ** [٦] ، **وَسَمْتًا** [٧] **بِرَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) : ابْنُ مَسْعُودٍ ، حَتَّى يَتَوَارَى مِنَّا فِي بَيْتِهِ ، وَلَقَدْ عَلِمَ الْمَحْفُوظُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) أَنَّ ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ هُوَ مِنْ أَقْرَبِهِمْ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى** [٨] .. ويقول « حُذَيْفَة » : قال النبى (ﷺ) : (**تَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ**) [٩] ..

---

[١] رواه أحمد ، ومسلم ، وابن ماجه .
[٢] السِّواد : الْمُسَارَّة .
[٣] نُرى : نظن .
[٤] رواه البخارى كتاب المناقب .
[٥] هَدْيًا :طريقة وسيرة .
[٦] الدالّ : حالة السكينة ، وحُسن السيرة .
[٧] سمتًا : هيئة حسنة .
[٨] رواه الترمذى كتاب المناقب .
[٩] رواه ابن أبي شيبة كتاب المناقب .

ذلك الذى كان يخدم النبى (ﷺ) ، فأمره يومًا فصعد على شجرة يأتيه منها بشىء ، فنظر أصحابه إلى ساقه فضحكوا من حُمُوشَة [١] سَاقَيْه ، فقال رسول الله (ﷺ) : (**مَا تَضْحَكُونَ !! لَرِجْلُ عَبْدِ اللَّهِ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أُحُدٍ** [٢]) [٣] ..

ذلك الذى قال فيه بعض الناس يومًا وهم جلوسٌ عند « علىّ بن أبى طالب » : **يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .. مَا رَأَيْنَا رَجُلاً كَانَ أَحْسَنَ خُلُقًا ، ولاَ أَرْفَقَ تَعْلِيمًا ، ولاَ أَحْسَنَ مُجَالَسَةً ، ولاَ أَشَدَّ وَرَعًا مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ** .. فقال « عَلِىٌّ » : (**نَشَدْتُكُمْ اللهَ .. إِنَّهُ لَصِدْقٌ مِنْ قُلُوبِكُمْ ؟**) .. قالوا : **نَعَمْ** .. قال : (**اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ اللَّهُمَّ إِنِّى أَقُولُ فِيهِ مِثْلَ مَا قَالُوا أو أَفْضَلَ : قَرَأَ الْقُرْآنَ ، فَأَحَلَّ حَلاَلَهُ ، وحَرَّمَ حَرَامَهُ .. فَقِيهٌ فِى الدِّينِ .. عَالِمٌ بِالسُّنَّةِ**)[٤] ..

ذلك القارئ الذى أمرنا النبى (ﷺ) أن نأخذ القرآن منه ضمن أربعة من الصحابة .. وقال فى شأنه : (**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا طَرِيًّا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ**)[٥] ..

ذلك الذى كان إذا هدأت العيون قام فسُمِعَ له دَوِىٌّ كدَوِىِّ النَّحْل حتى يصبح [٦] .. وقال رسول الله (ﷺ) فى شأنه : (**لَوْ كُنْتُ مُؤَمِّرًا أَحَدًا مِنْ غَيْرِ**

---

[١] حموشة : دقة .

[٢] أى من جبل أُحُد .

[٣] رواه أحمد ، والطبراني ، وابن أبي شيبة .

[٤] رواه ابن سعد فى الطبقات الكبرى .

[٥] رواه أحمد ، وابن ماجه بدون ذكر كلمة (طريًّا) وذكرها السيوطى فى تاريخ الخلفاء .

[٦] أسد الغابة لابن الأثير .

مَشُورَةٍ لأَمَّرْتُ ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ)[١] ..

هلم بنا نسمع منه **قصَّةَ إسلامِه** :

كنتُ غلامًا يافعًا فى غنم لـــ « عُقْبَة بن أبى مُعَيْط » أرعاها ، فأتى النبى (ﷺ) ومعه « أبو بكر » ، فقال (ﷺ) : (**يَا غُلاَمُ .. هل مَعَكَ مِنْ لَبَنٍ ؟**) .. فقلت : نعم ، ولكنى مُؤْتَمَن !.. فقال : (**ائْتِنِى بِشَاةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ**[٢]) .. فأتيتُه بعناق[٣] ، فاعتقلها رسول الله (ﷺ) ، فجعل يمسح الضرع ، ويدعو حتى أنزلت ، فأتاه « أبو بكر » بصخرة منقعرة فاحتلب فيها ، ثم قال لـــ « أبى بكر » : (**اشْرَب**) .. فشرب « أبو بكر » ، ثم شرب النبى (ﷺ) بعده ، ثم قال للضرع : (**اقْلِصْ**[٤] **بِإِذْنِ اللهِ**) .. فَقَلَصَ فعاد كما كان ، ثم أتيتُ فقلتُ : **يا رَسُولَ الله ، علِّمْنِى من هذا الكلام** – أو من هذا القرآن – فمَسَح رَأْسِى وقال : (**إِنَّكَ غُلاَمٌ مُعَلَّمٌ**) .. يقول « ابن مسعود » : **فَلَقَدْ أَخَذْتُ مِنْهُ (ﷺ) سَبْعِينَ سُورَةً مَا نَازَعَنِى فِيهَا بَشَرٌ ..**[٥]

ويقول (رضي الله عنه) عن نفسه : **لَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ (ﷺ) أَنِّى أَعْلَمُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ ، وما أَنَا بِخَيْرِهِمْ ، ولو أَنِّى أَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللهِ مِنِّى تُبَلِّغُنِيهِ الإِبِلُ لأَتَيْتُهُ ..**[٦]

---

[١] رواه الترمذى كتاب المناقب . [٢] أى لم يقربـــها ذَكَر ، ولا يمكن أن يكون بضرعها لبن .
[٣] أنثى الماعز الصغيرة . [٤] اقلص : اجتمع . [٥] رواه أحمد ، وابن حبان ، والطبرانى .
[٦] أسد الغابة لابن الأثير .

ولقد كان (رضي الله عنه) أوَّل من جهر بالقرآن فى « مَكَّة » بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .. فقد اجتمع أصحاب النبى (صلى الله عليه وسلم) يومًا فقالوا : **واللهِ ما سَمِعَتْ قُرَيْشٌ هذا القُرْآنَ يُجْهَرُ لَهَا بِهِ قَطُّ ، فَمَنْ رَجُلٌ يُسْمِعُهُمْ ؟** .. فقال « عبدُ الله بنُ مسعود » : **أَنَا** .. فقالوا : **إِنَّا نَخْشَاهُمْ عَلَيْك ، إِنَّمَا نُرِيدُ رَجُلاً لَهُ عَشِيرَةٌ تَمْنَعُهُ مِنَ الْقَوْمِ إِنْ أَرَادُوهُ !** .. فقال : **دَعُونِي ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَمْنَعُنِي** .. فغَدَا حتى أتى مقام إبراهيم فى الضحى ، وقريش فى أَنْدِيَتِهَا حول البيت ، فقرأ رافعًا صوته : (بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ .. ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ) .. وأخذ يتلو سورة « الرَّحْمَــن » فأخذ الناس يقولون : **ما يقول ابنُ أُمِّ عَبْدٍ ؟** ثم قالوا : **إِنَّهُ لَيَتْلُو بعضَ ما جاء به مُحَمَّد** .. فقاموا ، فجعلوا يضربون فى وجهه ، وجعل هو يقرأ .. ثم عاد إلى أصحابه وقد تأثَّر وجهه من كثرة الضرب ، فقالوا : **هَذَا الَّذي خَشِينَا عَلَيْكَ** .. فقال : **مَا كَانَ أَعْدَاءُ اللهِ قَطُّ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْهُمْ الآنَ ، وَلَئِنْ شِئْتُمْ غَادَيْتُهُمْ بِمِثْلِهَا غَدًا !**.. قالوا : **لا ، حَسْبُكَ ، لقد أسمعتَهم ما يَكْرَهُون** [1] ..

وقد هاجر (رضي الله عنه) الهجرتين إلى الْحَبَشَة ، ثم هاجر إلى المدينة المنوَّرة ، وشهد « بَدْرًا » وأجهز على « أبى جهل » فيها .. كما شهد « أُحُدًا » ، والمشاهد كُلَّها مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وكذلك بيعة « الرضوان » ، ثم شهد غزوة « اليرموك » بعد انتقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى الرفيق الأعلى ..

ويحكى لنا (رضي الله عنه) فيقول : قال لى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (**اقْرَأْ عَلَيَّ**) .. قال :

---

(1) سيرة ابن هشام .

قلت : أَقْرَأُ عَلَيْكَ ، وَعَلَيْكَ أُنْزِل ؟! .. قال (ﷺ) : (**إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي**) .. فقرأت عليه سورة « النساء » حتى بلغت : (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا)[1] .. فقال : (**أَمْسِكْ**) .. فإذا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ[2] ..

وتمضى الأيام .. ويُوفِدُه « عمرُ بنُ الخطاب » (رضي الله عنه) فى خلافته إلى الكوفة مع « عَمَّارِ بن ياسر » .. وكتب إلى أهلها : **أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّى قَدْ بَعَثْتُ عَلَيْكُمْ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ أَمِيرًا ، وعَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ مُعَلِّمًا ووَزِيرًا ، وهُمَا مِنَ النُّجَبَاءِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) ، مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ ، فَاقْتَدُوا بِهِمَا ، واسْمَعُوا قَوْلَهُمَا .. وقَدْ آثَرْتُكُمْ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَلَى نَفْسِى**[3] ..

وتأتى خلافة « عثمان بن عفان » (رضي الله عنه) ويرسل إلى « عبد الله بن مسعود » يستدعيه إلى المدينة .. ثم يمرض « عبد الله » .. ويدخل عليه « عثمان » يعوده ، ويقول له : **ما تَشْتَكِى ؟** .. قال : **ذُنُوبِى** .. قال « عثمان » : **فَمَا تَشْتَهِى ؟** .. قال : **رَحْمَةَ رَبِّى** .. قال « عثمان » : **أَلاَ آمُرُ لَكَ بِطَبِيبٍ ؟** .. قال : **الطَّبِيبُ أَمْرَضَنِي** .. قال « عثمان » : **أَلاَ آمُرُ لَكَ بعَطَاء ؟** .. قال : **لا حَاجَةَ لِي فِيه** .. قال : **يَكُونُ لِبَنَاتِكَ** .. قال : **أَتَخْشَى عَلَى بَنَاتِي الْفَقْرَ ؟! .. إِنِّى أَمَرْتُ بَنَاتِى أَنْ**

---

(١) سورة النساء الآيتان ٤١ ، ٤٢ .

(٢) رواه البخارى كتاب فضائل القرآن .

(٣) رواه ابن سعد فى الطبقات الكبرى .

يَقْرَأْنَ كُلَّ لَيْلَةٍ سُورَةَ الْوَاقِعَة ، إِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) يقول : (مَنْ قَرَأَ الْوَاقِعَةَ كُلَّ لَيْلَةٍ لَمْ تُصِبْهُ فَاقَةٌ أَبَدًا)[١] ..

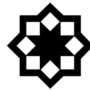
وتقترب النهاية ، وقد بلغ من العمر بضعة وستين عامًا ، فيدخل عليه رجل من أصحابه ، ويقول له : لا تَعْدَم حَالِمًا مُذَكِّرًا ، رَأَيْتُكَ الْبَارِحَةَ ، ورَأَيْتُ النَّبِىَّ (ﷺ) عَلَى مِنْبَرٍ مُرْتَفِعٍ ، وأَنْتَ دُونَهُ ، وهو يقول : (**يَابْنَ مَسْعُودٍ ، هَلُمَّ إِلَيَّ فَلَقَدْ جُفِيتَ بَعْدِى**) .. فقال له « ابن مسعود » : **آللهِ لأَنْتَ رَأَيْتَ هَذَا ؟!**.. قال : نَعَمْ .. قال : **فَعَزَمْتُ عَلَيْكَ أَنْ لاَ تَخْرُجَ مِنَ الْمَدِينَةِ حَتَّى تُصَلِّي عَلَيَّ** .. [٢]

ثم ما لبث أيامًا حتى مات ، ودُفِن ليلاً تنفيذًا لوصيته .. وحين علم « أبو الدرداء » (رضي الله عنه) بموته قال : **ما تَرَكَ بَعْدَهُ مِثْلَه** .. [٣]

وتُطْوَى صفحة من صفحات خير القرون ، وينطفئ قَبَسٌ من نور الهدى .. تاركًا وراءه حصيلة عظيمة من أحاديث سَيِّدِ المرسلين (ﷺ) .. وآلافًا من القُرَّاءِ الذين أخذوا عنه قراءته ، ونَهَلوا من علمه المستنير على مَرِّ العصور ..

رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وأَرْضَاكَ يا صَاحِبَ النَّعْلَيْنِ والوِسَاد [٤] ..

وجَزَاكَ خَيْرَ ما جَازَى بِهِ مُعَلِّمًا للقُرْآن ، ولِسُنَّةِ سَيِّدِ الأَنَام (ﷺ)



---

[١] أُسد الغابة لابن الأثير ، والحديث رواه البيهقى فى شُعَب الإيمان .

[٢] أُسد الغابة لابن الأثير . [٣] أُسد الغابة لابن الأثير .

[٤] كان (رضي الله عنه) يحمل نعلي رسول الله (ﷺ) إذا جلس ، ويضع له الوسادة ليتكئ عليها .

العَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ (رضى الله عنه)

يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ ، إنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ ، وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا .. فَهُوَ فِي عِزَّة مِنْ قَوْمِه ، وَمَنَعَة فِي بَلَده .. وَإِنَّهُ قَدْ أَبَى إلاَّ الانْحِيَازَ إِلَيْكُمْ ، وَاللُّحُوقَ بِكُمْ ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ وَافُونَ لَهُ بِمَا دَعَوْتُمُوهُ إِلَيْه ، وَمَانِعُوهُ مِمَّنْ خَالَفَهُ ، فَأَنْتُمْ وَمَا تَحَمَّلْتُمْ مِنْ ذَلِك .. وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ مُسْلِمُوهُ ، وَخَاذِلُوهُ بَعْدَ الْخُرُوجِ بِهِ إِلَيْكُمْ ، فَمِن الآنَ فَدَعُوه [1] ..

تلك كانت مقالة « العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ » لوفد الأنصار المكوَّن من ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين .. الذين جاءوا لبيْعَة النبى (ﷺ) فى بَيْعَة « العقبة » الثانية ، وقد خرج النبى (ﷺ) إليهم سِرًّا ، ولم يكن معه سِوى « العَبَّاس بن عَبْد الْمُطَّلِب » الذى لم يكن قد أسْلَم بعد .. وحين أصرَّ الأنصار على استقبال الرسول (ﷺ) بالمدينة ومَنْعِه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأقَرُّوا بذلك للعباس .. قال لهم « العَبَّاس » : **صِفُوا لي الحرب ، كيف تقاتلون عدوكم** ؟ وكأنه يريد أن يُشعرهم بأن العرب سوف ترميهم عن قوس واحدة ، وأنَّهم لن يسمحوا للنبى (ﷺ) أن يستقرَّ بالمدينة ، وينشر دينه فى سائر جزيرة العرب ، حتى يتبيَّن لهم ما هُم مُقْبِلُون عليه باستقبالهم للنبى (ﷺ) فى ديارهم ..

---

[1] سيرة ابن هشام .

فوقف « عَبْدُ اللّٰه بنُ عَمْرو بن حرام » (رضي الله عنه) يجيب « العَبَّاس » عن تساؤله بقوله : **نحن والله أهْلُ الْحَرْب ، غُذينا بِهَا ، ومُرِّنَّا عليها ، وورثناها عن آبائنا كابِرًا فكابِرًا .. نَرْمِي بالنَّبْل حتى تَفْنَى ، ثم نُطاعِن بالرِّماح حتى تُكْسَر ، ثم نمشي بالسُّيُوف فنُضَارِب بِهَا حتى يموت الأَعْجَل منا أو من عَدُوِّنا** .. فقال « العَبَّاس » : **أنتم أصْحاب حَرْب .. فهل فيكم دُرُوع ؟** .. قالوا : **نعم** ، **شاملة** .. وتمت بيعة « العقبة » الثانية ، واستعدَّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) للهجرة إلى المدينة .. [1]

وهاجر النبى (صلى الله عليه وسلم) ، وبقى « العَبَّاس » بمكة ، يتقوَّى به المستضعفون من المسلمين .. فقد كان (رضي الله عنه) رئيسًا فى قريش ، وكانت له عمارة المسجد الحرام ، والسقاية [2] ، وَصُولا لأرحام قُرَيْش ، مُحْسِنًا إليهم ، ذا رأى سديد ، وعقل راجح ، وكانت أُمُّه أول عربيَّة كست الكعبة بالحرير والديباج ، وأصناف الكسوة وفاءً لنذر نذرته حين ضاع منها « العَبَّاس » وهو صغير فوجدته ، ووفت بنذرها لذلك ..

وجاءت غزوة « بَدْرٍ » .. ونادى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى أصحابه : (**مَنْ لَقِيَ العَبَّاسَ بْنَ عَبْد الْمُطَّلِب فَلا يَقْتُله ، فإِنَّهُ إِنَّمَا أُخْرِجَ مُسْتَكْرَهًا**)[3] ، ودارت الدائرة على المشركين ، ونصر الله رسولَه (صلى الله عليه وسلم) والمؤمنين ، وأُسِرَ « العَبَّاسُ بنُ عَبْد المطَّلِب » فِيمَنْ أُسِرَ ، وشُدَّ وثاقه .. فسهر النبى (صلى الله عليه وسلم) تلك الليلة و لم ينم ، فقال له

---

(1) رواه ابن سعد فى الطبقات الكبرى .
(2) مسئولا عن زمزم ، مسئولا عن احترام المسجد الحرام وتوقيره ، وتأمين زُوَّاره .
(3) رواه البيهقي فى دلائل النبوة ، وذكره ابن هشام فى سيرته .

بعض أصحابه : **ما يسهرك يا نَبِيَّ الله ؟** .. فقال : (**أَسْهَرُ لأَنِينِ الْعَبَّاس**) .. فقام رجل من القوم فأرخى وثاقه .. فقال رسول الله (ﷺ) : (**مَا لِى لا أسْمَعُ أَنِينَ العَبَّاسِ ؟**) .. فقال الرجل : **أنا أرخيت وثاقه** .. فقال الرسول (ﷺ) : (**فَافْعَلْ ذَلِكَ بالأَسْرَى كُلِّهِم**) .. [1]

ويصبح الصباح ، ويُؤتَى بـــ « العَبَّاس » فيقول له النبى (ﷺ) : (**يَا عَبَّاسُ ، افْدِ نَفْسَكَ ، وَابْنَي أَخَوَيْكَ : عَقِيلَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، وَنَوْفَلَ بْنَ الْحَارِث**)[2] .. ويحاول « العَبَّاس » أن يتملَّص من ذلك بدعوى أنه خرج مُكْرَهًا .. ويَأْبى رسولُ الله (ﷺ) إلا الفداء .. وينـــزل قول الله عز وجل : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرًا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ)[3] ..

ويعود « العَبَّاس » إلى مَكَّة مع أسارى « بَدْر » ، ويُفَكِّر جدِّيًّا فى الهجرة ، ويستأذن رسولَ الله (ﷺ) فى ذلك ، فيقول له النبى (ﷺ) : (**يَا عَمّ ، أَقِمْ مَكَانَكَ الَّذى أنْتَ بِهِ ، فإِنَّ الله تعالى يَخْتِمُ بِكَ الْهِجْرَةَ كَمَا خَتَمَ بِى النُّبُوَّةَ**)[4] ..

وتتحقَّق نبوءة النبى (ﷺ) ويهاجر « العَبَّاس » قبل فتح مكة مباشرة ، وتختم بِهجرته (رضي الله عنه) الهجرة ..

ويشهد « العَبَّاس » (رضي الله عنه) فتح مكة مع رسول الله (ﷺ) .. ويدخل النبى

---

(١) أُسد الغابة لابن الأثير .
(٢) أُسد الغابة لابن الأثير .
(٣) سورة الأنفال آية ٧٠ .
(٤) أُسد الغابة لابن الأثير .

(ﷺ) الكعبة ، ويُصَلِّى بداخلها ، وينتظره « العَبَّاس » على الباب مؤمِّلاً فى الحصول على مفتاح الكعبة ليحوز شرف السِّدَانة [1] ، ويخرج النبى (ﷺ) من الكعبة ، فيبادره « العَبَّاس » قائلا : **يا رسول الله ، أعطنى المفتاح واجمع لى السدانة مع السقاية** .. ويَنْزِل جبريل (عليه السلام) على النبى (ﷺ) بقول الله عز وجل : (إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا)[2] .. فينادى الرسول (ﷺ) « عثمان بن طلحة » سادن الكعبة فيعطيه المفتاح قائلاً له : (**خُذُوهَا يا بَنِي أبِي طَلْحَة خَالِدَةً تَالِدَةً ، لا يَنْزِعُها مِنْكُمْ إلاَّ ظَالِمٌ**)[3] ..

وتأتى غزوة « حُنَيْن » ، ويخرج النبى (ﷺ) فى اثنى عشر ألف مقاتل : عشرة آلاف جاءوا من المدينة وشهدوا فتح مكّة ، وألفان من أهل مكة الذين أسلموا يوم الفتح ..

ويتربَّص المشركون فى وادى « تِهَامَة » وقد جمعوا القبائل من « ثَقِيف » ، و« غَطَفان » ، وخرجوا بأموالهم ، ونسائهم لهذه المعركة الفاصلة .. فقد فُتِحَتْ مكَّة ، وأسْلَمَت قُرَيْش ، وسوف يتبَعُهَا العرب جميعًا ما لم تستأصل شأفة المسلمين فى هذه المعركة ، أو يهلكوا عن آخرهم بنسائهم ، وأبنائهم ، إذ لا مجال للفرار ..

ويحدث اللقاء وقد اغترَّ بعض المسلمين بأنفُسِهم فقالوا : **لَنْ نُغْلَبَ الْيَوْمَ مِنْ**

---

(1) السِّدانة : الاهتمام بالكعبة ، والعناية بـــها .
(2) سورة النساء آية ٥٨ .
(3) الإصابة لابن حجر .

قلّة (1) .. وتدور الدائرة عليهم ليعلموا أن النصر من عند الله ، وليس بكثرة العَدَد أو العُدَد ، ويفِرُّ الناس من حول رسول الله (ﷺ) ، ولا يثبت معه إلا قِلّة منهم « العبَّاس بن عبد المطلب » الذى كان يأخذ برَسَنِ بغلته .. وينادي النبى (ﷺ) : (**إِلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ ، أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِب ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِب**)(2) .. وينادى « العبَّاس » ، وكان جهورى الصوت : **يَا أَصْحَابَ السَّمُرَةِ** (3) .. **يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ** (4) .. ويتردَّد صوته فى جنبات الوادى ، فيفيء المسلمون ، ويعودون إلى رسول الله (ﷺ) ، ويتحقَّق النصر بفضل الله .. وفى هذا يقول الله عز وجل : (لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ)(5) ..

ويعود النبى (ﷺ) إلى المدينة المنوَّرة ، ومعه المهاجرون والأنصار ليتمَّ تأسيس أوَّل دولة إسلامية على الأرض ، ويلازم « العباس بن عبد المطلب » (رضي الله عنه) رسولَ الله (ﷺ) لا يفارقه .. ويبين النبى (ﷺ) للناس فضل « العباس » فيشير إليه ويقول : (**هَذَا العَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِب ، عَمُّ نَبِيِّكُم أَجْوَدُ قُرَيْشٍ كَفًّا ، وأَوْصَلُهَا**)(6) ..

(1) سيرة ابن هشام .
(2) ورد بنحوه فى عيون الأثر لابن سيد الناس .
(3) أي يا أصحاب بيعة الرضوان .
(4) رواه مسلم كتاب الجهاد والسير .
(5) سورة التوبة الآيتان ٢٥ ، ٢٦ .
(6) رواه الطبراني فى المعجم الأوسط .

ويقول : (**لا تُؤْذُونِي في عَبَّاسٍ فإنه بَقِيَّةُ آبائي**)[1] .. نعم فقد كان « العباس » عم رسول الله (ﷺ) ، وصنو أبيه ، وكان أسنَّ من رسول الله (ﷺ) بسنتين أو ثلاث ..

وفى يوم من الأيام يدخل « العباس » (رضي الله عنه) على رسول الله (ﷺ) مُغْضَبًا فقال له : (**مَا أَغْضَبَكَ ؟**) فقال : **يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا لَنَا وَلِقُرَيْشٍ !! إِذَا تَلاقَوْا بَيْنَهُمْ تَلاقَوْا بِوُجُوهٍ مُبْشَرَةٍ ، وَإِذَا لَقُونَا لَقُونَا بِغَيْرِ ذَلِكَ** .. فغضب رسول الله (ﷺ) حَتَّى احْمَرَّ وَجْهُهُ ثُمَّ قَال : (**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لاَ يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ الإِيمَانُ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ**) .. ثم قال : (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، مَنْ آذَى عَمِّي فَقَدْ آذَانِي ، فَإِنَّمَا عَمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ**)[2] ..

ويقول النبى (ﷺ) مرة أخرى مُبيِّنًا فضل « العباس بن عبد المطلب » : (**إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلاً كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ، وَمَنْزِلِي وَمَنْزِلُ إِبْرَاهِيمَ تُجَاهَيْنِ فِي الْجَنَّةِ ، وَمَنْزِلُ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِب بَيْنَنَا .. مُؤْمِنٌ بَيْنَ خَلِيلَيْنِ**)[3] ..

وتمضى الأيام .. وينتقل الرسول (ﷺ) إلى الرفيق الأعلى .. ويتقبَّل « العباس » العزاء فيه .. ويحظى بتقدير الصحابة (رضوان الله عليهم) واحترامهم ، فيقدمونه ، ويستشيرونه ، ويأخذون برأيه ..

ويأتى عام الرمادة فى خلافة « عمر بن الخطاب » (رضي الله عنه) ويشتدّ القحط

---

(1) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل .
(2) رواه الترمذى كتاب المناقب .
(3) رواه ابن ماجه بنحوه ، وذكره ابن الأثير فى أُسد الغابة .

بالناس ، وتجدب الأرض ، ويمتنع المطر .. ويخرج « عمر » بالناس لصلاة الاستسقاء ، ويأخذ « العباس » معه ، ثم يتوجَّه إلى الله قائلا : **اللَّهُمَّ إنَّا كُنَّا إذَا قُحطنا عَلَى عَهْدِ نَبِيِّكَ اسْتَسْقَيْنَا بِهِ فَتَسْقِينَا ، وإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّكَ فَاسْقِنَا** [1] .. فلم يلبث إلا قليلا ، ولم يتحرك أحد من مكانه ، حتى أمطرت السماء مطرًا شديدًا .. فقال « عمر » : **هَذَا واللهِ الوَسِيلَةُ إِلَى اللهِ ، والْمَكَانُ مِنْهُ** [2] .. ويلتفُّ المسلمون حول « العَبَّاسِ » يقبِّلونه ، ويتمسَّحون به مُتبرِّكينَ ، ويقولون له : **هَنِيئًا لَكَ سَاقِي الْحَرَمَيْن .. هَنِيئًا لَكَ سَاقِي الْحَرَمَيْن** [3] .. فصار ذلك لقبًا له .. وينفعل « حسان بن ثابت » شاعر النبى (ﷺ) بالموقف فينشد قائلا :

سَأَلَ الإِمَــامُ وقد تتابع جَدْبُنــا فَسَقَى الغَمَــام بِغُــرَّة العَبَّــاسِ
عَمِّ النَّبِــيِّ وصِنْــو والِدِه الذى ورثَ النَّبِــيَّ بِذَاك دُونَ النَّــاسِ
أحْيَــا الإِلَــهُ به البلادَ فأصْبَحَتْ مُخْضَرَّةَ الأجْنَابِ بَعْدَ اليَــاسِ [4]

وتدور الأيام .. وتأتى خلافة « عُثْمَان بن عَفَّان » ، والكل يعرف للعَبَّاسِ بن عَبْد المطَّلب فَضْلَه .. وكَبرَ « العباس » ، وضعف بصره ضعفًا شديدًا حتى أضر ، وبلغ من العمر ثمانىَ وثمانين سنة .. وإذا بصارخ فى صبيحة يوم جمعة يصرخ : **رَحِمَ اللهُ مَنْ شَهِدَ العَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلب** [5] .. فعلم الناس أن « العباس »

---

(1) رواه ابن عساكر . (2) أُسد الغابة لابن الأثير . (3) أُسد الغابة لابن الأثير .
(4) أُسد الغابة لابن الأثير . (5) رواه ابن سعد فى الطبقات الكبرى .

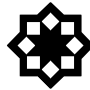
(﵁) قد مات ، فخرجت المدينة عن بكرة أبيها للصلاة عليه ، وعلى رأسهم « عُثْمَان بن عفان » (﵁) .. ودُفِن (﵁) بالبقيع إلى جوار آل البيت الكرام ..

وصعدت روح عم النبى (ﷺ) إلى بارئها .. إلى مقام لا يدانيه مقام .. **مُؤْمِنٌ بَيْنَ خَلِيلَيْنِ ..**

وترك خلفه عشرة من الأبناء سوى الإناث .. منهم : « عبد الله بن عباس » حَبْر الأمة ، و« الفضل » ، و« قثم » ، و« عُبَيْد الله » ..

وكان (﵁) طويلاً جميلاً أبيض بضًّا ، ذا ضفيرتين ..

سَلاَمٌ عَلَيْكَ يَا عَمَّ النَّبِيِّ (ﷺ) وصِنْو أَبِيه .. سَلاَمٌ عَلَيْكَ سَاقِى الْحَرَمَيْن .. سَلاَمٌ عَلَيْكَ يَا أَبَا الفَضْل .. يا مَنْ رَوَيْتَ عن رسول الله (ﷺ) قوله : (ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ : مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً)[1] ..



[1] رواه مسلم كتاب الإيمان .

أَبُـو أَيُّوبَ الأَنْـصَارِيّ (رضى الله عنه)

خرجت المدينة عن بَكْرَةِ أبيها ، تستقبل رسول الله (ﷺ) والكُلُّ فى شوق عارمٍ إلى رُؤْيته ، والتطلُّع إليه .. فقد آمنوا به ، وصدَّقوه .. دون أن يروه ، أو يسمعوه .. وقد طال انتظارهم لهجرته وانضمامه إليهم ، والعيش بين ظهرانيهم .. وها هو أخيرًا قادم إليهم بعد أن أَذِنَ الله له ، وكُلٌّ منهم يحدِّث نَفْسَه ويمنِّيها بشرف استضافته ، والقيام بخدمته ..

ويدخل رسول الله (ﷺ) على ناقته تُهَادَى [1] به ، وقد ترك زمامها لتَسير دون توجيه .. وينتهز الناس تلك الفُرْصة ، فيأخذون بخطام الناقة قائلين : **هَلُمَّ إِلَى العَدَدِ ، والْعُدَّةِ ، والْمَنَعَةِ يا رَسُولَ الله** .. فيقول (ﷺ) : (**خَلُّوا سَبِيلَهَا ، فَإِنَّهَا مَأْمُورَة**)[2] .. فيسارعون بترك زمامها طائعين ، ويَمُرُّ الرَّكْب المبارك على قبيلة « بَنِى سَالِمِ بن عَوْف » ، ثم « بنى بياضة » ، ثم « بنى سَاعِدَة » ، وتتكرر المحاولات .. ثم يَمُرُّ على « بنى عَدِىٍّ بن النَّجَّار » الذين يحدوهم الأمل فى ذلك الشرف العظيم ، فهم أخواله ، وأحقُّ الناس به .. فيقولون : **هَلُمَّ إِلَى أَخْوَالِكَ يَا رَسُولَ الله** .. فيقول (ﷺ) : (**خَلُّوا سَبِيلَهَا ، فَإِنَّهَا مَأْمُورَة**)[3] .. ويصل الرَّكْب

[1] تُهَادَى : تمشى فى تمايل وسكون .

[2] رواه ابن سعد فى الطبقات الكبرى .

[3] سيرة ابن هشام .

إلى ديار « بَنِى مَالِكِ بن النَّجَّار » حيث تبرك الناقة من تلقاء نَفْسها ، ثم تقوم وتدور دورة ، ثم تعود إلى مكانِها الأوَّل فتبرك فيه وتستقر .. وهنا يندفع رجل من بين الجموع ، فيأخذ متاع رسول الله (ﷺ) ، ويحمل الرَّحْل من على الناقة ، ويدخل به بيته [1] .. ذلك هو : « خَالِدُ بْنُ زَيْدِ بن كُلَيْب » المعروف بـــ « أَبى أَيُّوب الأَنْصَارِىّ » ، الذى كان من حُسْن طالعه أن تَبْرُك الناقة قريبًا من بيته .. ويحيط أفراد « بنى مالك بن النجار » برسول الله (ﷺ) فَرحين مُسْتبشرين بنـــزوله عليهم ، والكُلُّ يدعوه إلى داره فيقول (ﷺ) : (**الْمَرْءُ مَعَ رَحْلِهِ** [2]) [3] ..

وهكذا فاز « أبو أيوب الأنصارى » (رضي الله عنه) باستضافة رسول الله (ﷺ) فى بيته ريثما يُبنَى المسجد وحجرات أمهات المؤمنين ..

وكان منـــزل « أبى أيوب » مُكَوَّنًا من طابقين ، فنـــزل رسول الله (ﷺ) فى الطابق الأرضي ، وصعد « أبو أيوب » (رضي الله عنه) وامرأته إلى الطابق العُلْوي .. وما كاد يضع جَنْبَه على فراشه حتى هَبَّ واقفًا ، إذ كيف ينام فى الغرفة العُلْيا ، ورسول الله (ﷺ) تحته .. وزاد من حَرَج موقفه أن انسكب بعض الماء على الأرض ، فخشى أن يتسرَّب إلى الغرفة السُّفْلية التى ينام فيها النبى (ﷺ) ، فأخذ يجفِّف الماء هو وامرأته بقطيفة له ، ويدعو الله أن لا يخلص منه شىء إلى رسول الله (ﷺ) .. حتى أصبح الصباح ، فنَزَل مُسْرِعًا إليه ، وقال : **يا رَسُولَ الله .. إِنَّهُ لَيْسَ**

---

[1] رواه بنحوه ابن سعد فى الطبقات الكبرى .
[2] رَحْلِه : متاعه .
[3] رواه ابن سعد ، وابن عساكر .

يَنْبَغِى أَنْ نَكُونَ فَوْقَكَ ، فانتقلْ إلى الغُرْفَةِ العُلْوِيَّة .. فوافق رسول الله (ﷺ) ونقل متاعه ، ونزل « أبو أيوب » وامرأته إلى الطابق السُّفْلي .. [(١)]

وكان الطعام يُقَدَّم لرسول الله (ﷺ) فيأكل منه ، ثم يرسله إلى « أبى أيوب » الذى يتتبَّع أَثَرَ أصابع الرسول (ﷺ) فيأكل من حيث أكل .. حتى نزلت إليه الصحْفَةُ يومًا ولا أثر لأصابع رسول الله (ﷺ) فيها ، فصعد إليه « أبو أيوب » (رضي الله عنه) خائفًا وَجِلاً وقال : **يا رَسُولَ الله ، كُنْتَ تُرْسِلُ إِلَىَّ بالطَّعَامِ ، فأَنظُرُ ، فإذَا رَأَيْتُ أَثَرَ أَصَابِعِكَ وَضَعْتُ فِيهِ يَدِى .. حَتَّى كَانَ هَذَا الطَّعَامُ الَّذِى أَرْسَلْتَ بِهِ إِلَىَّ .. فَنَظَرْتُ ، فَلَمْ أَرَ أَثَرَ أَصَابِعِك** .. فقال (ﷺ) : (**أَجَلْ ، إِنَّ فِيهِ ثُومًا ، فَكَرِهْتُ أَنْ آكُلَ مِنْ أَجْلِ الْمَلَكِ ، وأَمَّا أَنْتُمْ فَكُلُوا**)[(٢)] ..

ذلك « أبو أَيُّوب الأنصارى » الذى شهد بيعة « العَقَبة » ، وآخى النبى (ﷺ) بَيْنَهُ وبَيْنَ « مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْر » أَوَّل سَفِير فى الإسلام ، وأوَّل مَنْ هاجر إلى المدينة لِيُفَقِّه أهلها ، ويُعَلِّمهم القرآن ..

وعلى قَدْرِ حُبِّ « أبى أيوب » للقرآن كان مُحِبًّا للغزو والجهاد فى سبيل الله .. فشهد جميع الغزوات مع رسول الله (ﷺ) .. وكذلك فى عهد الْخُلَفاء الرَّاشِدِين .. وما تخلَّف (رضي الله عنه) عن غزوٍ قط ، حتى بعد ما كَبِرت سِنُّه .. وكان يقول فى ذلك : إنَّ الله يقول : (ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ

---

(١) رواه بنحوه ابن عساكر ، وابن الأثير فى أُسد الغابة .

(٢) رواه ابن عساكر ، وابن الأثير فى أُسد الغابة .

وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1] **فلاَ أَجِدُنِى إِلاَّ خَفِيفًا** [2] ، **أو ثَقِيلاً** [3].. [4] هكذا كان يَفْهم الآية ..

ولقد تخلَّف عن غَزْوة وَاحِدَة فى عهد أَحَدِ الْخُلَفَاء ، معترضًا على إمارة الجيش التى أُسْنِدَت إلى شاب ، وهو فى هذه السِّن الكبيرة ، وشهد ما شهد من الحروب والغزوات ، وظلَّ يندم على ذلك طول عمره ويقول : **وَمَا عَلَيَّ مَنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيَّ ؟!!** [5]

ولقد كان (رضي الله عنه) مُحِبًّا لآل بيت النبى (صلى الله عليه وسلم) ولــ « عليّ بن أبى طالب » (رضي الله عنه) ، فانضم إليه فى وقعة « الْجَمَل » ، و« صِفِّين » .. وفى كُلِّ حروبه حتى كان عهد « مُعَاوِيَة بن أبى سُفْيان » فخرج فى جيش « يَزِيد بن مُعَاوِيَة » لقتال الروم وغزو « القُسْطَنْطِينِيَّة » ، وبالقرب منها مرض مرضًا شديدًا ، فدخل عليه « يَزِيد بن مُعَاوِيَة » يعوده ، فقال له : **مَا حَاجَتُكَ ؟** .. قال (رضي الله عنه) : **حَاجَتِي : إذا أنَا مِتُّ ، فَارْكَبْ بِي ، ثُمَّ سُغْ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ مَا وَجَدْتَ مَسَاغًا** [6] ، **فإذا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا فَادْفِنِّي ، ثُمَّ ارْجِع ..** [7]

وصعدت روحه (رضي الله عنه) إلى بارئها ، ونفَّذ « يَزِيد » وصيَّته ، وأخذ كوكبة من أشجع فرسانه ، وتوغَّل فى أرض العدُوِّ ليلاً حيث دفنوه ، ثم أمر الفرسان فأقبلوا

---

[1] سورة التوبة آية ٤١ .
[2] خفيفًا : شابًّا .
[3] ثقيلاً : كبير السن .
[4] رواه الحاكم ، وذكره الطبرى فى تفسيره .
[5] معرفة الصحابة لأبى نعيم .
[6] أَي ادخل فيها ما وجدْت مدخلاً .
[7] رواه الحاكم فى المستدرك ، وذكره ابن الأثير فى أسد الغابة .

وأدبروا بخيلهم على القبر حتى عفا أثره ، ثم عادوا إلى مواقعهم .. [١]

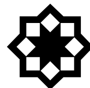
وأصبح الصباح ، وحاول بعض الروم أن يعرفوا ما حدث بالليل ، وماذا كان يصنع هؤلاء الفرسان المسلمون .. فأرسل « يَزِيد » إليهم مَنْ يقول : **هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَكَابِرِ أَصْحَابِ نَبِيِّنا (ﷺ) وأَقْدَمِهِمْ إِسْلامًا ، وقد دَفَنَّاهُ حيثُ رَأَيْتُمْ ، وواللهِ لَئِنْ نُبِشَ قَبْرُهُ فلَنْ يُضْرَبَ لَكُمْ نَاقُوسٌ فِى أَرْضِ العَرَبِ ما كَانَتْ لنا مَمْلَكَة ..** [٢]

وصمدت « القُسْطَنْطِينِيَّة » فى وجه المسلمين قرونًا بعد ذلك ، حتى فتحها السلطان العثمانى « محمد الثانى » عام ١٤٥٣م ، وجعلها عاصمة ملكه ، وسَمَّاها « استنبول » ، وأصبح قبر « أبى أيوب الأنصارى » فى أرض المسلمين ، بعد أن كان فى أرض أعدائهم .. وقد روى بعض العلماء أن الناس على اختلاف أديانهم إذا قحطوا ، وأصيبوا بالجفاف ذهبوا إلى قبره (رضي الله عنه) ، وكشفوا بعضًا من ترابه ، فإذا بالمطر ينـــزل عليهم مدرارًا .. [٣]

رَضِىَ اللَّهُ عَنْكَ أبا أَيُّوب وأَرْضَاك ..

ورَفَعَ مَقَامَكَ فِى عِلِّيِّينَ مع النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ..

وحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ..



[١] أُسد الغابة لابن الأثير .
[٢] أُسد الغابة لابن الأثير .
[٣] أُسد الغابة لابن الأثير .

أُبَيٌّ بنُ كَعْبٍ (رضى الله عنه)

حين بايع الأنصارُ رسولَ الله (ﷺ) بيعة « العَقَبَةِ الأُولى » بمكَّة قبل الْهِجْرة ، كان « أُبَيُّ بنُ كَعْب » (رضي الله عنه) من بَيْن المبايعين ، وحين وصل « مُصْعَبُ بنُ عُمَيْر » (رضي الله عنه) إلى المدينة لِيُفَقِّه أَهْلَهَا فى دينهم ، ويعلِّمهم القُرْآن كان من أَلْصَق الناس به ، فقد اختلط حبُّ القُرآن بِدَمِه .. وكان حَسَنَ الصوت ، مُحْكِمًا للقراءة ..

وفى العام التالى عاد « أُبَيُّ بنُ كعب » (رضي الله عنه) مع وفْد الأَنصار لبَيْعَة « العَقَبَة الثانية » ..

وبعد أن هاجر النَّبِىُّ (ﷺ) إلى المدينة ، كان « أُبَيُّ بنُ كعب » أوَّل مَنْ كَتَبَ له الوَحْى [1] .. وفى يوم من الأيَّام استدعاه النبىُّ (ﷺ) وقال له : **إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ** : (لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ) **سورة البَيِّنَة** .. فقال « أُبَىٌّ » متسائلاً : **آللَّهُ سَمَّانِي لَكَ** ؟ .. قال النبى (ﷺ) : (**نَعَمْ**) .. فَجَعَلَ « أُبَيٌّ » يَبْكِي [2] .. ولما سأله أحد الصحابة : **أَفَرِحْتَ بِذَلِكَ** ؟!.. أجابه قائلاً : **وَمَا يَمْنَعُنِى ، والله يقول** : (قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ)[3] .. [4]

---

[1] الاستيعاب لابن عبد البر .

[2] رواه أحمد والبخارى ومسلم .

[3] سورة يونس آية ٥٨ .

[4] رواه الحاكم فى المستدرك .

ويلازم « أُبىُّ بنُ كَعْب » رسولَ الله (ﷺ) ، ولا يفارقه فى سَفَرٍ ولا حَضَرٍ ، ويشهد معه جميع غزواته ، ويَقْسِم وقته بين الجهاد فى سبيل الله ، والجهاد فى حفظ القرآن ، وتعلُّم أحكامه حتى أَجَازَ له الرسول (ﷺ) الفَتْوى فى أمور الدِّين .. فكان أَحَدَ الثلاثة الذين لهم الحقُّ فى ذلك من الأنصار فى عهد رسول الله (ﷺ) ، وهم : « **أُبىُّ بن كعب** » ، و« **زَيْد بن ثابت** » ، و« **مُعَاذُ بن جَبَل** » .. كما كان أحد الأربعة الذين أمرنا النبى (ﷺ) أن نأخذ القرآن عنهم ، إذ يقول (ﷺ) : (**خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَة : مِنْ : عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ ، ومُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، وأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ**) .. [1]

ولقد شَهِدَ له رسول الله (ﷺ) بأَنَّه أَقْرَأُ الأُمَّة إذ قال : (**أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي : أَبُو بَكْرٍ .. وَأَشَدُّهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ : عُمَرُ .. وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً : عُثْمَانُ .. وَأَقْضَاهُمْ : عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .. وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ : أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ .. وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلاَلِ وَالْحَرَامِ : مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ .. وَأَفْرَضُهُمْ** [2] **: زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ .. أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا ، وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ : أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ**)[3] ..

وقد سَأَلَهُ رسول الله (ﷺ) يومًا : (**أَيُّ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَعْظَمُ ؟!**) .. قال : **اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ** .. فَرَدَّدَهَا (ﷺ) مِرارًا ، ثُمَّ قَالَ « أُبىُّ بنُ كَعْب » : **آيَةُ الكُرْسِيِّ ، يَا رَسُولَ الله** .. فضربه (ﷺ) بيَده فى صَدْره وقال : (**لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ**

---

[1] رواه البخارى كتاب المناقب .
[2] أى أعلمهم بعلم الفرائض (المواريث) .
[3] رواه ابن ماجه فى المقدمة .

أَبَا الْمُنْذِرِ)[١] .. وقد صارت كلمة « **أبى الْمُنْذِر** » كُنْية لهذا الصحابى الجليل ، بعد ما أطلقها عليه رسول الله (ﷺ) ..

وكان « عُمَرُ بنُ الخطاب » (رضي الله عنه) يُكَنِّيه بـــ « أبى الطُّفَيْل » باسم ابنه « الطُّفَيْل » ، ويقول عنه : **أُبَىٌّ سَيِّدُ الْمُسْلِمين ..** [٢]

وحين جاءت خلافة « عمر بن الخطاب » ، وسنَّ أن يُؤدِّىَ المسلمون صلاةَ القيام فى رمضان جماعة ، أَمَرَ « أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ » أن يُصلِّى بِهِم باعتباره أقرأ الأُمَّة [٣] .. فكان يقرأ القرآن كُلَّه فى صلاة التراويح ، فيصحِّح الْحُفَّاظ – من الصحابة والتابعين – قراءتَهم على قراءته .. وما من قارئ للقرآن إلى أن تقوم الساعة إلا وقد نال قَبَسًا من نور قراءة « أُبىِّ بنِ كعب » ، ونال « أُبَىُّ بنُ كعب » حظًّا من الثواب دون أن ينقص ذلك من ثواب القارئ شيئًا ..

وقد اختُلف فى تاريخ وفاته (رضي الله عنه) ، فمن المؤرِّخين مَنْ يقول إنه توفِّي فى خلافة « عمر » (رضي الله عنه) ، ومنهم مَنْ يقول إنه توفِّي فى خلافة « عثمان » (رضي الله عنه) .. وعلى أيّ حال فقد صعدت روحه الطاهرة إلى أعلى المنازل لحفظه كتاب الله ، واتقان تلاوته ، مما جعل « عمر بن الخطاب » (رضي الله عنه) يجعله إمامًا للصحابة والتابعين فى صلاة القيام فى رمضان فى مسجد رسول الله (ﷺ) ..

رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وأَرْضَاكَ يا أبَا الْمُنْذِر ..

وجَزَاكَ خَيْرًا عَنْ كُلِّ قَارِئٍ للقُرْآنِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَة ..

---

(١) رواه أحمد ومسلم والبيهقى . (٢) أُسد الغابة لابن الأثير . (٣) فتح البارى لابن حجر .

أَبُـو الدَّرْدَاء (رضى الله عنه)

أسْلَمَ « عُوَيْمِرُ بن عامر » المشهور بـــ « أبى الدَّرْدَاءِ » بعد غزوة « بَدْر » ، وشهد غزوة « أُحُد » مع رسول الله (ﷺ) ، ثم شهد المشاهد كُلَّها معه .. وعلى رغم أن إسلامه جاءَ متأخِّرًا ، إلا أنه سَبَقَ مع السابقين بكَثْرة عِبادته ، وزُهْده فى الدنيا ، وتفكُّرِه فى آيات الله ، حتى قال عنه رسول الله (ﷺ) : (**عُوَيْمِرُ حَكِيمُ أُمَّتِى**)[1] ..

وقد آخى الرسول (ﷺ) بينه وبين « سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ » .. ويقول « عويمر » عن نَفْسه : **بُعِثَ النَّبِيُّ (ﷺ) وأنا تَاجِرٌ ، فَأَرَدْتُ أَنْ تَجْتَمِعَ لِىَ العبَادَةُ والتِّجَارَةُ ، فلَمْ يَجْتَمِعَا .. فَرَفَضْتُ التِّجارَةَ ، وأَقْبَلْتُ عَلَى العبَادَة .. وما أُحِبُّ أَنَّ لِي الْيَوْم حَانُوتًا عَلَى بَابِ الْمَسْجِد لا يُخْطِئُني فيه صَلاَةٌ ، أَبِيعُ وأَشْتَرِي فَأُصِيب كُلَّ يَوْمٍ ثَلاثَمائة دِينَار .. ما أقولُ : إِنَّ الله عَزَّ وجَلَّ لَمْ يُحِل الْبَيْعَ ويُحَرِّم الرِّبَا ، ولكن أُحِبُّ أن أكونَ مِنَ الَّذِينَ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ ولا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ الله ..** [2]

كان ذلك شعار « أبى الدرداء » (رضي الله عنه) ، فعاش حياته مُتَفَكِّرًا مُتَأَمِّلاً زَاهِدًا يقول : **تفكُّرُ سَاعَةٍ خَيرٌ مِن قِيَامِ لَيْلَة ، ومِثْقَالُ ذَرَّة من بِرٍّ صَاحِبِ تَقْوَى ويَقِينٍ أَعْظَمُ وأَفْضَلُ وأَرْجَحُ مِنْ أَمْثَالِ الْجِبَالِ من عِبَادَة الْمُغْتَرِّينَ ..** [3]

ويدخل عليه أصحابه يومًا ، فإذا به ينام على فراش خشن من جلْدٍ .. فيقولون

---

[1] رواه ابن حجر فى المطالب العالية . [2] رواه أبو نعيم فى حلية الأولياء . [3] رواه أبو نعيم فى حلية الأولياء .

له : **لو شئْتَ لكانَ لك فِرَاشٌ أَلْيَنُ من ذلك وأطْيَبُ !!** فيشير إلى بعيد ، ويقول : **إِنَّ لَنا دَارًا لَهَا نَعْمَلُ ، وإِلَيْهَا نَظْعَنُ** [1] ، **والْمُخِفُّ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمُثْقِل ..** [2]

ولقد كان (رضي الله عنه) يدعو إلى المحبَّة ، والوئام ، والرِّفق فى الأمور كُلِّها .. فقد مَرَّ يومًا على بعض الناس ، وهم يسبُّون رَجُلاً أصاب ذنبًا فقال لهم : **أرأَيْتُمْ لو وَجدْتُمُوه فى قَلِيبٍ** [3] **أَلَمْ تَكُونُوا مُسْتَخْرِجِيهِ ؟؟** .. قالوا : **بَلَى** ، قال : **فَلاَ تَسبُّوا أَخَاكُمْ ، واحْمَدُوا الله الَّذِى عَافَاكُمْ** .. قالوا : **أَفَلاَ تُبْغِضُهُ ؟!**.. قال : **إِنَّمَا أُبْغِضُ عَمَلَهُ ، فإذا تَرَكَهُ فَهُوَ أَخِي ..** [4]

ولقد كان (رضي الله عنه) رَفِيقًا بالناس يشجِّعهم على العمل الصالح ، ولو كان قليلاً .. فيروى لهم قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ كُلَّ يَوْمٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ ؟!**) .. قَالُوا : **يَا رَسُولَ اللَّهِ ، نَحْنُ أَضْعَفُ مِنْ ذَاكَ وَأَعْجَزُ ..** قَالَ : (**فَإِنَّ اللَّهَ جَزَّأَ الْقُرْآنَ ثَلاثَةَ أَجْزَاءٍ ، فـ « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ » جُزْءٌ مِنْ أَجْزَائِهِ**) [5] ..

ومن دلائل زُهْدِه (رضي الله عنه) فى الدنيا أنه حين جاءه « مُعَاوِيَة بن أَبِي سُفْيَان » (رضي الله عنه) – وهو أمير للشام – يخطب ابنته لابنه « يزيد » ، أَبَى عليه ذلك ، وزوَّجها من رجل فقير من صُلَحاء المسلمين .. وحين عُوتِبَ من بعض إخوانه على ذلك قال : **ما ظَنُّكُم بِابْنَةِ أَبِي الدَّرْدَاءِ إذا قَام عَلَى رَأْسِهَا الْخِصْيَان ، ونَظَرَتْ فِي**

---

[1] نظعن : نذهب ونسير . [2] رواه ابن عساكر وابن أبي الدنيا . [3] قَلِيب : حفرة .
[4] رواه ابن عساكر . [5] رواه أحمد مسند القبائل .

بُيُوتٍ يَلْتَمِع مِنْهَا بَصَرُهَا ؟! أين دِينُها مِنْهَا يَومَئِذ ؟؟.. [1]

وكان (رضي الله عنه) يقول : (**لَيْسَ الْخَيْر أنْ يَكْثُرَ مَالُكَ ووَلَدُكَ ، ولَكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ ، ويَعْظُمَ حِلْمُكَ ، وأنْ تُبَاهِيَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَمِدْتَ اللَّهَ ، وإِنْ أَسَأْتَ اسْتَغْفَرْتَ اللَّهَ**)[2] ..

وقد كتب (رضي الله عنه) إلى رجلٍ من إخوانه خاف عليه حُبَّ ولده : (**أَمَّا بَعْدُ .. فَلَسْتَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا إلاَّ وقَدْ كان له أَهْلٌ قَبْلَكَ ، وهُوَ صَائِرٌ لَهُ أَهْلٌ بَعْدَكَ ، ولَيْسَ لَكَ مِنْهُ إلاَّ مَا قَدَّمْتَ لِنَفْسِكَ ، فآثِرْهَا عَلَى الْمُصْلِحِ مِنْ وَلَدِكَ ، فإِنَّكَ تُقْدِم عَلَى مَنْ لا يَعْذُرُكَ ، وتَجْمَعُ لِمَنْ لا يَحْمَدُكَ .. وإنَّمَا تَجْمَعُ لِوَاحِدٍ من اثْنَيْن : إِمَّا عَامِلٌ فِيه بِطَاعَةِ اللهِ ، فَيَسْعَدُ بِمَا شَقِيتَ بِه ، وإِمَّا عَامِلٌ فِيه بِمَعْصِيَةِ اللهِ ، فَيَشْقَى بِمَا جَمَعْتَ لَهُ ، ولَيْسَ واللهِ وَاحِد مِنْهُمَا بَأَهْلٍ أن تَبْرُدَ له عَلَى ظَهْرِك** [3] **، ولا تُؤْثِرهُ عَلَى نَفْسِكَ ، ارْجُ لِمَنْ مَضَى مِنْهُمْ رَحْمَةَ اللهِ ، وثِقْ لِمَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ رِزْق اللهِ .. والسلام**)[4] ..

وحين عُيِّنَ قاضِيًا بالشام ، ورأى ما يَرْفُلُ فيه الناس من سِعَةٍ فى الرِّزْقِ ، والنَّعِيم ، والتوسُّع فى ملذَّات الدنيا ، وجمع الأموال خَطَبَهُمْ فقال : **يَا أَهْلَ الشَّامِ .. أَنْتُمُ الإخْوَانُ فى الدِّينِ ، والْجِيرَانُ فى الدِّيَار ، والأَنْصَارُ عَلَى الأَعْدَاء ، ولَكِنْ مَالِى أَرَاكُمْ لا تَسْتَحْيُون ؟! تجْمَعُونَ مَا لاَ تُنْفِقُونَ ، وتَبْنُونَ مَا لاَ تَعْمُرُونَ ،**

---

(1) رواه ابن عساكر وأبو نعيم .
(2) رواه أبو نعيم فى حلية الأولياء .
(3) أى ليس بجدير أن يسعد هو وتشقى أنت .
(4) رواه ابن عساكر ، وأبو نعيم فى حلية الأولياء .

وتُؤَمِّلُونَ مَا لاَ تُدْرِكُون ، وقَدْ كَانَت الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِكُم يَجْمَعُون فَيُوعُونَ ، ويَأْمُلُونَ فَيُطِيلُونَ ، ويَبْنُونَ فيوثِقُونَ ، فَأَصْبَحَ جَمْعُهُمْ بُورًا ، وأَمَلُهُمْ غُرُورًا ، وقُصُورُهم قُبُورًا ، وهَا هِيَ « عاد » التي لم يُخْلَقْ مِثْلُهَا فى البلاد ، مَلأُوا ما بين « عَدَن » و« عُمان » أمْوَالاً وأوْلاَدًا .. ثم يقول ساخرًا : مَنْ يَشْتَرِى مِنِّى تَرِكَةَ « عاد » بِدِرْهَمَيْن ؟!!.. [1]

وقد كان (رضي الله عنه) ينصح بِمَا رواه من قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (تَفَرَّغُوا من هُمُومِ الدُّنْيا ما اسْتَطَعْتُم ، فإِنَّهُ مَنْ كَانَت الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّه ، أَفْشَى اللَّهُ عَلَيْه ضَيْعَتَهُ [2] ، وجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ .. ومَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ أَكْبَرَ هَمِّه ، جَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ أُمُورَهُ ، وجَعَلَ غِنَاهُ في قَلْبِه .. وَمَا أَقْبَلَ عَبْدٌ بِقَلْبِه إِلَى اللَّه تَعَالَى إلاَّ جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ تَفِدُ إِلَيْه بِالْوُدِّ وَالرَّحْمَةِ ، وَكَانَ اللَّهُ إِلَيْه بِكُلِّ خَيْرٍ أَسْرَعَ)[3] ..

وقد كان (رضي الله عنه) يحدِّث أصحابه بما سمعه من النبي (صلى الله عليه وسلم) حين سأل : (أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ ، وَأَرْفَعِهَا في دَرَجَاتِكُمْ ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ [4] ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ؟) .. قَالُوا : بَلَى .. قَالَ : (ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى)[5] ..

ولقد كان « أبو الدرداء » (رضي الله عنه) كثير البكاء ، شديد الخوف والوَجَل ، يقول عن نَفْسِه : إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ إِذَا لَقِيتُ رَبِّي تَبَارَكَ وتَعَالَى أَنْ يَقُولَ لِي : قَدْ

---

[1] رواه أبو نعيم فى حلية الأولياء . [2] أى كثَّر عليه معاشه ليشغله عن الآخرة .

[3] رواه أبو نعيم ، والطبرانى . [4] الوَرِق : الفضة . [5] رواه الترمذى كتاب الدعوات .

عَلِمْتَ ، فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ ؟!! [1]

ويمرض « أبو الدرداء » (رضي الله عنه) مرض الموت ، ويجزع جزعًا شديدًا .. ويشتد بكاؤه .. فتقول امرأته : **أَنْتَ يا أَبَا الدَّرْدَاءِ ؟!! أَنْتَ صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ** (ﷺ) **تَبْكِي ؟!**.. فيقول لها : **وَلِمَ لا أَبْكِي ، وأَنَا لا أَدْرِي عَلامَ أَهْجُمُ مِنْ ذُنُوبِي ؟!** .. فتقول له : **أَلَمْ تَكُنْ تُخْبِرنَا أَنَّكَ تُحِبُّ الْمَوْتَ ؟!**.. فيقول لها : **بَلَى ، وَعِزَّةِ رَبِّي ، ولَكِنْ حِينَمَا استَيْقَنَتْ نَفْسِي الْمَوْتَ كَرِهَتْهُ ..** [2]

ويستدعى ابنه « بلالاً » ، ويقول له : **وَيْحَكَ يا بِلالُ .. اعْمَلْ لِلسَّاعَةِ .. اعْمَلْ لِمِثْلِ مَصْرَعِ أَبِيكَ ، واذْكُرْ بِهِ مَصْرَعَكَ وسَاعَتَكَ ..** [3]

ويقترب الأجل ، ويشتد بكاء « أبى الدرداء » ونحيبُه ويقول : **هَذِهِ آخِرُ سَاعَاتِي مِنَ الدُّنْيَا .. لَقِّنُونِي (لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ) .. لَقِّنُونِي (لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ) ..** [4]

وتفيض روحه إلى بارئها طاهرًا مُطَهَّرًا طيِّبًا مطيَّبًا .. لم يأخذ من أجره شيئًا فى الدنيا .. ودفن (رضي الله عنه) بالشام فى خلافة « عثمان بن عفان » (رضي الله عنه) ..

وكفاه شرَفًا أن شهد له سيد الخلق (ﷺ) بقوله : (**عُوَيْمِرُ حَكِيمُ أُمَّتِي**)[5] ..

سَلاَمٌ عَلَيْكَ يا حَكِيمَ الأُمَّة .. سَلاَمٌ عَلَيْكَ فِي الأَوَّلِين ..

وسَلاَمٌ عَلَيْكَ فِي الآخِرِين .. ورَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وأَرْضَاك ..

---

(1) رواه أحمد بن حنبل فى الزهد . (2) أُسد الغابة لابن الأثير . (3) أُسد الغابة لابن الأثير .
(4) رواه ابن أبي الدنيا . (5) رواه ابن حجر فى المطالب العالية .

أَبُو ذَرٍّ الغِفَارِيُّ (رضى الله عنه)

كان « جُنْدَب بْنُ جُنَادَة » المعروف بـ « أبى ذَرٍّ الغِفَاري » من قبيلة « غِفَار » التى لا يُدْرَك لها شأو [1] فى قطع طريق القوافل ، ومع ذلك فقد كان يُؤْمِنُ بوجود إلـه واحد يستحقُّ العبادة ، والطاعة .. فلم يسْجُد لصَنَم ، ولم يعبد وثَنًا ، وحين سمع بمبعث النبى (ﷺ) قال لأخٍ له : **ارْكَبْ إِلَى هَذَا الوَادِى ، فَاعْلَمْ لِى عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِى يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِىٌّ يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاء ، واسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ ، ثُمَّ ائْتِنِى** .. فانطلق الأخُ حتى قدم مَكَّة ، وسمع من قول النبى (ﷺ) ، ثم رجع إلى « أبى ذَرٍّ » فقال : **لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الأَخْلاقِ ، ويَقُولُ قَوْلاً مَا هُوَ بِالشِّعْرِ** .. فقال « أبو ذَرّ » : **مَا شَفَيْتَنِى مِمَّا أَرَدْتُ** [2] .. فشدَّ رِحَاله ، وانطلق إلى مكَّة متخفيًا ، يبحث عن ذلك الذى يزعم أنه نَبِىٌّ .. وكلَّما وجد مَلأً من الناس جَلَسَ قريبًا منهم ، يتسمَّع كلامَهُم ، حتى انتبَهَ له « عَلِىُّ بن أبى طالب » الذى حاول أن يعرف منه بُغْيَتَه .. ولَمَّا اطْمأنَّ له « أبو ذَرّ » أخبره بِمُراده ، فأخذه « عَلِىُّ بن أبى طالب » إلى رسول الله (ﷺ) .. فقال له « أبو ذر » : **أَنْشِدْنِى مَا تَقُولُ** .. فقال النبى (ﷺ) : (**مَا أَقُولُ الشِّعْرَ ، ولَكِنَّهُ الْقُرْآن ، ومَا أَنَا قُلْتُهُ ، ولَكِنَّ الله**) .. فقال « أبو ذر » : **إِذًا ، فَاقْرَأْ عَلَىَّ** .. فقرأ عليه النبى (ﷺ)

---

[1] شأو : سَبق .

[2] رواه ابن عساكر ، وذكره ابن الأثير فى أُسد الغابة .

سورة من القرآن .. فقال « أبو ذرٍّ » : **أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ الله ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُوله** .. فسأله النبى (ﷺ) : (**مِمَّنْ أَنْتَ ؟**) .. فقال : **من بَنِي غِفَار** .. فصعَّد (ﷺ) بصرَه إليه ، وعلت الدهشة وجهه ، وأخذ يرفع بصره فى « أبى ذَرٍّ » ويخفضه ، ثم قال : (**إِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ**)[1] .. نعم .. إن الله يهدى من يشاء ، فها هو رجل من أشدِّ القبائل عدوانًا ، وإغارة على القوافل .. ومن أشهرها فى قطع الطريق ، والسلب ، والنَّهْب .. يؤمن ، ويسلم قبل أن يَبْرَح مَجْلِسَه .. وكان إسلامه بَعْدَ أربعة ، فكان خامس خمسة فى الإسلام ..

ثم قال له النبي (ﷺ) : (**اكْتُمْ هَذَا الأَمْر ، وَارْجِعْ إِلَى قَوْمك فَأَخْبِرْهُمْ ، فَإِذَا بَلَغَك ظُهُورنَا فَأَقْبِلْ**)[2] .. قال « أبو ذَرّ » : **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانيهِمْ** .. فخرج (رضي الله عنه) ، وذهب إلى البيت ، وملأ قريش حول الكعبة ، فنادَى بِأَعْلَى صَوْته : **أشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ الله ، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله**[3] .. فقاموا إليه وأوسعوه ضربًا حتى كادوا أن يقتلوه ، ولم يخلِّصه من أيديهم إلا « العَبَّاس بن عبد الْمُطَّلب » (رضي الله عنه) الذى قال لهم : **وَيْلَكُمْ ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَارٍ ، وَأَنَّ طَرِيقَ تُجَّارِكُمْ إِلَى الشَّامِ عَلَيْهِمْ**[4] .. فتركوه ، ثم عاد إليهم فى اليوم التالى ، وجَهَرَ بالشهادة فعادوا له ، حتى خلَّصه « العَبَّاسُ » للمَرَّة الثانية ..

ثم أمره النبى (ﷺ) فرجع إلى قومه يدعوهم للإسلام ، ولم يكتف بقبيلته ، بل

---

[1] رواه ابن سعد فى الطبقات الكبرى .
[2] فتح البارى لابن حجر .
[3] رواه البخارى كتاب المناقب .
[4] رواه البخارى كتاب المناقب .

تعدَّاها إلى قبيلة « أسْلَم » ، فاستجابوا له جميعًا لِحُسْنِ مَنْطِقِهِ ، وحِكْمَتِهِ ، وقوَّةِ إقْناعِه ..

وتمضى الأيام .. ويهاجر النبي (ﷺ) إلى المدينة ، وتستقر أمور المسلمين بِهَا ، ويفاجأ أهل المدينة يومًا بجموع غفيرة من الناس : مشاة ، وركبانًا .. شيوخًا ، وصغارًا .. رجالاً ، ونساء ، يسدُّون الأفق ، ويثيرون الغبار .. ولولا التكبير الذى كان يهتف به الجميع لظن أهل المدينة أن جيشًا جاء يغزوهم .. وتتقدم الجموع إلى مسجد رسول الله (ﷺ) الذى يخرج إليهم ، وإذا بـــ « أبى ذَرٍّ الغِفَارى » (رضي الله عنه) يتقدَّم هذه الجموع ، ويسلِّم على رسول الله (ﷺ) ثم يشير جهة اليمين قائلاً : **غِفَار ، يا رَسُولَ الله** .. فيقول الرسول (ﷺ) : (**غِفَارُ .. غَفَرَ اللَّهُ لَهَا**) .. ثم يشير « أبو ذَرّ » جهة اليسار قائلاً : **أَسْلَمُ ، يا رَسُولَ الله** .. فيقول الرسول (ﷺ) : (**أسْلَمُ .. سَالَمَهَا اللَّهُ**)[1] ..

وهكذا كان « أبو ذَرّ » (رضي الله عنه) سببًا فى إسلام قبيلتين بكامل رجالهما ونسائهما : « غِفَار » ، و« أَسْلَم » ..

وينقطع « أبو ذَرّ الغِفَارىِّ » (رضي الله عنه) لصُحْبة رسول الله (ﷺ) ، ومرافقته فى حَضَرِه ، وسَفَرِه .. ويفوز بشهادة منه ، لم يَفُزْ بـــها غيرُه ، إذ قال (ﷺ) فيه : (**مَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ**[2] ، **وَلا أَقَلَّتِ**[3] **الْغَبْرَاءُ**[4] **مِنْ رَجُلٍ أَصْدَقَ لَهْجَةً مِنْ**

---

(1) جمع الفوائد .　(2) الخضراء : أى السماء .　(3) أقلت : حملت .

(4) الغبراء : أى الأرض .

أَبِي ذَرٍّ) [(1)]..

وتأتى غزوة « تَبُوك » التى تُسَمَّى غزوة « العُسْرَة » فقد كانت فى أيام شديدة الْحَرِّ والقَحْطِ .. وكانت أبعد غزوة غزاها رسول الله (ﷺ) .. ويتخلَّف عنها كثير من الناس ، ومَنْ خرج كان قليل الزَّادِ ، فقد كان العشرة منهم يتعاقَبُون بَعِيرًا واحدًا لقِلَّة عَدَد الرَّكائب .. بل كان بعض الناس يتخلَّف حتى بعد المسير من شدَّة الْحَرِّ ، وبُعْد المسافة .. فكان الأصحاب يقولون لرسول الله (ﷺ) : **يَا رَسُولَ اللهِ ، تَخَلَّفَ فُلانٌ** ، فيقول : (**دَعُوهُ .. إِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِكُمْ ، وإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاحَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ**)[(2)].. ويسير الجيش يومًا وليلة ، ثم ينـــزل الناس للاستراحة ، وقد تخلَّف مع مَنْ تخلَّف أثناء السير « أبو ذَرٍّ الغفَارى » الذى تقاعست به ناقته فتركها ، وحَمَل متاعه على ظَهْره ، ومشى محاولاً اللَّحاق بالرَّكْب .. وينتظر الأصْحاب مَنْ تتحقَّق فيه كلمة الرسول (ﷺ) : (**إِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِكُمْ**) .. وإذا بِهِم يرون رجلاً قادمًا من بعيد .. ينتزع رجليه من الرمال بمشقَّة .. يحمل متاعه على ظهره .. فيقولون : **يَا رَسُولَ اللهِ ، هَذَا رَجُلٌ يَمْشِي عَلَى الطَّرِيق** .. فيقول (ﷺ) : (**كُنْ أَبَا ذَرٍّ**) [(3)] .. ويترقب الجميع ذلك القادم الذى يقترب شيئًا فشيئًا يكاد ينكفئ على وجهه ، وإذا به : أَبُو ذَرٍّ الغِفَارِى !! فيهتف الناس : **يَا رَسُولَ اللهِ ، هُوَ واللهِ أَبُو ذَرٍّ** .. فيتلقَّاه

---

(1) رواه أحمد مسند المكثرين من الصحابة .

(2) رواه البيهقى فى دلائل النبوة .

(3) رواه الحاكم فى المستدرك .

الرسول (ﷺ) هاشًّا باشًّا ، ويقول : (**يَرْحَمُ اللَّهُ أبَا ذَرٍّ : يَعِيشُ وَحْدَهُ ، ويَمُوتُ وَحْدَهُ ، ويُحْشَرُ وَحْدَهُ**)[1] ..

وتمضى الأيام .. وينتقل الرسول (ﷺ) إلى الرفيق الأعلى .. وتأتى خلافة « أبي بكر الصديق » تتْبعها خلافة « عمر بن الخطاب » (رضى الله عنهما) على نَهْج النبوَّة ، و« أبو ذَرٍّ » (رضي الله عنه) متفرِّغ لِلعبادَةِ ، زاهد فى الدنيا ، عامِل بوصِيَّة رسول الله (ﷺ) له إذ يقول : **أوْصَاني خَلِيلِي (ﷺ) بِسَبْعٍ : أَمَرَني بحُبِّ الْمَسَاكِينِ ، وَالدُّنُوِّ مِنْهُمْ .. وَأَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي ، وَلاَ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي .. وَأَمَرَنِي أَنْ أَصِلَ الرَّحِمَ وَإِنْ أَدْبَرَتْ .. وَأَمَرَنِي أَنْ لاَ أَسْأَلَ أَحَدًا شَيْئًا .. وَأَمَرَنِي أَنْ أَقُولَ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا .. وَأَمَرَنِي أَنْ لاَ أَخَافَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لاَئِمٍ .. وَأَمَرَنِي أَنْ أُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ : لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ ، فَإِنَّهُنَّ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ ..** [2]

وتأتى خلافة « عثمان بن عفان » (رضي الله عنه) ، و« أبو ذر » فى الشام يرى ما لم يَعْهَدْه : فقد تحوَّلت بيوت الطِّين إلى قصور ، وكثُرَ الحجَّاب والحراس حول الولاة ، وفاض المال فى أيدى الناس ، وأصبحوا يعيشون عيشة الترفُّه والتنعُّم .. فيذهب إلى « مُعَاوِيَة بن أبي سُفْيان » أمير الشام ، ويدخل عليه وهو جالس فى ملإ من أصحابه ، فيقول : **لقد عَرَفْنا خِيَاركم من شِرَاركم ، ولنحنُ أعرف بكم من**

---

[1] رواه ابن حجر فى الإصابة ، وفى رواية للحاكم : (ويبعث وحده) بدلا من (ويحشر وحده) .

[2] رواه أحمد مسند الأنصار ، وابن سعد فى الطبقات الكبرى .

البياطرة [1] **بالْخَيْل** .. فقال رجل : **يا أبا ذر ، أَتَعْلَمُ الغيب ؟!** .. فقال « معاوية » : **دَعُوا الشَّيْخَ ، فالشَّيْخُ أعْلَمُ منكم ، مَنْ خِيَارُنا يا أبا ذر ؟** .. قال : **خياركم : أزهَدُكم في الدنيا ، وأرْغَبُكم في الآخرة .. وشِرَارُكم : أَرْغَبُكم في الدنيا ، وأزْهَدُكم في الآخِرة ..** [2]

ثم تلى قول الله تعالى : (وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)[3].. فرد عليه « معاوية » ملاطِفًا : **يا أبا ذر ، نَزَلَتْ هذه الآيةُ فى أهْلِ الكِتَاب ، ألم تقرأ أولها إذ يقول الله** : (إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ)[4] فيقول « أبو ذَرّ » : **لقد نَزَلَتْ فِينَا ، وفِيهِمْ ..** [5]

ويخرج « أبو ذَرّ » من عند « معاوية » وهو يقول : **يَا مَعْشَرَ الأغْنِياء ، واسوا الفُقَرَاء .. بَشِّرِ الَّذين يَكنِزُون الذَّهَبَ والفِضَّةَ ولا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيل الله بِمَكَاوٍ مِنْ نَارٍ تُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ ، وجُنُوبُهُمْ ، وظُهُورُهُمْ** .. فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك ، وأوجبوه على الأغنياء ، وشكا الأغنياء ما يلقون منهم .. [6]

ويمشى « أبو ذَرّ » (رضي الله عنه) بين النَّاسِ بِهَذا الشِّعار ويقول : **عَجِبْتُ لِمَنْ لا يَجِدُ القُوتَ فى بَيْتِه : كَيْفَ لا يَخرُجُ عَلَى النَّاسِ شَاهِرًا سَيْفَهُ ؟!..**

---

[1] البيطار : هو الذى يعالج الدواب . [2] رواه ابن عساكر . [3] سورة التوبة آية ٣٤ .
[4] سورة التوبة آية ٣٤ . [5] رواه ابن عساكر . [6] تاريخ الرسل والملوك للطبرى .

ثم يتذكَّر قول الرسول (ﷺ) له : (**يَا أَبَا ذَرّ ، كَيْفَ أَنْتَ إِذَا كَانَتْ عَلَيْكَ أُمَرَاء يَسْتَأْثِرُون بِالْفَيْءِ ؟!**) .. فقال : **إذًا ، والَّذي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ أَضْرِبُ بِسَيْفِي حَتَّى أَلْحَقَ بِهِ** .. فيقول له الرسول (ﷺ) : (**أفَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى مَا هُوَ خَيْر من ذَلِك : اصْبِرْ حَتَّى تَلْقَانِي**)[1] ..

ويصبر « أبو ذر الغِفَارى » ، ولكنه يذهب إلى أصحاب النبى (ﷺ) يأمرهم بالخروج عن أموالهم والاكتفاء بالكفاف ، وأن يعيشوا عيشة رسول الله (ﷺ) وصاحبيه : « أبى بكر » ، و« عمر » ..

ويرسل « معاوية » إلى « عثمان » مستغيثًا : **إنَّ أبَا ذَرٍّ قَدْ أَفْسَدَ النَّاسَ بِالشَّام** .. فيستدعيه « عثمان بن عفان » إلى المدينة ، وحين قَدِم عليه ، قال له « عثمان » : **كُنْ عِنْدِي تَغْدُو** [2] **عَلَيْك وتَرُوح** [3] **اللِّقَاح** [4] .. فقال « أبو ذَرّ » : **لا حَاجَةَ لِي فِي دُنْيَاكُم** .. ثم قال : **ائْذَنْ لِي حَتَّى أَخْرُجَ إِلَى الرَّبَذَة** [5].. فأذن له « عثمان » فى ذلك .. [6]

وقد أخطأ بعض الكُتَّاب حين زعم أن « عثمان بن عفان » قد نفى « أبا ذر » إلى الرَّبَذَة ، إذ الحقيقة أن « أبا ذر » هو الذى اختار الاعتزال ، واختار الربذة بالذات لتتحقَّق فيه نُبوءة رسول الله (ﷺ) : (**أَبُو ذَرٍّ فِى أُمَّتِى عَلَى زُهْدِ عِيسَى**

---

[1] رواه ابن سعد فى الطبقات الكبرى .
[2] تغدو : تخرج أول النهار .
[3] تروح : تعود وترجع .
[4] اللقاح : النّوق الحلوب .
[5] الربذة : محلة فى البادية ، على مسافة من المدينة شرقًا .
[6] رواه ابن سعد فى الطبقات الكبرى .

ابْنِ مَرْيَم)[1] .. وما كان « عثمان » (رضي الله عنه) بالذى ينفى صَاحِبًا من أصحاب النبى (صلى الله عليه وسلم) يقول الحق ، ولا يخشى فى الله لومة لائم ..

وخرج « أبو ذَرٍّ الغِفَاريّ » إلى الرَّبَذَة ، وليس معه أحد إلا زوجته ، وابنة صغيرة له .. ويسمع بمكانه بعض الناس من أهل الكوفة ، ويأتون إليه يُحَرِّضُونه على الثورة على « عثمان » قائلين : **يَا أَبَا ذر ، فَعَلَ بِكَ هَذَا الرَّجُلُ وفَعَلَ ، فَهَلْ أَنْتَ نَاصِبٌ لَنَا رَايَةً فَنَأْتِيك بِرِجَالٍ مَا شِئْتَ ؟** .. فقال (رضي الله عنه) : **يَا أَهْلَ الإِسْلامِ ، لاَ تَعْرِضُوا عَلَيَّ أَذَاكُمْ ، ولاَ تُذِلُّوا السُّلْطَانَ ، فَإِنَّهُ مَنْ أَذَلَّ السُّلْطَانَ فلا تَوْبَةَ لَهُ ، واللهِ لَوْ أَنَّ عُثْمَان صَلَبَنِي عَلَى أَطْوَلِ خَشَبَةٍ لَسَمِعْتُ ، وَأَطَعْتُ ، وَصَبَرْتُ ، وَاحْتَسَبْتُ ، وَرَأَيْتُ أَنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لِي .. وَلَوْ سَيَّرَنِي مَا بَيْنَ الأُفُقِ إِلَى الأُفُقِ لَسَمِعْتُ ، وَأَطَعْتُ ، وَصَبَرْتُ ، وَاحْتَسَبْتُ ، وَرَأَيْتُ أَنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لِي .. ولو رَدَّنِي إِلَى مَنْزِلِي لَسَمِعْتُ ، وَأَطَعْتُ ، وَصَبَرْتُ ، وَاحْتَسَبْتُ ، وَرَأَيْتُ أَنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لِي** [2] .. وينصرف عنه المحرِّضون يائسين ..

وتمضى الأيَّام ، ويمرض « أبو ذر » (رضي الله عنه) ، ويشتدُّ عليه المرض ، وتبكى امرأته فيقول لها : **مَا يُبْكِيكِ ؟!** .. فتقول : **أَبْكِي أَنَّهُ لاَبُدَّ لِي من تَكْفِينِكَ ، وَلَيْسَ عِنْدِي ثَوْبٌ يَسَعُ لَكَ كَفَنًا** .. فَقَالَ : **لاَ تَبْكِي فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه (صلى الله عليه وسلم) ذَاتَ يَوْمٍ وَأَنَا عِنْدَهُ فِي نَفَرٍ يَقُولُ : (لَيَمُوتَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِفَلاَةٍ** [3] **مِنَ**

---

[1] الاستيعاب لابن عبد البر .

[2] رواه ابن سعد فى الطبقات الكبرى .

[3] الفلاة : الصحراء .

الأَرْضِ يَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ [١] **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) .. فَكُلُّ مَنْ كَانَ مَعِي فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ مَاتَ فِي جَمَاعَةٍ ، وَقَرْيَةٍ ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ غَيْرِي ، وَقَدْ أَصْبَحْتُ بِالْفَلاَةِ أَمُوتُ ، فَرَاقِبِي الطَّرِيقَ ، فَإِنَّكِ سَوْفَ تَرَيْنَ مَا أَقُولُ ، فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ ، وَلاَ كُذِبْتُ** .. قَالَتْ : **وَأَنَّى ذَلِكَ وَقَدِ انْقَطَعَ الْحَاجُّ** [٢] ؟! .. قَالَ : **رَاقِبِي الطَّرِيقَ** .. [٣]

وتفاجأ المرأة بجماعة من الناس ، تتَّجه إليهم ، ويقولون : **مَا لَكِ** ؟!! فتبكي المرأة وتقول : **امْرُؤٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ تُكَفِّنُونَهُ ، وَتُؤْجَرُونَ فِيهِ** .. قَالُوا : **وَمَنْ هُوَ** ؟ .. قَالَتْ : **أَبُو ذَرٍّ** .. فينـــزل القوم مسرعين باكين ، وعلى رأسهم « عَبْدُ اللهِ بن مسعود » (رضي الله عنه) الذى يُكبُّ على « أبى ذر » ، ويقول : **إِنَّا للهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون** .. فيقول له « أبو ذر » : **أَبْشِرُوا .. أَنْتُمُ النَّفَرُ الَّذِينَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ** (صلى الله عليه وسلم) **فِيكُمْ : (عِصَابَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)**[٤] .. ثم قال : **أَصْبَحْتُ الْيَوْمَ حَيْثُ تَرَوْنَ ، وَلَوْ أَنَّ ثَوْبًا مِنْ ثِيَابِي يَسَعُنِي لَمْ أُكَفَّنْ إِلاَّ فِيهِ ، فَأَنْشُدُكُمُ اللَّهَ أَنْ لاَ يُكَفِّنَنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ كَانَ أَمِيرًا ، أَوْ عَرِيفًا** [٥] **، أَوْ بَرِيدًا** [٦] .. فيهتف شاب من الأنصار : **أنا واللهِ ، ما تولَّيْتُ إِمَارَةً ، ولا جِبَايَةً ، ولا حَمَلْتُ رِسَالةً ، ومعى ثَوْبَانِ جَدِيدَانِ نَسَجَتْهُمَا أُمِّى بيديها مِنْ مَالٍ حَلالٍ** .. فاستبشر « أبو ذر » (رضي الله عنه) وقال : **أَنْتَ صَاحِبِي**

---

[١] عصابة : جماعة .

[٢] أى : وكيف ذلك وقد انقطع الحجيج ، ونحن فى فلاة من الأرض ، ولا أثر لمخلوق ؟!

[٣] أُسد الغابة لابن الأثير .

[٤] أُسد الغابة لابن الأثير .

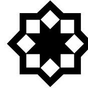
[٥] العريف : القائم بأمور الناس ومصالحهم .

[٦] البريد : الرسول الذى تُبعث معه الرسائل .

فَكَفِّنِّي .. [1]

وتصعد رُوحه إلى بارئها راضيةً مَرْضية .. وتُكَفِّنُه جماعة المؤمنين .. ويُصَلِّى عليه الصحابى الجليل « عبد الله بن مسعود » (رضي الله عنه) .. ويُدْفن بالرَّبَذَةِ ، وتتحقَّق نبوءة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (**يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ : يَعِيشُ وَحْدَهُ ، ويَمُوتُ وَحْدَهُ ، ويُحْشَرُ وَحْدَهُ**)[2] ..

سَلاَمٌ عَلَيْكَ أَيُّهَا الزَّاهِد الْعَابِد .. سَلاَمٌ عَلَيْكَ يا أَصْدَقَ النَّاسِ لَهْجَة ..
سَلاَمٌ عَلَيْكَ يا مَنْ عِشْتَ وَحْدَكَ ، ومِتَّ وَحْدَكَ ، وتُحْشَر يَوْمَ القِيَامَة وَحْدَك ..



[1] رواه أحمد بنحوه ، وذكره ابن الأثير فى أسد الغابة .
[2] رواه ابن حجر فى الإصابة .

أَبُو هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيُّ (رضى الله عنه)

أَسْلَمَ « أبو هُرَيْرَة الدَّوْسِي » فى السَّنَة السابِعَة من الهِجْرَة ، وهاجَرَ إلى المدينة المنوَّرة قبل غزوة « خَيْبَر » حيث شَهِدَها مع الرسول (ﷺ) .. وظل مُلازِمًا له حتى لَحِقَ بالرَّفِيق الأَعْلَى ، ولم تَسْتَمر صُحْبَتُه للنَّبِى (ﷺ) سوى أربع سنوات فقط ، ومع ذلك فقد رَوَى عنه أكثر من ثمانمائة رجل ما بين صَاحِب وتابع .. وما من مُسْلِم على وجه الأرض إلا ويعرفه .. وما من عالِمٍ إلاَّ ويحفظ من عِلْمه .. وما من راوٍ لم يرو عنه ..

ويروى « أبو هريرة » قصة إسلامه وإسلام أمه فيقول : هَاجَرْتُ إلى رسول الله (ﷺ) ، وفى الطريق كنتُ أقولُ : **يَا لَيْلَةً مِنْ طُولِهَا وَعَنَائِهَا ، عَلَى أَنَّهَا مِنْ دَارَةِ الْكُفْرِ نَجَّتِ** [١] .. ودخَلْتُ على النبى (ﷺ) وبايعتُه ، وكان مَعِى غلام أَبَقَ [٢] منِّى فى الطريق .. وحينما جلست مع رسول الله (ﷺ) طلع علينا الغلام .. فقال النبى (ﷺ) : (**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، هَذَا غُلامُكَ**) فقلت : **هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللَّه .. فَأَعْتَقْتُهُ** [٣] .. ثم ذهبت إلى رسول الله (ﷺ) يومًا وأنا أبكى فقلت : **يَا رَسُولَ اللَّه ، إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإِسْلامِ فَتَأْبَى عَلَيَّ ، فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ .. فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ** .. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) :

---

[١] نَجّت : أبعدت .   [٢] أبق : هرب وفرّ .   [٣] رواه البخارى كتاب العتق .

(**اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ**)[1] .. فخرجتُ من عنده مُسْرِعًا كي أُبَشِّرَها بدعاء الرسول (ﷺ) لها ، فوجدتُ الباب مُغْلَقًا ، وسَمِعَتْ أُمِّي خشخشة نَعْلي فقالت : **مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ** ، وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاء ، ثم تعجَّلَت أمي ، ولَبِسَتْ ثيابــها ، وفتحتْ لى الباب وهى تقول : **أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ** .. فعُدْتُ أجرى إلى رسول الله (ﷺ) ، ودخلتُ عليه وأنا أبكى من الفرح ، كما دخلتُ عليه وأنا أبكى من الحزن ، فقلت : **يَا رَسُولَ اللَّه أَبْشِرْ ، قَد اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ ، وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ** .. فَحَمِدَ اللَّهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْه ، وَقَالَ خَيْرًا .. قُلْتُ : **يَا رَسُولَ اللَّه ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِه الْمُؤْمِنِينَ ، وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيْنَا** .. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) : (**اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا – يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ – وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ**)[2] ..

ولَمَّا انتقل الرسول (ﷺ) إلى الرَّفيق الأعلى ، وكان « أبو هريرة » يجلس فى المسجد يَرْوِى أحاديث رسول الله (ﷺ) فقال الناس : **أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ الْحَدِيثَ عَنِ النَّبِيِّ** (ﷺ) ، حتى نَهَاه « عمر بن الخطاب » .. فقال « أبو هريرة » مُدَافِعًا عن نَفْسه : **إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّه (ﷺ)** .. **وَاللَّهُ الْمَوْعِدُ .. كُنْتُ رَجُلاً مِسْكِينًا ، أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّه (ﷺ) عَلَى مِلْءِ بَطْنِي ، وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ ، وَكَانَتِ الأَنْصَارُ يَشْغَلُهُمُ الْقِيَامُ**

---

[1] رواه مسلم كتاب فضائل الصحابة .
[2] رواه مسلم كتاب فضائل الصحابة .

عَلَى أَمْوَالِهِمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) : (مَنْ يَبْسُطْ ثَوْبَهُ فَلَنْ يَنْسَى شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي) .. فَبَسَطْتُ ثَوْبِي حَتَّى قَضَى حَدِيثَهُ ، ثُمَّ ضَمَمْتُهُ إِلَيَّ ، فَمَا نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ .. وَايْمُ اللَّهِ ، لَوْلاَ آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُكُمْ بِشَيْءٍ أَبَدًا .. ثُمَّ تَلاَ : (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ)[1] ..[2]

ولقد كان « أبو هريرة » (رضي الله عنه) متفرغًا لحفْظِ حديث رسول الله (ﷺ) وروايته بعد ذلك فكان فقيرًا يربط الْحَجَر على بَطْنِه من شِدَّة الْجُوع ، ويعتصر كَبِدَه بيديه من أَلَمِ الْجُوع ، ثم ولاَّه « عمر بن الخطاب » (رضي الله عنه) إمارة « البَحْرَيْن » ، ويَتَّسع رزقُ « أبِى هُرَيْرَة » ، ويجتمع له شىءٌ مِنَ الْمَالِ ، ويعلم « عمر » بذلك ، فيرسل يستدعيه على عَجَل ، ويصل « أبو هريرة » ويفاجئه أمير المؤمنين « عمر » بقوله : **يَا عَدُوَّ اللهِ ، ويا عَدُوَّ كِتَابه ، سَرَقْتَ مَالَ الله ؟!..** فقال « أبو هريرة » : **واللهِ مَا أَنَا بِعَدُوِّ اللهِ ولا بِعَدُوِّ كِتَابه ، وما أنا بالَّذى يَسْرِقُ مَالَ الله ..** فقال « عمر » : **إِذًا ، فَمِنْ أَيْنَ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْمَالُ ؟..** فقال « أبو هريرة » : **خَيْلٌ لِى تَنَاسَلَتْ ، وعَطَايَا تَلاحَقَتْ ..** فقال « عمر » : **إِذًا فادْفَعْهَا إِلَى بَيْتِ الْمَال ..** فدفع « أبو هريرة » كُلَّ مالِه إِلَى بيت المال ، ثم رفع يديه إلى السَّمَاءِ وقال : **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَمِيرِ الْمُؤْمِنينَ ..**[3]

---

[1] سورة البقرة آية ١٥٩ . [2] رواه مسلم كتاب فضائل الصحابة ، وأحمد باقى مسند المكثرين .

[3] رواه ابن سعد فى الطبقات الكبرى .

وتمضى الأيام .. ويرسل « عمر » إلى « أبى هريرة » يعرض عليه الإمَارَة مرة ثانية ، فيرفض « أبو هُريرة » ويسأله « عمر » : **ولِمَاذَا ؟!..** فيقول : **أخَافُ أَنْ أَقُولَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، وأَنْ أُفْتِيَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، وأَنْ يُضْرَبَ ظَهْرِي ، وأَنْ يُشْتَمَ عِرْضِي ، وأَنْ يُؤْخَذَ مَالِي بِالضَّرْبِ** [1] .. ويتركه « عمر » ، ويتفرَّغ « أبو هريرة » لرواية أحاديث النبى (ﷺ) عاملاً بقوله : (**نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ**)[2] ..

ويقول عن نَفْسه : **مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ (ﷺ) أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي ، إِلاَّ مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلاَ أَكْتُبُ** [3] .. ثم يتحدَّث بنعمة الله تعالى عليه فيقول : **نَشَأْتُ يَتِيمًا ، وَهَاجَرْتُ مِسْكِينًا ، وَكُنْتُ أَجِيرًا لـــ « بُسْرَةَ بِنْت غَزْوَانَ » بِطَعَامِ بَطْنِي ، أَخْدُمُهُم إِذَا نَزَلُوا ، وَأَحْدُو لَهُمْ إِذَا رَكِبُوا .. وهاأنذا قَدْ زَوَّجَنِيهَا اللَّهُ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الدِّينَ قِوَامًا ، وَجَعَلَ أَبَا هُرَيْرَةَ إِمَامًا** [4] .. وحين سُئِلَ (رضي الله عنه) عن سبب كُنيته بـــ « أبى هريرة » قال : **كُنْتُ أَرْعَى غَنَمَ أَهْلِي ، وَكَانَتْ لِي هِرَّةٌ صَغِيرَةٌ ، فَكُنْتُ أَضَعُهَا بِاللَّيْلِ فِي شَجَرَةٍ ، فَإِذَا كَانَ النَّهَارُ ذَهَبْتُ بِهَا مَعِي فَلَعِبْتُ بِهَا ، فَكَنَّوْنِي : أَبَا هُرَيْرَةَ ..** [5]

ومما رواه « أبو هريرة » (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) قوله : (**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا ، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ .. وَمَنْ**

---

[1] رواه الحاكم فى المستدرك . [2] رواه الترمذى كتاب العلم . [3] رواه البخارى كتاب العلم .
[4] رواه ابن سعد ، وابن حبان ، وابن ماجه . [5] رواه الترمذى كتاب المناقب .

يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ .. وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا ، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ .. وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ .. وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ .. وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ .. وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ) [1] ..

وأراد « مَرْوَان بن الْحَكَم » وهو أمير على المدينة أن يختبر مقدرة « أبي هريرة » (رضي الله عنه) على الحفظ ، فدعاه إليه وأجلسه معه ، وطلب منه أن يحدثه عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، في حين أجلس كاتبه وراء حجاب ، وأمره أن يكتب كل ما يقول « أبو هريرة » .. وبعد مرور عام ، دعاه « مَرْوَان بن الْحَكَم » مرة أخرى ، وأخذ يسأله عن نفس الأحاديث التي كان كاتبه قد كتبها ، فما نسي « أبو هريرة » (رضي الله عنه) كلمة منها ، ولا زاد ولا نقص ، ولا قدَّم ولا أخَّر !! [2]

ويأتى العام الثامن والخمسين من الهجرة ، وقد بلغ « أبو هريرة » (رضي الله عنه) الثانية والسبعين من عُمره يستعد للقاء الله عزَّ وجلَّ بقوله : **اللَّهُمَّ إِنِّى أُحِبُّ لِقَاءَكَ ، فَأَحِبَّ لِقَائِى** [3].. وتصعد روحه إلى بارئها ، ويُدفن بالبقيع إلى جوار أصحاب النبى (صلى الله عليه وسلم) ، وتظل صحيفة حسناته مفتوحة يُدَوَّنُ فِيها قَوْلُ كُلِّ عالِمٍ أو راوٍ

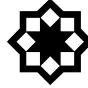
---

[1] رواه مسلم كتاب الذكر والدعاء .
[2] رواه ابن عساكر بنحوه .
[3] رواه ابن عساكر .

للأحاديث : عن « أبي هُرَيْرَة » (رضي الله عنه) ..

رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وأَرْضَاكَ يا شَيْخَ الْمُحَدِّثِين ..

ونَضَّرَ اللَّهُ وَجْهَكَ بِمَا رَوَيْتَ مِنْ أَحَادِيثِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِين (صلى الله عليه وسلم) ..



أَنَسُ بْنُ مَالِكِ بْنِ النَّضْر (رضى الله عنه)

حين عَلِمَت « أُمُّ سُلَيْم بِنْت مِلْحَانٍ » بقدوم النبى (ﷺ) إلى المدينة هُرِعَتْ إليه ، ومعها ولدها : « أَنَسُ بنُ مَالِكٍ » – الذى لم يكن قد جاوز السنوات العشر مِن عُمره – وقالت : **يَا رَسُولَ الله ، هَذَا ابْنِى أَنَسٌ ، غُلاَمٌ كَاتِبٌ ، فخُذْه ليخْدِمَكَ** .. فقَبِلَه النبى (ﷺ) لما رأى فيه من علامات النجابة ، والذكاء ، وطيب المعدن .. وداعبه بقوله : (**يَا ذَا الأُذُنَيْن**)[1] ..

وأصبح « أَنَسُ بنُ مَالك » من السُّعدَاءِ الذين فازوا بصُحْبَة رسول الله (ﷺ) وخِدْمَتِه .. فقد خرج معه إلى غزوة « بَدْرٍ » ليخدمه ، ولازمه بعد ذلك فى سَفَرِه ، وحَضَرِه ، خادمًا له ، ومُجاهدا فى سبيل الله بين يَدَيه ، وكَان من الرُّماة الْمَهَرة ..

ويقول « أَنَسٌ » مُشيرًا إلى حُسْن خُلُق النبى (ﷺ) وعظمته : **مَا مَسسْتُ حَرِيرًا ، وَلاَ دِيبَاجًا** [2] **أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ النَّبِيِّ (ﷺ) .. وَلاَ شَمِمْتُ رِيحًا قَطُّ ، أَوْ عَرْفًا** [3] **قَطُّ أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ ، أَوْ عَرْفِ النَّبِيِّ (ﷺ)** [4] .. ويقول : **خَدَمْتُ النَّبِيَّ (ﷺ) عَشْرَ سِنِينَ ، فَوَاللَّهِ مَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ : (لِمَ صَنَعْتَ هَذَا هَكَذَا ؟) ، وَلاَ لِشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعْهُ : (لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا هَكَذَا ؟)**[5] .. فقد كان رسول الله

---

[1] الإصابة لابن حجر . [2] الديباج : نوع من الحرير . [3] عرفًا : رائحة طيبة .

[4] رواه البخارى كتاب المناقب . [5] رواه البخارى كتابي الأدب والديات .

(ﷺ) يُوصى بقول : (**قَدَّرَ اللَّهُ ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ**)[1] ..

ويبيِّن (رضي الله عنه) لنا كذلك سرعة استجابة الصحابة (رضوان الله عليهم) لأوامر الله ورسوله (ﷺ) فيقول : **كُنْتُ سَاقِيَ الْقَوْمِ فِي مَنْزِلِ « أَبِي طَلْحَةَ »** [2] ، **وَكَانَ خَمْرُهُمْ يَوْمَئِذ الْفَضِيخَ** [3] ، **فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) مُنَادِيًا يُنَادِي : (أَلاَ إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ) .. فَقَالَ لِي « أَبُو طَلْحَةَ » : اخْرُجْ فَأَهْرِقْهَا .. فَخَرَجْتُ ، فَهَرَقْتُهَا ، فَجَرَتْ فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ ..** [4]

نعم فقد استجاب الجميع ، وسَكَبُوا الخمور **من دون تردُّد** ، ومن دون أن ينتظروا حتى الصباح ، أو يسألوا ذلك المنادى : مَن الَّذِى قَالَ لَكَ ؟! .. أو : متى نزل التحريم ؟! .. أو : فلنشرب اليوم ونُقْلع غَدًا .. وهكذا أيقظ الإسلام ضمائرهم ، فكانوا رجالاً لا يُخْشَى مِنْهُم ، ولا يُخْشَى عَلَيهم .. تربوا فى مدرسة سيِّد الخلق (ﷺ) الذى كان خير قُدْوَة لهم فى تقوى الله ، وطاعته ..

ولقد كان رسول الله (ﷺ) كثيرًا ما يذهب إلى بيت « أُمِّ أَنَسٍ » يأكل عندها ، ويصلِّى فى بيتها تطوُّعًا لتتخذ مكان صلاته مَسْجِدًا تُصَلِّى فيه مُتبرِّكة به ، كما كانت تخرج معه (ﷺ) فى غزواته ولها موقف مشهود محمود فى غزوة « حُنَيْن » ، وكانت حاملاً .. وحين رأت الناس يفِرُّون مِن حوله .. ربطت على بطنها ، وأخذت سيفها ، ووقفت إلى جواره ، تَدْفَع عنه وتقول : **بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي**

---

[1] رواه مسلم وابن ماجه .

[2] أبو طلحة هو زوج أمه .

[3] الفضيخ : خمر تصنع من ثمر النخل .

[4] رواه البخارى كتاب المظالم والغصب .

يَا رَسُولَ اللَّه [1] ..

ولقد سَأَلَتْ رسولَ الله (ﷺ) يومًا أن يدعو لابنها « أَنس » بالبَرَكَة فى المال والولد ، فدعا له (ﷺ) وقال : (**اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ ، وَوَلَدَهُ ، وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ**)[2] ، واستجاب الله له سبحانه وتعالى .. وأصبح « أَنَسُ بنُ مَالك » – الذى كان يُحِبُّ أن يُدْعى بخادم رَسُولِ الله (ﷺ) ، ويَفْتَخِرُ بذلك – من أكثر الأنصار مالاً ، وولدًا ، حتى إنه حين مات كان له من الأبناء والأحفاد : مائة وعِشْرُون وَلَدًا .. [3]

وفى آخر حياة النبى (ﷺ) قال لـــ « أَنسٍ » ، وهو يريد أن يكافئه على خدمته : (**إنِّي أُوصِيكَ بِوَصِيَّة فَاحْفَظْهَا : أَكْثِرِ الْوُضُوءَ يُزَدْ فِي عُمُرِكَ ، ولا تَزَلْ طَاهِرًا ولا تبيتَنَّ إلاَّ عَلَى طُهْرٍ ، فَإِنْ مُتَّ مُتَّ شَهِيدًا .. وأَكْثِرْ صَلاةَ اللَّيْلِ والنَّهَارِ تُحِبَّكَ الْحَفَظَة .. وصَلِّ صَلاةَ الضُّحَى ، فَإِنَّهَا صَلاَةُ الأَوَّابِينَ .. وإِذَا خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ فَسَلِّمْ عَلَى مَنْ لَقِيتَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ تَزِدْ فِي حَسَنَاتِكَ .. وإِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ يزِدْ فِي بَرَكَاتِكَ .. ووَقِّرْ كَبِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وارْحَمَنَّ صَغِيرَهُمْ تَكُنْ مَعِي**)[4] ..

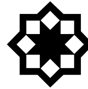
فكان (رضي الله عنه) كثير الصلاة والسُّجُود حتى مات بالبَصْرَةِ ودُفِن بـــها ، وكان آخر من مات من الصحابة بالبَصْرَة ، وقد كانت عنده عصا صَغِيرَة لرسول الله

[1] تاريخ الرسل والملوك للطبرى .
[2] رواه البخارى كتاب الدعوات .
[3] أُسد الغابة لابن الأثير .
[4] رواه ابن عساكر .

(ﷺ) يحتفظ بـــها ، وأوصى أن تُدْفَنَ مَعَهُ ، فدُفِنَتْ معه بين جَنْبه وقَمِيصِه ..

وحين مات (رضي الله عنه) كان عمره مائة وثلاث من السِّنِينَ .. ولقد كان (رضي الله عنه) من الْمُكْثِرين فى الرِّوَايَة عن رسول الله (ﷺ) ، فقد رَوَى عنه الكثير من الأحاديث التى نقلها عنه « حُمَيْد الطَّويل » ، و« ثَابِتُ الْبُنَانِىّ » .. و« قَتَادَةُ » .. و« الْحَسَنُ البَصْرِىّ » .. و« الزُّهْرِىّ » .. وكثير من الرّوَاةِ والْحُفَّاظ ..

رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وأَرْضَاكَ يا خَادِمَ سَيِّدِ
الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ وخَاتَمِ النَّبِيِّينَ والْمُرْسَلِين (ﷺ) ..
ونَضَّرَ اللَّهُ وَجْهَكَ بِمَا رَوَيْتَ مِنْ أَحَادِيثَ أضَاءَتِ الطَّرِيقَ للسَّالِكِين ..



أُسَيْدُ بنْ حُضَيْرٍ (رضى الله عنه)

خرج من بيته يشتدُّ ، وحربته فى يَدِه إلى بيت « أسْعَد بن زُرَارَة » لإنْهاء هذا العَبَثِ الذى يُحدثه القادِم من مكَّة ، مُبَشِّرًا بدِين جديد .. جامعًا حوله شباب المدينة من قبيلة « بنى عبد الأشْهَل » ، مُؤثِّرًا فيهم بِحُلْو مَنْطقه ، وسحر كلامه .. وحين دخل عليهم مغضبًا ، والشَّرَرُ يتطاير من عينيه ، أسرع الجميع بالانصراف خوفًا منْه ، وهيبةً له .. فقد كان من زُعماء « بنى عبد الأشْهَل » ، وأحد العقلاء أهل الرأى فيهم ، ولم يتحرَّك « مُصْعَب بن عُمَير » (رضي الله عنه) من مكانه .. فقد جاء إلى المدينة بتكليف من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليُفقِّه أهْلَها فى الدِّين ، ويعلِّمهم القرآن ، وما كان له أن يخاف ، أو يهاب ، أو يتراجع عن مُهِمَّته ، وهو الذى تحمَّل من العذاب فى مكَّة ما لا يحتمله بَشَر ..

ومِن دون مقدمات قال « أُسَيْدُ بن حُضَير » لـــ « مُصْعَب بن عُمير » و لـــ « أسْعَد بن زُرَارَة » وهو يلوح برُمْحه مُتشتِّمًا : **مَا جَاءَ بِكُمَا إِلَيْنَا تُسَفِّهَانِ ضُعَفَاءَنَا ؟ اعْتَزِلاَنَا إنْ كَانَتْ لَكُمَا بِأَنْفُسِكُمَا حَاجَةٌ** .. فقال له « مُصْعَب » : **أَوَتَجْلِسُ فَتَسْمَعَ ، فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا قَبِلْتَهُ ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ كُفَّ عَنْكَ مَا تَكْرَهُ ؟** .. قال : **أَنْصَفْتَ** .. ثم رَكَزَ حَرْبَتَهُ ، وجلس إليهما ، فكلمه « مُصْعَب » بالإسلام ، وقرأ عليه القرآن .. فعُرِف في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهله ، ثم

قال : **مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلامَ وَأَجْمَلَهُ ! كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا فِي هَذَا الدِّينِ ؟** .. قالا له : **تَغْتَسِلُ فَتَطْهُرُ ، وَتُطَهِّرُ ثَوْبَيْكَ ، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ ، ثُمَّ تُصَلِّي ..** (١)

وأَسْرَع « أُسَيْدُ بن حُضَير » إلى بيته فاغتسل ، وتطهَّر ، ولبس ثيابًا طاهِرة نظيفة ، ونطق بالشهادتين ، وعاد إلى بيت « أَسْعد بن زُرَارَة » يسمع من « مُصْعَب بن عُمَير » مزيدًا من القُرآن ، ويسأله عن الأحكام ، ويستفسر عن الحلال والحرام ، ويلازمه لَيْل نَهَار حتى جاءت بيعة « العَقَبَة الثانية » بعد عام .. فكان نقيبًا لبَنِى عَبْد الأشْهَل ، يبايع رسولَ الله (ﷺ) عنهم وعن نَفْسه (٢) ..

وهاجر النبى (ﷺ) إلى المدينة المنوَّرة ، وقد فُتِحت أبواب دُور « بنى عَبْد الأشْهَل » للمهاجرين .. وآخى رسول الله (ﷺ) بين « أُسَيْد بن حُضَير » وبين « زَيْدِ بن حارثة » مَوْلَى رسول الله (ﷺ) وحِبّه .. فاستضافه « أُسَيْدُ » (رضي الله عنه) فى بيته ، وأشركه فى ماله وطعامه ..

وكان « أُسَيْدُ بن حُضَير » (رضي الله عنه) من أحْسَن الناس صوتًا بالقُرْآن ، يَتَهَجَّدُ به ليلاً .. وفى ذات ليلة قرأ سورة « الْبَقَرَة » .. وابنه « يَحْيَى » مضطَجِع إلى جِواره .. وكان طِفْلاً صغيرًا ، وكان فَرَسُهُ الذى شهد معه الغَزَوات مربوطًا على باب داره ، وإذا بالفَرَس يتحرَّك ويضطرب ، ويصدر أصواتًا يسمعها « أُسَيْد » .. فتوقَّف عن القِرَاءة ، فتوقَّفت الفَرَس عن الحركة والْحَمْحَمَة .. ثم قرأ ، فعادت

(١) سيرة ابن هشام .

(٢) سيرة ابن هشام .

الفَرَسُ إلى الْحَمْحَمَة والاضطراب .. فتوقَّف عن القراءة ، فتوقفت الفَرَس .. ثم عاد إلى القراءة ، فعادت الفَرَس .. فخرج ينظر – وهو خائف على ابنه – فلم يجد شيئًا ، فرفع بَصَره إلى السماء ، فإذا بشيء كهيئة الظُّلَّة فى مثل المصابيح مُقْبِل مِنَ السماء .. فهاله الأمر ، وسكت عن القراءة حتى أَصبْح ، فَغَدَا على رسول الله (ﷺ) فأخبره الْخَبَر ، فقال له النبى (ﷺ) : (**اقْرَأْ أَبَا يَحْيَى**) .. فقال « أُسَيْدٌ » : **قَدْ قَرَأْتُ ، فَجَالَت الْفَرَسُ ، فَقُمْتُ لَيْسَ هَمٌّ لِي إلاَّ ابْنِي** .. فقال له النبى (ﷺ) : (**اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ**) .. فقال : **قَدْ قَرَأْتُ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا كَهَيْئَة الظُّلَّة فِيهَا الْمَصَابِيحُ فَهَالَنِي** .. فقال النبى (ﷺ) : (**تِلْكَ الْمَلاَئِكَةُ دَنَوا لِصَوْتِكَ ، وَلَوْ قَرَأْتَ حَتَّى تُصْبِحَ لأَصْبَحَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ**) [1] ..

ولقد كان « أُسَيْدُ بن حُضَير » (رضي الله عنه) يسكن بعيدًا عن المسجد ، ولكنه كان مواظبًا على حضور الصلوات مع رسول الله (ﷺ) ، فإذا عاد بعد صلاة العشاء إلى بيته ليلاً أضاءت عصاه له الطريق .. وحين عاد معه « عَبَّادُ بن بِشْر » (رضي الله عنه) يومًا ، سارا فى ضوء العصا حتى إذا افترقا كُلٌّ فى طريقه أضاءت عصا « عَبَّادِ بن بِشْر » كذلك [2] .. فكان الاثنان معروفَيْن بين الصحابة (رضوان الله عليهم) بأنَّهما : **صَاحِبَا العَصَوَيْنِ الْمُضِيئَتَيْنِ فِى اللَّيَالِى الْمُظْلِمَة !!..**

ولقد شهد « أُسَيْدُ بن حُضَير » (رضي الله عنه) جميع غزوات النبى (ﷺ) .. ولم يتخلَّف عنه فى غزوة واحدة ، كما شهد الغزوات فى عهد « أبى بكر الصِّدِّيق »

---

(1) رواه ابن عساكر ، وذكره ابن الأثير فى أُسد الغابة . (2) رواه البخارى كتاب الصلاة بنحوه .

(ﷺ) ، وكذلك شهد مع « عمر بن الخطاب » (ﷺ) فتح بيت الْمَقْدِس ..

ولقد كان (ﷺ) من أَحَبِّ الناس إلى رسول الله (ﷺ) إذ قال فى شأنه : (**نِعْمَ الرَّجُلُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْر**)[1] .. كما كان (ﷺ) مُحِبًّا لآل بيت النبى (ﷺ) ، وله مواقف مشهودة محمودة فى قِصَّة « الإِفْكِ » ، ويوم نزول آية « التَّيَمُّمِ » إذ قال للسيدة « عائشة » (رضى الله عنها) : **مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ** .. [2]

كما كان له موقف حاسم فى بيعة « أبى بكر الصِّدِّيق » (ﷺ) بالخلافة حين اجتمع الأنصار فى سقيفة « بنى ساعِدَة » بعد وفاة النبى (ﷺ) وقالوا للمهاجرين : **مِنَّا أَمِيرٌ ، وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ** [3] ..

وكان مُقِيمًا على العهد ، طائعًا طَيِّعًا لِلخُلَفَاءِ الرَّاشِدين ، عاملاً بقول النبى (ﷺ) له وللأنصار : (**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً**) .. قالوا : **فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللهِ** ؟.. قال : (**اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ**)[4] ..

ومات (ﷺ) فى شعبان سنة عشرين من الهجرة ، وحمل جنازته « عمر بن الخطاب » (ﷺ) حتى وضعه بالبقيع ، وصلَّى عليه [5] ..

سَلاَمٌ عَلَيْكَ أَبَا يَحْيَى ..

سَلاَمٌ عَلَيْكَ يَا مَنْ نَزَلَتِ الْمَلائِكَةُ تَسْمَعُ قِرَاءَتَه ..

ورَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وأَرْضَاك ..

---

[1] رواه ابن عساكر ، وابن سعد . [2] رواه البخارى كتاب التيمم . [3] سيرة ابن هشام .
[4] رواه البخارى ، والترمذى ، وذكره ابن الأثير فى أُسد الغابة . [5] الاستيعاب لابن عبد البر .

حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ (رضى الله عنه)

دخل « حُذَيفةُ بْنُ اليَمَانِ » على رَسول الله (ﷺ) فى المسْجِد مع أبيه « حُسَيْل ابْنِ جَابِرٍ » ، وأخيه « صَفْوَان » يبايعونه ، ويُعْلِنُونَ إسْلاَمَهُمْ .. ولم يكونوا من أهل المدينة أصلاً ، ولكن « حُسَيْلَ بنَ جَابِر » جاءها مُحَالِفًا لبنى عَبْدِ الأشْهَل ، وهم من اليمن أصلاً .. فلُقِّبَ بـــ : « اليَمَان » ..

ولَقَد خَيَّر رسولُ الله (ﷺ) « حُذَيْفَةَ » بين الْهِجْرَة فيكون من المهاجرين ، وبين النُّصْرة فيُصْبِح من الأنصار – وهو الوحيد من أصحاب النبى (ﷺ) الذى حدث معه ذلك – فاختار النُّصْرَةَ ، وأصبح « حذيفة بن اليمان » (رضي الله عنه) من الأنصار .. (١)

وجاءت غزوة « بَدْر » ، وذهب « حُذَيْفة » إلى رسول الله (ﷺ) يقول له : إِنِّي خرَجْتُ أَنَا وَأَبِي « حُسَيْلٌ » ، فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ وقَالُوا : **إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا !!** .. فَقُلْنَا : **مَا نُرِيدُهُ ، مَا نُرِيدُ إِلاَّ الْمَدِينَةَ** .. فَأَخَذُوا منَّا عَهْدَ اللَّهِ ، وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَلاَ نُقَاتِلُ مَعَكَ .. فَقَالَ (ﷺ) : (**انْصَرِفَا .. نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ ، وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ**)(٢) .. وأذن له بالتخلف عن غزوة « بَدْر » ..

وحين جاءت غزوة « أُحُد » خرج فيها ، وبقى أبوه بأَمْر النبى (ﷺ) مع

(١) أُسد الغابة لابن الأثير .

(٢) رواه مسلم كتاب الجهاد والسِّيَر .

النساء والصبيان بالمدينة فقد كان شيخًا كبيرًا ، ولكنه حمل سيفه ، وخرج يلحق بالمسلمين ليقاتل معهم خوفًا من انقضاء أَجَله دون جِهَادٍ ، وانخرط فى صفوف المسلمين ، دون علم أَحَدٍ ، ليقاتل معهم ، فَقَتَلَه المسلمون خطأ ، ولمحه « حذيفة » (رضي الله عنه) وحاول أن يُدْرِكَهُ ، وصرخ فى المسلمين : **أَيْ عِبَادَ اللَّه ، أَبِي .. أَبِي ..** فذهبت صرخاته أدراج الرياح فقال : **يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ** [(١)] .. وعرض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على « حُذَيْفة » الدِّية ، فتصدق بِهَا على المسلمين ، فزاده ذلك عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خيرًا ..

ويحكى « حُذَيْفة » (رضي الله عنه) عن غزوة « الْخَنْدق » فيقول : وَاللَّه لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) بِالْخَنْدَقِ وَصَلَّى رَسُولُ اللَّه (صلى الله عليه وسلم) مِنَ اللَّيْلِ هَوِيًّا [(٢)] ، ثُمَّ الْتَفتَ إِلَيْنَا فَقَالَ : (**مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرَ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ – يَشْتَرِطُ لَهُ رَسُولُ اللَّه (صلى الله عليه وسلم) أَنَّهُ يَرْجِعُ – أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ ؟**) ، فَمَا قَامَ رَجُلٌ .. ثُمَّ صَلَّى رَسُولُ اللَّه (صلى الله عليه وسلم) هَوِيًّا مِنَ اللَّيْلِ ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا فَقَالَ : (**مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرَ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ – يَشْرِطُ لَهُ رَسُولُ اللَّه (صلى الله عليه وسلم) الرَّجْعَةَ – أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّة ؟**) ، فَمَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ مَعَ شِدَّةِ الْخَوْف ، وَشِدَّةِ الْجُوعِ ، وَشِدَّةِ الْبَرْدِ .. فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ دَعَانِي رَسُولُ اللَّه (صلى الله عليه وسلم) ، فَلَمْ يَكُنْ لِي بُدٌّ مِنَ الْقِيَامِ حِينَ دَعَانِي ، فَقَالَ : (**يَا حُذَيْفَةُ ، فَاذْهَبْ ، فَادْخُلْ فِي الْقَوْمِ ، فَانْظُرْ مَا يَفْعَلُونَ ، وَلاَ تُحْدِثَنَّ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِينَا**) .. قَالَ : فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ ، جَعَلْتُ

---

(١) رواه البخارى كتاب المغازى .
(٢) هُوِيًّا : زمنًا طويلاً .

كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ [1] ، وَذَهَبْتُ فَدَخَلْتُ فِي الْقَوْمِ ، وَالرِّيحُ وَجُنُودُ اللَّهِ تَفْعَلُ مَا تَفْعَلُ : لاَ تَقِرُّ لَهُمْ قِدْرٌ ، وَلاَ نَارٌ ، وَلاَ بِنَاءٌ .. فَقَامَ « أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ » فَقَالَ : **يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، لِيَنْظُر امْرُؤٌ مَنْ جَلِيسُهُ** .. فَأَخَذْتُ بِيَدِ الرَّجُلِ الَّذِي إِلَى جَنْبِي ، فَقُلْتُ : **مَنْ أَنْتَ ؟** .. قَالَ : **أَنَا فُلاَنُ بْنُ فُلاَن** .. ثُمَّ قَالَ « أَبُو سُفْيَانَ » : **يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنَّكُمْ وَاللَّهِ مَا أَصْبَحْتُمْ بِدَارِ مُقَامٍ ، لَقَدْ هَلَكَ الْكُرَاعُ** [2] **، وَأَخْلَفَتْنَا بَنُو قُرَيْظَةَ ، بَلَغَنَا مِنْهُمِ الَّذِي نَكْرَهُ ، وَلَقِينَا مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ مَا تَرَوْنَ ، وَاللَّهِ مَا تَطْمَئِنُّ لَنَا قِدْرٌ ، وَلاَ تَقُومُ لَنَا نَارٌ ، وَلاَ يَسْتَمْسِكُ لَنَا بِنَاءٌ ، فَارْتَحِلُوا فَإِنِّي مُرْتَحِلٌ** .. وَلَوْلاَ عَهْدُ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) : (**لاَ تُحْدِثْ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي**) لَقَتَلْتُهُ بِسَهْمٍ .. قَالَ « حُذَيْفَةُ » : ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) ، فَلَمَّا أَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَفَرَغْتُ ، قُرِرْتُ [3] ، فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا ، فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ : (**قُمْ يَا نَوْمَانُ**) .. [4]

ولقد كان « حُذَيْفَةُ بن اليَمَانِ » حريصًا كُلَّ الْحِرْص على معرفة الشَّرِّ حتى يتجنَّبه ، ويقول فى ذلك : **كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) عَنِ الْخَيْرِ** ،

---

[1] الحمام : الماء الحار .. والمراد أنه لم يجد البرد الذى يجده الناس ، ولا من تلك الريح الشديدة شيئا ، بل عافاه الله منه ببركة إجابته للنبي (ﷺ) ، وذهابه فيما وجهه له ، ودعائه (ﷺ) له ، واستمر ذلك اللطف به ومعافاته من البرد حتى عاد إلى النبي (ﷺ) ، فلما رجع ووصل عاد إليه البرد الذى يجده الناس .

[2] الكراع : اسم يطلق على الخيل والبغال والحمير .

[3] قررت : أصابني برد .

[4] رواه أحمد باقى مسند الأنصار ، ومسلم كتاب الجهاد والسير ، وابن سيد الناس فى عيون الأثر .

وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي ، فَقُلْتُ : **يَا رَسُولَ اللَّهِ .. إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟!** .. قَالَ : (**نَعَمْ**) .. فقُلْتُ : **وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ ؟!** .. قَالَ : (**نَعَمْ ، وَفِيهِ دَخَنٌ** [1]) .. قُلْتُ : **وَمَا دَخَنُهُ ؟!** .. قَالَ : (**قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي ، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي ، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ**) .. فَقُلْتُ : **فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟!** .. قَالَ : (**نَعَمْ .. دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**) .. قُلْتُ : **يَا رَسُولَ اللَّهِ ، صِفْهُمْ لَنَا** .. فَقَالَ : (**هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا ، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**) .. قُلْتُ : **فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ ؟** .. قَالَ : (**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِمَامَهُمْ**) .. قُلْتُ : **فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ ، وَلا إِمَامٌ ؟** .. قَالَ : (**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا ، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ ، وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**)[2] ..

ولِشدَّة حِرْصِ « حُذَيفة بن اليمان » على معرفة الشَّرِّ أطْلَعه رسول الله (ﷺ) على أسْمَاءِ المنافِقِين ، فكان الوحيد من الصحابة الذى يعرفهم بأسمائهم ، وأنسابِهم ، ولذلك سُمِّى بـــ : « صاحب سِرِّ رسول الله (ﷺ) » ..

ولقد كان « عمر بن الخطاب » (رضي الله عنه) حريصًا على البحث عن « حُذَيْفَة » فى الجنازات ، فإن رآه صلَّى على الجنازة صلَّى عليها ، وإن افْتَقَده فى جنازة لم يُصَلِّ عليها .. واستدعاه يومًا فى خلافته ، وقال له : **أَنْشُدُكَ اللَّهَ يَا حُذَيْفَةُ ، هَلْ**

---

[1] دخن : شوائب .

[2] رواه البخارى كتاب المناقب ، ومسلم كتاب الإمارة .

فِي عُمَّالِي أَحَدٌ مِنَ الْمُنَافِقِين ؟! .. فقال « حُذَيْفَة » : **نَعَمْ ، وَاحِدٌ فقط** .. فقال « عمر » : **ومَنْ هُوَ ؟!**.. فأبى « حُذَيْفَة » أن يخبره حتى لا يذيع السِّرَّ ، فأصبح وقد عزله « عمر » .. وكأن الله قد دلَّه عليه .. [1]

ويسأل « عُمَرُ » جلساءه يومًا ، وكان من بينهم « حُذَيْفَةُ بن اليَمَان » : **أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّه (ﷺ) فِي الْفِتْنَة ؟** .. فقال « حُذَيْفَة » : **أَنَا ، كَمَا قَالَهُ** .. فقال « عمر » : **إِنَّكَ عَلَيْه – أَوْ عَلَيْهَا – لَجَرِيءٌ** .. قال : **فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِه ، وَمَالِه ، وَوَلَدِه ، وَجَارِه تُكَفِّرُهَا الصَّلاَةُ ، وَالصَّوْمُ ، وَالصَّدَقَةُ ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ** .. قال « عمر » : **لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ ، وَلَكِنِ الْفِتْنَةُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَا يَمُوجُ الْبَحْرُ** .. فقال « حُذَيْفَة » : **لَيسَ عَلَيْكَ مِنْهَا بَأْسٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا** .. فيسأله « عمر » : **أَيُكْسَرُ أَمْ يُفْتَحُ ؟** .. قال « حذيفة » : **يُكْسَرُ** .. فقال « عمر » : **إِذًا لاَ يُغْلَق أَبَدًا** .. وخرج الناس من عند « عمر » وهم يتساءلون : ما هو الباب الذى يُكسَر ، وهل يعرفه « عمر » حتى إنه لم يسأل عنه ؟!.. وهابوا أن يسألوا « حذيفة » – فقد كان مُهَابًا بين الصحابة – فكلَّفُوا رَجُلاً يُدْعَى « مَسْرُوقًا » بسؤاله ، فسأله ، فقال « حذيفة » : **الْبَابُ عُمَرُ** .. فقال « مسروق » : **أَكَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ الْبَابَ ؟** .. قال : **نَعَمْ ، كَمَا أَنَّ دُونَ الْغَدِ اللَّيْلَةَ .. إِنِّي حَدَّثْتُهُ بِحَدِيثٍ لَيْسَ بِالأَغَالِيط** .. [2]

وكأنَّ « حذيفة » كان يعرف أن « عمر » سوف يُقْتَل ، وأن الفِتْنة تبدأ بعد

---

[1] أُسد الغابة لابن الأثير .
[2] رواه البخارى كتابى مواقيت الصلاة ، والمناقب .

مَقْتَلِه ، وأن أحْوَال المُسْلِمين تبدأ فى الاضطراب بعد الاستقرار ..

ويرسل « عمر بن الخطاب » (رضي الله عنه) الجيوش فى كل اتِّجاه - لينشُر كَلِمَةَ التوحيد - يقودها فرسان النهار ، ورهبان الليل .. ويكون من بين القادة « حذيفة ابن اليمان » فى معركة « همذان » ويرسل « عمر » يقول : (**أَمِيرُ الْجُيُوشِ النُّعْمَان بْنُ مُقَرِّن ، فَإِنْ قُتِلَ فحُذَيْفَة بْنُ الْيَمَان**) .. ويُقْتَلُ « النعمان » ، ويتولى قيادة الجيوش « حذيفة بن اليمان » ، ويسوق الله النصر على يديه ، فى موقعة « همذان » ثم يتابع انتصاراته فى موقعة « الرِّىّ » ثم موقعة « دينَوَر » ، وينادى « حذيفة » فى جنوده : **يَا أَصْحَابَ مُحَمَّد ، يا أهْلَ بَدْرٍ ، يَا أَهْلَ أُحُد ، يَا أَهْلَ الْخَنْدَق .. هَا هِيَ جِنَانُ رَبِّكُمْ قَدِ اشْتَاقَتْ إِلَيْكُمْ ، وتَهَيَّأَتْ لاسْتِقْبَالِكُمْ ، فلا تُطِيلُوا عَلَيْهَا الانْتِظَار ، الله أكْبَرُ ، صَدَقَ وَعْدَه ، الله أكْبَرُ ، نَصَرَ جُنْدَهُ** .. ويَفِرُّ الفُرْسُ الذين كان عددهم خمسة أضعاف عدد المسلمين .. إذ كانوا مائة وخمسين ألفًا ، والمسلمون ثلاثون ألفًا ، ويتابع « حذيفة » (رضي الله عنه) انتصاراته فى « الجزيرة » و« نصيبين » ..

ويولِّيه « عمر » (رضي الله عنه) إمارة « المدائن » ويكتب إلى أهلها : **اسْمَعُوا لَهُ وأَطِيعُوا ، وأَعْطُوهُ مَا سَأَلَكُمْ** .. على غير عادته فى كتبه إذ كان يكتب قائلا : **وَلَّيْتُ فُلانًا وأَمَرْتُهُ بكَذا ، وكَذَا .. فَأَطِيعُوهُ ما أطَاعَ اللَّهَ فِيكُم** [1] .. ويصل « حُذَيْفة » إلى « الْمَدَائِن » ويخرج إليه رؤساؤها لاستقباله ، وعهدهم بالأمراء

---

[1] أُسد الغابة لابن الأثير .

أَنَّهم يركبون الجياد المطهَّمة ، وأن لهم حُرَّاسًا يحيطون بِهِم ، وما إلى ذلك .. فإذا بِهِم يجدون أَمِيرَهم على خلاف ذلك ، وحين قرأ عليهم كتاب أَمِير المؤمنين ، قالوا : **سَلْنَا ما شئْتَ** ، قال : **أَسْأَلُكُمْ طَعَامًا لِى ، وعَلَفًا لِحمَارِى مَا دُمْتُ فِيكُمْ** (١) .. فأَقَامَ فِيهم يسير على نَهْج رسول الله (ﷺ) وسنَّته ، ويعطيهم من عِلْمه وحِكْمته ، والتى منها : **لَيْسَ خِيَارُكُمْ مَنْ تَرَكَ الدُّنْيَا للآخِرَة ، ولا خِيَارُكُمْ مَنْ تَرَكَ الآخِرَةَ للدُّنْيَا ، ولَكِنَّ خِيَارَكُمْ مَنْ أَخَذَ مِنْ كُلّ** (٢) ..

ويسأله رجل : أى الفِتَن أشدّ ؟!.. فيقول : **أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْكَ الْخَيْرُ والشَّرُّ ، لا تَدْرِى أَيَّهُمَا تَرْكَبُ** (٣) ..

ويُحَذِّر (رضي الله عنه) الناس قائلا : **إِيَّاكُمْ ومَوَاقِفَ الفِتَنِ** .. فقالوا : **ومَا مَوَاقِفُ الفِتَنِ يَا أَبَا عَبْدِ الله** ؟!.. قال : **أَبْوَابُ الأُمَرَاء ، يدْخُلُ أَحَدُكُمْ عَلَى الأَمِيرِ فيُصَدِّقه بالكَذِبِ ، ويَقُول ما لَيْسَ فِيه** (٤) ..

ويبين « حُذَيْفَة » (رضي الله عنه) أنواع القلوب فيقول : **القُلُوبُ أَرْبَعَةٌ : قَلْبٌ أَغْلَفُ ، فَذَلِكَ قَلْبُ الكَافِرِ .. وقَلْبٌ مُصَفَّحٌ ، فَذَلِكَ قَلْبُ الْمُنَافِقِ .. وقَلْبٌ أَجْرَدُ فِيه سِرَاجٌ يُزْهِرُ ، فذَاكَ قَلْبُ الْمُؤْمِن .. وقَلْبٌ فيه نفَاقٌ وإِيمَانٌ .. فَمَثَلُ الإيمانِ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ يَمُدُّهَا مَاءٌ طَيِّبٌ .. ومَثَلُ النِّفَاقِ مَثَلُ القُرْحَة يَمُدُّهَا قَيْحٌ ودَمٌ ، فَأَيُّهُما مَا غَلَبَ عَلَيْهِ غَلَب ..** (٥)

---

(١) أُسد الغابة لابن الأثير . (٢) رواه ابن عساكر . (٣) أُسد الغابة لابن الأثير .
(٤) رواه أبو نعيم فى حلية الأولياء . (٥) رواه أبو نعيم فى حلية الأولياء .

وتمضى الأيام ويُرْسِلُ « عُمَرُ » (رضي الله عنه) يستدعيه من « الْمَدَائِن » ، فلمَّا بلغ « عمرَ » قدومُه كَمَنَ له على الطريق ، فلما رآه « عمر » على الحال التى خرج من عنده عليها ، أتاه ، فاحتضنه ، وقال : **أنْتَ أَخِى ، وأنَا أَخُوكَ** [1] .. نَعَم ما كان لصاحب سِرِّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن تَغُرَّهُ الدُّنيا ، أو أن يعمل لها ، أو ينال منها فوق كفايته ، وصدق فى مقولته لأهل « الْمَدَائِن » : **أَسْأَلُكُمْ طَعَامًا لِى ، وعَلَفًا لِحِمَارِى مَا دُمْتُ فِيكُمْ** [2] ..

يظلُّ « حذيفة بن اليمان » حريصًا على الابتعاد عن الشَّرِّ حتى لا يُدرِكه ، حافظًا لوصايا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عاملاً بــها حتى يدنو الأجل ، ويمرض ، ويدخل عليه أصحابه يعودونه فيجدونه يبكى بكاءً شديدًا ، فيتعجَّبون ويقولون له : **أنْتَ صَاحِبُ سِرِّ رَسُولِ الله (صلى الله عليه وسلم) ، وأنْتَ الَّذِى اجْتَزْتَ الْخَنْدَقَ يَوْمَ غَزْوَةِ « الأَحْزَاب » لِتَنْدَسّ بَيْن الْمُشْرِكِينَ وتَأْتِى بِخَبَرِهِمْ ، وقَدْ بَلَغَتْ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ الْحَنَاجِرَ ولَمْ تَخَفْ ، أو تَتَرَدَّدْ .. تَبْكِى !!..** فيقول : **ولِمَ لا أبْكِى ، وأنَا لا أَدْرِى عَلامَ أَقْدُمُ ؟ .. عَلَى رِضًا ، أمْ عَلَى سَخَطٍ ، واللهِ مَا أَبْكِى أَسَفًا عَلَى الدُّنْيَا ، بِل الْمَوت أَحَبُّ إِلَيَّ** [3] .. ويحين الأجل ، فيسمعه أصحابه يهمس قائلا : **هَذِهِ آخِرُ سَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّى أُحِبُّكَ ، فَبَارِكْ لِى فِى لِقَائِكَ ..** [4]

---

[1] أُسد الغابة لابن الأثير . [2] أُسد الغابة لابن الأثير . [3] أُسد الغابة لابن الأثير .

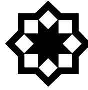
[4] أُسد الغابة لابن الأثير .

وكانت هذه آخر كلماته (رضي الله عنه) ثم لَحِقَ بالرِّفاق السابقين من أصحاب النَّبىِّ (صلى الله عليه وسلم) ، وكان ذلك بعد مقتل « عثمان بن عفان » (رضى الله عنه ، وعن الصحابة جميعًا) بأربعين ليلة ..

رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وأَرْضَاكَ يَا صَاحِبَ سِرِّ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) ..

ويا فَارِسَ « همذان » ، و« الرِّىّ » ، و« دِينَوَر » ..

وجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرَ مَا جَازَى بِهِ الْمُجَاهِدِينَ فِى سَبِيلِهِ ..



عَاصِمُ بْنُ ثَابِت (رضى الله عنه)

حين دخل الإسلام إلى المدينة المنوَّرة ، كان أسرع الناس إلى الدخول فيه شباب الأَوْس والْخَزْرَج الذين كانوا أعداء بالأَمْس ، فأَلَّف الله بين قلوبِهِم ، وأصبح تنافسهم فى سبيل الله بعد أن كان تنافسهم فى الدنيا ، والغلبة فى الحرب المستَعِرة بينهم منذ سنين عديدة .. وكان من شباب الأوس فتى شجاع كريم الأصل من بنى عمرو بن عَوْف هو « عَاصِم بن ثَابِت بن أَبِي الأَقْلَحِ الأنْصَارِيّ » .. ذلك الشاب الذى حرص على تَلَقِّى القُرْآن من « مُصْعَب بن عُمَيْر » ، الذى أرسله النبى (ﷺ) إلى المدينة بعد بيعة « العقبة الأولى » لِيُفَقِّه أهلها .. وكذلك حرص على الاقتداء بِهَدْى « عَمَّار بن يَاسِر » الذى شارك فى بناء مسجد « قُبَاء » لتتم فيه أوَّل صلاة جمعة فى الإسلام ..

وتوالى وصول المهاجرين إلى المدينة المنوَّرة ، ينــزلون فى ضيافة إخوانِهِم من الأنصار يشاركونَهم فى طعامهم ومجالسهم ، يزوِّدونَهم بِمَا تعلَّمُوه من رسول الله (ﷺ) ، ويحَفِّظُونَهم ما نزل من قرآن بمكَّة المكرَّمة حتى وصل رسول الله (ﷺ) مع « أبى بكر الصديق » (رضي الله عنه) ، ونزل على بنى عمرو بن عَوْف قبيلة « عاصم بن ثابت » فى « قُبَاء » ..

وتضىء المدينة المنوَّرة بنور رسول الله (ﷺ) الذى يؤاخي بين المهاجرين

والأنصار ، وتَتشكَّل النواة الأُولَى للمجتمع الإسلامى ، وتُوضَع اللبنة الأُولَى فى بناء الدولة الإسلامية ..

وتصل الأنباء إلى رسول الله (ﷺ) عن وصول قافلة كبيرة من الشام فى طريقها إلى مكَّة تحمل تجارة قريش بقيادة « أبى سفيان بن حرب » .. ويجدها رسول الله (ﷺ) فرصة للمهاجرين للحصول على ما يعوضهم عن أموالهم التى تركوها بمكَّة ، واستولى عليها كُفَّار قُريش ، فيستشير الناس فى الخروج لملاقاة القافلة والاستيلاء عليها .. ويُصِرّ الأنصار على الخروج مع إخوانِهم المهاجرين ليعاونوهم على تحصيل حقوقهم السليبة .. ويخرج النبى (ﷺ) فى ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً من المهاجرين والأنصار ، لا يحملون إلا السيوف ، وما كان معهم من الفرسان سوى اثنين هما : « الزبير بن العوام » ، و« الْمِقْدَاد بن عمرو » ، فما كانوا يتوقَّعون حربًا ولا قتالاً ..

ويطير خبر خروج النبى (ﷺ) وأصحابه إلى « أبى سُفيان » الذى يأخذ طريق ساحل البحر مبتعدًا عن الطريق المعتاد ناجيًا بقافلته ، ويرسل صارخًا إلى مكة أن أدركوا قافلتكم وأموالكم أن تقع فى أيدى المسلمين ..

وتخرج قريش عن بَكْرَة أبيها بسلاحها ، وعتادها .. يَخْتال صناديدها بسيوفهم ، وخيلهم ، ورماحهم .. مستهينين بالمسلمين لقِلَّة عددهم ، وعتادهم .. ويشاء الله تبارك وتعالى أن يُحِقَّ الحقَّ ، ويبطل الباطل .. فيلتقى الفريقان على غير موعد عند ماء « بَدْر » فى الطريق بين مكة والمدينة .. وتدور رحى المعركة ، ويتساقط

المشركون إلى مصارعهم كسقوط أوراق الشجر : فيُقْتَل منهم سبعون ، ويُؤْسَر سبعون آخرون .. وكان من بين القتلى زعماء الكُفْر ورءوس الضلالة : « عُتْبَة بن رَبِيعَة » ، و« شَيْبَة بن رَبِيعَة » ، و« الوَلِيد بن عُتْبَة » ، و« أبو جَهْل » ، و« أُمَيَّة بن خَلَف » الذين كانوا يسيمون المسلمين سوء العذاب بمكَّة ..

ويتفق أن يكون مقتل « عُقْبَة بن أبِى مُعَيْط » أحد الصناديد على يد « عاصم ابن ثابت » .. ذلك الشاب من شباب الأنصار الذى لم يكن معه إلا سهامه ، وإيمانه بالله عز وجَلَّ ، ورسوله (ﷺ) ..

ويهجم عليه أَخَوَان من مَكَّة هما : « مُسَافِع بن طَلْحَة » ، وأخوه « كلاب ابن طَلْحَة » ، كُلٌّ يريد أن يمزِّقه بسيفه .. ويصول « عاصم بن ثابت » ويجول متحصِّنًا بعقيدته وثقته بالله ، ويرشق « مُسَافِعًا » بسهم فيلقيه صريعًا .. ويتحوَّل إلى أخيه « كلاب » فيثخنه بالجراح ويتركه بين الحياة والموت ..

وتنتهى المعركة بنصر الله للمسلمين ، وإعلاء كلمته سبحانه .. وتأتى « أُمُّ مُسَافع وكلاب » تبحث عن ولديها بين القتلى فتدرك « كلابًا » وهو يلفظ أنفاسه .. فتسأله : **يَا بُنَيَّ ، مَنْ أَصَابَكَ ؟!**.. فيقول : سمعت رجلاً حين رماني بسهمه يقول : **خُذْهَا وأَنَا ابْنُ الأَقْلَح** [1] .. ولا يهدأ للمرأة بال حتى تعلم من هو « ابن الأقلح » ، فإذا به « عاصم بن ثابت » زينة شباب الأنصار ..

وتركع المرأة تحت أقدام أصنامها تقِّدم القرابين .. الواحد تلو الآخر .. وترصد

---

(1) سيرة ابن هشام .

مكافأة كبرى لِمَنْ يأتيها برأس « عاصم بن ثابت » لتشرب فيه الخمر ، وتشفى غليلها ..

وتمضى الأيام ، ويبعث النبى (ﷺ) سَرِيَّة من عشرة أفراد ، ليتتبَّعُوا أخبار قُرَيش ، ويؤمِّر عليهم ذلك الشاب المقدام « عاصم بن ثابت » .. وتمضى السَّرِيَّة فى طريقها يتسمَّعون الأخبار ، ويتتبَّعون الآثار .. حتى وصلوا إلى مكان بين عَسْفَان وَمَكَّة ، فأحسَّ بِهِم « بَنُو لِحْيَان » .. فتتبَّعوهم فى مائة رجل من أمْهَر الرماة حتى لحقوهم وحاصروهم فى جبل من الجبال ، ونادوا عليهم قائلين : **انْزِلُوا وَأَعْطُونَا بِأَيْدِيكُمْ** [1] ، **وَلَكُمُ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ أَنْ لا نَقْتُلَ مِنْكُمْ أَحَدًا** ..

ونظر أفراد السَّرِيَّة إلى أميرهم « عاصم بن ثابت » يتلقون أمره .. فقال : **أَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ لاَ أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ ، اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ** [2] .. وكان « عاصم » (رضي الله عنه) قد عاهد الله **أن لا يَمَسّ مُشْرِكًا أبدًا ، ولا يَمَسّه مُشْرِك** [3] .. وبدأ القتال ، وأخذ الرماة يرمون أفراد السَّرِيَّةِ متحرِّين أميرهم الذى حرَّضهم على الثبات .. فقتلوه فى سبعة من إخوانه .. ولم يبق إلا ثلاثة : « خُبَيْب بن عَدِىّ » ، و« زيد بن الدَّثِنَة » ، و« عبد الله بن طارق » ، فأوثقوهم ، وأخذوهم ليبيعوهم بمكَّة ، فقاومهم « عبد الله بن طارق » فقتلوه ..

ولقد كان طمعهم فى المكافأة التى رَصَدَتْها « أم مسافع وكلاب » لِمَنْ يأتيها برأس « عاصم بن ثابت » دافعًا قويًّا لفصل رأسه عن جسده وحملها إلى مكة ..

---

[1] أى استسلموا بغير مقاومة . [2] رواه البخارى كتاب المغازى . [3] سيرة ابن هشام .

فذهبوا جميعًا للبحث عن هذا الجسد .. وإذا بسرب عظيم من الدَّبْرِ [1] يظلِّل جَسَد « عاصم » ، ويحيط به من كل جانب فلا يستطيع أحد أن يقترب منه .. فلمَّا عجزوا عن ذلك ويئسوا قال بعضهم : **دَعُوه يُمْسِي فتذهب عنه الدَّبْر فنأخذه** [2] .. وجاء الليل ، وجاء معه سيل عارم حمل جَسَد « عاصم بن ثابت » إلى حيث لا يقدر عليه أحد ، ولا يعلم مكانه أحد ..

واستجاب الله تبارك وتعالى لدعوة « عاصم بن ثابت » : **اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ** .. ونَزَلَ « جبريل » (عليه السلام) فأخبره (ﷺ) بِمَا حدث ، فحزن حزنًا شديدًا .. وقنت شهرًا يدعو على « بنى لِحْيَان » .. هؤلاء القوم الذين أعماهم الطمع فى المال عن رؤية الحق ، وقتلوا - دون هدف أو غاية - رجالاً لم يبدأوهم بالقتال ، ولم يكن بينهم وبينهم عداوة ، أو ثأر سابق ..

وفى ذلك أنشد « حسَّان بن ثابت » شاعر النبى (ﷺ) قائلاً :

لَعَمْرِى لَقَدْ شَانَت هُذَيْلَ بَن مُدركٍ أحاديثُ كانت فى خُبَيْبٍ وعاصمِ
أَحادِيثُ لِحيَــان صَلُــوا بِقَبِيحِهَا ولِحيَــانُ ركَّابون شَرَّ الْجَرَائمِ [3]

ومما يُلْفت النظر أن النبى (ﷺ) دعا على قَتَلَةِ « عاصم بن ثابت » لِمُدَّة شهر الأمر الذى لم يحدث مع غيرهم من المشركين الذين قتلوا بعض المسلمين فى معارك كغزوة « أُحُد » وغيرها من الغزوات .. وقد أصبح مَنْ أسلم منهم من بعدُ إخوانًا للمسلمين تنفيذًا لقول الله عز وجل : (فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ

(1) الدَّبْر : ذكور النحل . (2) سيرة ابن هشام . (3) أُسد الغابة لابن الأثير .

فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)[1] ..

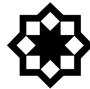
وإن كان لنا أن نستشف شيئًا فهو مدى مَنْزِلة « عاصم بن ثابت » (رضي الله عنه) عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومدى حزنه عليه ، وبشاعة الْجُرْم الذى ارتكبه « بنو لِحْيَان » ..

هذا .. وبعدما علم النبى (صلى الله عليه وسلم) من « جبريل » (عليه السلام) بِمَا حدث ، أرسل « الزبير بن العوام » ، و« المقداد بن عمرو » (رضي الله عنهما) بفرسيهما إلى حيث قُتِل « عاصم بن ثابت » ليدفناه ، فلما وصلا إلى مكان المعركة – كما أخبرهم النبى (صلى الله عليه وسلم) – لم يجدا أثرًا لـــ « عاصم بن ثابت » (رضي الله عنه) ..

وقد أطلق الصحابة (رضي الله عنهم) على « عاصم بن ثابت » لقب : « حَمِىّ الدَّبْر » ، فقد حماه الله سبحانه وتعالى بالدَّبْر من كيد الأعداء ، ولم يُمكِّنِ المشركين من لَمْسِه حيًّا أو ميتًا ، وحمله السَّيْلُ إلى حيث ينعم بأَمْن الله وأمانه ، ويحظى برحمته ورضوانه .. فقد وفَى بعهده مع الله ، فوفى الله بعهدِه معه .. ومَنْ أَوْفَى بعهده من الله ؟ .. وصدق سبحانه وتعالى إذ يقول : (مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا)[2] ..

رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وأَرْضَاكَ يا حَمِيَّ الدَّبْر ..

وجَزَاكَ عَلَى وَفَائِكَ بِعَهْدِكَ خَيْرَ مَا جَازَى بِه الْمُوفِينَ بِعَهْدِهِم ..



[1] سورة التوبة آية ١١ . [2] سورة الأحزاب آية ٢٣ .

خُبَيْبُ بْنُ عَدِيّ (رضى الله عنه)

كان « خُبَيْبُ بْنُ عَدِىّ » زينة شَبَابِ الأَوْسِ ، ومِنَ السابقين فى الإسلام ، ومِنْ أشْجَعِ الأنصار ، وأَشَدّهم تَصَلُّبًا فى الْحَقِّ .. وقد خرج مع رسول الله (ﷺ) فى غزوة « بَدْر » وأبْلَى فِيها بَلاَءً حَسَنًا ، وقتل رَجُلاً مِنْ صَنَادِيدِ قُرِيْش يُدْعَى « الْحَارِث بن عَامِر بْنِ نَوْفل » .. وطار الْخَبَرُ إلى أهل مَكَّةَ ، وعَلِمَ بنو الحارث بذلك فحفظوا الاسم .. وتربَّصُوا بصاحِبِهِ حتى يثأروا منه لِمَقْتَل أبيهم ..

ويشاء الله تبارك وتعالى أن يبعث رسولُ الله (ﷺ) عشرةً من الرجال يتحسَّسُون أخبار قُرَيْشٍ ، وكان منهم « خُبَيْبُ بنُ عَدِىّ » (رضي الله عنه) ، وأمَّرَ عليهم « عَاصِمَ بْنَ ثَابت » (رضي الله عنه) .. فانطلقوا حتى إذا كانوا بـــ « الْهَدَةِ » بين عَسْفَان وَمَكَّة ، ذُكِرُوا لِحَىٍّ من « هُذَيْل » يُقَالُ لَهُمْ : « بَنُو لِحْيَان » ، فنفرُوا إليهم بقريب من مائة رَامٍ ، فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ حَتَّى أَتَوْا مَنْزِلاً نَزَلُوهُ فَوَجَدُوا فِيهِ نَوَى تَمْرٍ تَزَوَّدُوهُ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَقَالُوا : **هَذَا تَمْرُ يَثْرِبَ** .. واتّبعوا آثارهم ، فلما أحسَّ بِهِم « عاصم » وأصحابه لجأوا إلى موضع مرتفع من الأرض فتحصَّنوا به ، فأحاط بِهِم القوم ، وقالوا : **انْزِلُوا وَأَعْطُونَا بِأَيْدِيكُمْ** [1] ، **وَلَكُمُ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ أَنْ لا نَقْتُلَ مِنْكُمْ أَحَدًا** .. فقال « عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ » أَمِيرُ السَّرِيَّةِ : **أَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ لاَ أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ**

---

[1] أى استسلموا بغير مقاومة .

كَافِرٍ ، **اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ** [1] .. فَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ ، فَقَتَلُوا « عَاصِمًا » فِي سَبْعَةٍ من إخوانه .. ولم يبق إلا ثلاثة نزلوا إليهم على العَهْد والميثاق وهم : « خُبَيْبُ بْنُ عَدِىّ » ، و« زَيْدُ بن الدَّثِنَة » ، و« عَبْدُ الله بن طَارِق » ، فلما تمكَّنُوا منهم أوثقوهم ، فقال « عبد الله بن طارق » : **هَذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ ، وَاللَّه لاَ أَصْحَبُكُمْ ، إِنَّ لِي فِي هَؤُلاَءِ لأُسْوَةً** [2] .. وقَاوَمَهُمْ فَجَرْجَرُوه ، وأَبَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فقتَلُوه ، وانطلقوا بـــ « خُبَيْبِ بْنِ عَدِىّ » ، و« زَيْدِ بنِ الدَّثِنَة » إلى مَكَّة .. فباعوا « خُبَيْبًا » إلى بَنِى الْحَارِث لِيَأْخُذُوا ثَأْرَهُمْ مِنْهُ ، وبَاعُوا « زَيْدَ بْنَ الدَّثِنَة » إلى « صَفْوَان بن أُمَيَّة » ليقتله بأبيه « أُمَيَّة بن خَلَف » ..

أمَّا « زَيْد » (رضي الله عنه) فقد أخرجه « صَفْوَان بن أُمَيَّة » من الْحَرَمِ إلى التَّنْعِيم مع مَوْلًى له ليقتله ، فاجتمع إليه رهط من قريش فيهم « أبو سُفْيَان بن حَرْب » ، فقال « أبو سُفْيَان » لـــ « زَيْد » حين قُدِّم لِيُقْتَل : **نَشَدْتُكَ بِاللهِ يا زَيْدُ ، أَتُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّدًا عِنْدَنَا الآنَ بِمَكَانِكَ يُضْرَبُ عُنُقُهُ ، وأَنَّكَ فِي أَهْلِك ؟** .. فقال « زَيْد » : **واللهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّدًا الآنَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ وأَنِّي جَالِسٌ فِي أَهْلِي** .. فقال « أبو سُفْيَان » : **مَا رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا** .. ثم قتلوه .. [3]

وأمَّا « خُبَيْب » (رضي الله عنه) فقد أخذه بنو الحارث فأوثقوه ، وسجنوه ، وساموه سُوءَ العَذَابِ محاولين أن يرُدُّوه عن دِينِهِ ، فَلَمْ يُفْلِحُوا ، فأخبروه بقَتْلِ زَمِيلِهِ « زَيْدِ

---

[1] رواه البخارى كتاب المغازى .
[2] يقصد إخوانه الذين قُتِلُوا .
[3] رواه أبو نعيم ، وذكره ابن هشام فى سيرته .

ابْن الدَّثِنَة » حتى تنهار مقاومته .. فما زاده ذلك إلا إصرارًا على التمسُّك بدينِه وعقيدته ، فقرَّروا قتله ، والخلاص منه .. فاستعارَ مِنْ بعض بنات الحارث مُوسَى ليزيل بِهَا شَعْرَ العَانَة استعدادًا للقَتْل ، فأعارته إيَّاها ، وكان لها صَبِىٌّ صَغِيرٌ فَغَفَلَتْ عَنْهُ فحَبَا حتى وصَلَ إلى « خُبَيْبِ بْنِ عَدِىّ » فى مَحْبسه ، وطار عَقْلُ المرأة ، وأسرعت فوجدت صبيَّها يَجْلِسُ على فَخِذ « خُبَيْب » والْمُوسَى بيَده ، ففزعت المرأة فَزْعَةً رآها « خُبَيْبٌ » (رضي الله عنه) فى عَيْنَيْها فقال : **أَتَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ ؟! مَا كُنْتُ لأَفْعَلَ ذَلِكَ !! ..** [1]

سبحان الله .. نعم ما كان « خُبَيْبٌ » ليفعل ذلك وهو صاحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذى كان قُدْوَةً لأصحابه فى الوفاء وحُسْن الْخُلُق ، وما كان من شيمته الغَدْر ، أو الْخِيَانَة ، أو إرهاب النساء والصبيان ، ولو شاء « خُبَيْبٌ » (رضي الله عنه) لانتقم لِنَفْسه بِقَتْل الصَّبي ، أو احتفظ به كرهينة حتى يَحُلُّوا وثاقه ، ويعطوه فَرَسًا وسَيْفًا لِيَهْرُبَ إلى الْمَدِينَة ، وينجو بِنَفْسِه .. ولو فعل ذلك لأصبح قاتلاً ، أو إرْهَابِيًّا ، وما استحقَّ أن يكون صاحِبًا لِمنْ بُعِثَ لِيُتَمِّمَ مكارمَ الأخْلاَقِ .. ما أعظم الإسلام .. وما أعظم ما يدعو إليه من عَدْلٍ وسماحة ، وعدم أخذ أَحَدٍ بجَرِيرَة أحَدٍ ، أو بِذَنْبِهِ .. ويكفى أن نستمع لشهادة أُمِّ الصَّبي إذ تقول : **وَاللَّه مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ ، وَاللَّه لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْمًا يَأْكُلُ مِنْ قطْف عنبٍ فِي يَدِهِ ، وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ فِي الْحَدِيدِ ، وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمرٍ** .. وَكَانَتْ تَقُولُ : **إِنَّهُ**

[1] رواه البخارى كتاب المغازى .

لَرِزْقٌ مِنَ اللَّهِ رَزَقَهُ خُبَيْبًا .. [1]

ولَمَّا أجمع القومُ أَنْ يَقْتُلوا « خُبَيْبًا » ، خرجوا به من الْحَرَمِ إلى التَّنْعِيمِ ليَقْتُلُوه فى الحِلِّ ، ولا يقْتُلُوه فى الْحَرَم .. فطَلب منهم أن يصلِّى ركعتين .. فتركوه فصَلَّى ثم قال : **وَاللَّهِ لَوْلاَ أَنْ تَحْسَبُوا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ مِنَ الْمَوْتِ لَزِدْتُ** [2] .. فكان « خُبَيْبٌ » (رضي الله عنه) أوَّلَ مَنْ سَنَّ صلاة ركعتين لِمَنْ يُقتل صَبْرًا [3] ..

ويقوم بنو الحارث بإعداد صَليبٍ من جذوع النَّخْل ليصلبوا عليه « خُبَيْبًا » ، فينظر (رضي الله عنه) إليهم ويقول : **اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا ، وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا ، وَلاَ تُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا** [4] .. ثم ينشد شعرًا يقول فيه :

لَقَدْ جَمَعَ الأَحْــزَابُ حَوْلِى وأَلَّبُوا ... قَبَائِلَهُم واسْتَجْمَعُوا كُــلَّ مَجْمَع

وقَــدْ قَرَّبُــوا أَبْنَاءَهُم ونِسَاءَهُم ... وَقُــرِّبْتُ مِنْ جِــذْعٍ طَوِيلٍ مُمَنَّع

وكُلُّهُم يُبْــدِي الْعَــدَاوَةَ جَاهِدًا ... عَلَيَّ ، لأَنِّــى فِى وَثَــاقٍ بِمَضْيَع

إِلَى اللهِ أَشْكُو غُرْبَتِى بَعْــدَ كُرْبَتِى ... ومَا جَمَعَ الأَحْزَابُ لِى عِنْدَ مَصْرَعِى

فَذَا الْعَرْشِ صَبِّرْنِى عَلَى مَا أَصَابَنِى ... فَقَدْ بَضَّعُوا لَحْمِي وقَدْ ضَلَّ مَطْعَمِى

وَذَلِكَ فِي ذَات الإِلَــــهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَــارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّع

وقَدْ عَرَضُوا بِالْكُفْرِ والْمَوْتُ دُونَــهُ ... وقَــدْ ذَرَفَتْ عَيْنَاىَ مِنْ غَيْرِ مَدْمَع

ومَا بِي حَــذَارِ الْمَوْتِ ، إِنِّى لَمَيِّتٌ ... ولَكِنْ حَــذَارِي حَــرُّ نَــارٍ تلَفَّع

---

[1] رواه البخارى كتاب الجهاد والسِّيَر .

[2] رواه البخارى كتاب المغازى .

[3] أى ينتظر القتل ، كالمحكوم عليه بالإعدام وما إلى ذلك .

[4] رواه البخارى كتاب المغازى .

فَلَسْــتُ بِمُبْدٍ لِلْعَــدُوِّ تَخَشُّــعًا وَلاَ جَــزَعًا ، إِنِّــي إِلَى اللهِ مَرْجِعِي
وَلَسْــتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَــلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللهِ مَصْرَعِي

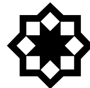
فقام إليه « عُقْبَةُ بنُ الحارثِ » فرماه بالنَّبْل فقتَلَه .. [1]

واستجاب الله لـــ « عَاصِمِ بن ثابت » أمير السَّرِيَّة فأرسل « جبريل » (عليه السلام) فأخبر النبى (ﷺ) بالْخَبَرِ ، فأرسل « الزُّبَيْرَ بن العَوَّام » ، و« الْمِقْدَادَ بن عمرو » بفرسَيْهما إلى حيث قتل « عَاصِمِ بن ثابت » ليدفنوه ، وأرسل « عَمْرو بن أُمَيَّة الضَّمْرِىّ » إلى حيث صُلِبَ « خُبَيْبُ بْنُ عَدِىّ » لِدَفْنِهِ حتى لا يظَلَّ مُعَلَّقًا على الصَّلِيبِ ، ويذهب « عَمْرٌو » متخفِّيًا يتحَيَّن الفرصة لتنفيذ أَمْر رسول الله (ﷺ) ويحكى فيقول : **جِئْتُ إِلَى خَشَبَةِ خُبَيْب وَأَنَا أَتَخَوَّفُ الْعُيُونَ ، فَرَقِيتُ فِيهَا ، فَحَلَلْتُ خُبَيْبًا ، فَوَقَعَ إِلَى الأَرْضِ ، فَانْتَبَذْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ ، ثُمَّ الْتَفَتُّ فَلَمْ أَرَ خُبَيْبًا ، وَلَكَأَنَّمَا ابْتَلَعَتْهُ الأَرْضُ .. فَلَمْ يُرَ لِخُبَيْبٍ أَثَرٌ حَتَّى السَّاعَةِ ..** [2]

وهكذا كان « خُبَيْبُ بْنُ عَدِىّ » (رضي الله عنه) أول مصلوب فى الإسلام فى سبيل الله .. ولا يعلم أحد أين ذهب جَسَدُه الطاهر ، وكأنَّ الأرضَ قد انشقَّت فابتلعته ، أو كأنَّه طَارَ إلى السَّمَاء ..

سَلاَمٌ عَلَيْكَ يَا أَوَّلَ مَصْلُوبٍ فِى الإِسْلاَم ..

سَلاَمٌ عَلَيْكَ يا مَنْ سَنَنْتَ صَلاةَ الرَّكْعَتَيْنِ لِمَنْ يُقْتَل صَبْرًا ..



(١) أُسد الغابة لابن الأثير .
(٢) رواه أحمد مسند الشاميين .

سَعْدُ بْنُ مُعَاذ (رضى الله عنه)

أسرع بعض الناس إلى « سَعْدِ بن مُعَاذ » سَيِّد الأَوْس يخبرونه أن ابن خالته « أَسْعَد بن زُرَارة » قد استضاف « مُصْعَبَ بنَ عُمَيْر » القادم من مكَّة لنشر الإسلام بالمدينة .. فذهب « سعد بن معاذ » إليه ، فوجد « مُصْعبًا » عنده ، يقرأ القرآن على الناس ، ويحدِّثهم عن الإسلام .. فسمع منه فشرح الله صدره للإسلام ، فخرج وجمع قومه : « بنى عبد الأَشْهَل » وقال لهم : **كَلاَمُ رِجَالِكُمْ ونِسَائِكُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ حَتَّى تُسْلِمُوا** .. فأسلَمُوا جميعًا [1] .. فكان (رضي الله عنه) من أكثر الناس بَرَكَة فى الإسلام .. وفتح بنو الأَشْهَل ديارهم للمهاجرين ، وواسوهم بأموالهم ، وكانوا من أكثر الناس إنفاقًا على المهاجرين ..

وهاجر النبى (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة ، وقد انتشر الإسلام فى ربوعها بفضل إسلام « سَعْد بن مُعَاذ » سَيِّد الأَوْس ، و« سَعْد بن عُبَادة » سَيِّد الْخَزْرَج ، و« الأَوْس » و« الْخَزْرَج » أكبر قبيلتين بالمدينة المنوَّرة ..

وجاءت غزوة « بَدْر » ، وجمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أصحابه من المهاجرين والأنصار ، واستشار الناس ، فتكلم « أبو بكر » ، وتكلم « عمر » ، ثم قام « الْمقْدَاد ابن عمرو » فقال : **يا رسول الله .. امْضِ لِمَا أراك الله فنحن معك ، والله لاَ نَقُولُ**

---

[1] الإصابة لابن حجر .

لكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى : اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتلاَ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ، وَلَكِنِ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا مَعَكُمَا مُقَاتِلُونَ .. وسكت الناس ، فقال رسول الله (ﷺ) : (**أشيرُوا عَلَيَّ أيها الناس**) – يريد الأنصار – فقال « سعد بن معاذ » : **لكَأَنَّكَ تُرِيدُنَا يَا رَسُولَ الله ؟** .. قال : (**أَجَلْ**) .. قال « سعد » : **لقد آمَنَّا بكَ وصَدَّقْنَاكَ ، وشَهِدْنَا أَنَّ ما جِئْتَ بِهِ هو الْحَقّ ، وأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلكَ عُهُودَنَا ومَوَاثِيقَنَا عَلَى السَّمْعِ والطَّاعَةِ ، فامْضِ يا رَسُولَ الله لمَا أَرَدْتَ فَنَحْنُ مَعَكَ ، فَوالَّذى بَعَثَكَ بالْحَقِّ ، لَو اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْر فَخُضْتَه لَخُضْنَاه مَعَكَ ، ما تَخَلَّف مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ ، وما نَكْرَهُ أَنْ تَلْقَى بنَا عَدُوَّنَا غدًا ، إِنَّا لَصُبُرٌ فى الْحَرْبِ ، صُدُقٌ فى اللِّقَاءِ .. لَعَلَّ الله يُرِيكَ مِنَّا ما تَقَرُّ به عَيْنُك ، فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ الله** .. فانشرح رسول الله (ﷺ) لهذه المقالة الصادقة الشجاعة ، وقرر أن يخرج إلى غزوة « بدر » وقال : **سِيرُوا وأبْشِرُوا ، فَإِنَّ الله تَعَالَى قَدْ وَعَدَنِى إِحْدَى الطَّائِفَتَيْن .. والله لَكَأَنِّي الآنَ أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ** [1] ..

وتحقَّق وَعْد الله ، وانتصر المسلمون فى « بَدْر » نصرًا مؤزَّرًا ، وأبلى « سعد ابن معاذ » فيها بلاءً حسَنًا ، ثم جاءت غزوة « أُحُد » ، وكان « سعد » مِمَّن ثبت مع رسول الله (ﷺ) ..

ولقد كان « سعد بن معاذ » حليفًا ليهود بنى قُرَيْظَة قبل إسلامه .. فأرسله رسول الله (ﷺ) يسألهم إن كانوا مازالوا على عَهْدِهم مع الرسول (ﷺ) بألا

---

[1] سيرة ابن هشام .

يُنَاصِرُوا عليه أحدًا – ذلك العهد الذى عقده معهم بعد هجرته إلى المدينة وأمَّنهم فيه على ديارهم وأموالهم – أم إنَّهم نقضوه ؟!.. فقد بلغه أن بعض زعمائهم خرجوا من المدينة سِرًّا ، وقابلوا زعماءَ قُرَيْش وحرَّضُوهم على مهاجمة المسلمين بالمدينة على أن يَنْقُضُوا هم عَهْدَهُم مع الرسول (ﷺ) ، وينـــزلوا من حصونِهم لمهاجمة المسلمين ، فيحصروهم من الخارج والداخل ، ويستأصلوا شَأْفَتَهُمْ .. ولم يكتفوا بذلك بل مَرُّوا فى طريقهم على قبيلة « غَطَفَان » وهى من أكبر قبائل العرب ، واتفقوا مع زعيمهم « عُيَيْنَة بن حِصْن » على الانضمام إلى قُرَيْش فى مهاجمة المسلمين بالمدينة ، ووعدوه بالمال والثمار مكافأة له على ذلك ..

وحين ذهب « سعد بن معاذ » لمقابلة زعماء يهود قُرَيْظَة يسألهم عن عهدهم مع رسول الله (ﷺ) قالوا له : **لاَ عَهْدَ بَيْنَنَا وبَيْنَ مُحَمَّدٍ ولاَ عَقْد** [1] .. فاتضح غدرهم وانكشفت نواياهم ..

وتخرج قُرَيْش للحرب عن بَكْرَة أبيها ، ومعها غَطَفَان ، وبعض قبائل العرب ، فأمر رسول الله (ﷺ) بحَفْر الخندق حول المدينة ، وجمْعِ النساء والذَّرَارِى فى الحصون خوفًا عليهم من العَدُو .. وأرسل إلى زعيم قبيلة غَطَفَان يَعْرِض عليه أن يعتزل الْحَرْب ، ويرجع من حيث هو ، وله ثلث ثمار المدينَة فوافق على ذلك ، وقبل أن يمضى رسول الله (ﷺ) الاتِّفاق أرسل فى طلب زعيمى الأوْس والْخَزْرَج : « سَعْد بن مُعَاذ » و« سَعْد بن عُبَادَة » يعرض عليهما ذلك الاتفاق .. فقالا له :

---

[1] سيرة ابن هشام .

يَا رَسُولَ الله ، أَمْرًا تُحِبُّهُ فَنَصْنَعُهُ ، أَمْ شَيْئًا أَمَرَكَ اللهُ بِهِ لاَبُدَّ لَنَا مِنَ الْعَمَلِ بِهِ ، أَمْ شَيْئًا تَصْنَعُهُ لَنَا ؟ .. قَالَ : (بَلْ شَيْءٌ أَصْنَعُهُ لَكُمْ .. وَاللهِ مَا أَصْنَعُ ذَلِكَ إِلاَّ لأَنَّنِي رَأَيْتُ الْعَرَبَ قَدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَكَالَبُوكُمْ [1] مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَكْسِرَ عَنْكُمْ مِنْ شَوْكَتِهِمْ إِلَى أَمْرٍ مَا) .. فَقَالَ لَهُ « سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ » : يَا رَسُولَ الله ، قَدْ كُنَّا نَحْنُ وَهَؤُلاَءِ الْقَوْمُ عَلَى الشِّرْكِ بِاللهِ وَعِبَادَةِ الأَوْثَانِ ، لاَ نَعْبُدُ اللهَ وَلاَ نَعْرِفُهُ ، وَهُمْ لاَ يَطْمَعُونَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهَا تَمْرَةً إِلاَّ قِرًى [2] أَوْ بَيْعًا .. أَفَحِينَ أَكْرَمَنَا اللهُ بِالإِسْلاَمِ وَهَدَانَا لَهُ ، وَأَعَزَّنَا بِكَ وَبِهِ ، نُعْطِيهِمْ أَمْوَالَنَا ؟! .. وَاللهِ ، مَا لَنَا بِهَذَا مِنْ حَاجَةٍ ، وَاللهِ لاَ نُعْطِيهِمْ إِلاَّ السَّيْفَ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ [3] .. فَسُرَّ رسول الله (ﷺ) بمقالته ، ولم يُتْمِمْ الاتفاق مع غَطَفَان ، واستعدَّ الجميع للحَرب ، ولبسوا ملابسها ..

وتحكى السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) فتقول : **كُنْتُ فِى حِصْنِ بَنِى حَارِثَةَ مَعَ أُمِّ سَعْدِ بنِ مُعَاذ ، ولم يَكُنِ الْحِجَابُ قَدْ فُرِضَ بَعْد .. فَمَرَّ سعدُ بن مُعَاذ عليه دِرْعٌ له مُقَلَّصَة [4] قَدْ خَرَجَ منها ذراعه ، وفى يده حربة ، وهو يقول :**

لَبِّثْ قَلِيلاً يَلْحَق الْهَيْجَا حَمَل   لاَ بَأْسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الأَجَل

فقالت « أم سعد » : **الْحَقْ يَا بُنَىَّ ، قَدْ واللهِ أَخَّرت** .. فقالت « عائشة » : **يا أُمَّ سَعْد ، لَوَدِدْتُ أَنَّ دِرْعَ سَعْدٍ أَسْبَغُ مِمَّا هى** .. فأصيب « سعد بن معاذ »

---

[1] كالبوكم : غالبوكم واجتمعوا عليكم .
[2] القرى : ما يقدم للضيف .
[3] سيرة ابن هشام .
[4] صغيرة منضمّة .

حيث خافت عليه السيدة « عائشة » بسهم فى الأَكْحَل [1] رماه به رجل من قريش ، فنَزَف دمه ، فقال رسول الله (ﷺ) : **اجْعَلُوهُ فِي خَيْمَةِ رُفَيْدَةَ [2] حَتَّى أَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ ..** [3]

ويرسل الله تبارك وتعالى الرِّيحَ على جيش قُرَيْش ، ومَنْ معهم فتنطفئ نيرانُهم ، وتُهدم خيامهم ، وتنكفئ قدورهم ، وينادى « أبو سفيان » فى الناس : **يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنَّكُمْ وَاللَّه مَا أَصْبَحْتُمْ بِدَارِ مُقَامٍ ، لَقَدْ هَلَكَ الْكُرَاعُ [4] ، وَأَخْلَفَتْنَا بَنُو قُرَيْظَةَ ، بَلَغَنَا مِنْهُمِ الَّذي نَكْرَهُ ، وَلَقِينَا مِنْ هَذِه الرِّيحِ مَا تَرَوْنَ ، وَاللَّه مَا تَطْمَئِنُّ لَنَا قِدْرٌ ، وَلاَ تَقُومُ لَنَا نَارٌ ، وَلاَ يَسْتَمْسِكُ لَنَا بِنَاءٌ ، فَارْتَحِلُوا فَإِنِّي مُرْتَحِلٌ** [5] .. ويتفرَّق الأحزاب ، وقد ملأ الله قلوبَهم رُعْبًا وهَلَعًا ، ويعود أهل المدينة من المهاجرين والأنصار إلى بيوتِهم آمنين فرحين بنصر الله ..

وينْزِل « جبريل » (عليه السلام) على النبى (ﷺ) فى بيته ، وقد همَّ بِخَلْع ملابس الحرب فيقول له : **أَوَقَدْ وَضَعْتَ السِّلاَحَ يَا رَسُولَ الله ؟** .. فقَالَ النبى (ﷺ) : **نَعَمْ** .. فَقَالَ « جِبْرِيلُ » : **وَاللَّه مَا وَضَعْنَاهُ ! اخْرُجْ إِلَيْهِمْ** .. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) : **فَأَيْنَ ؟** .. فَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ .. فَأَمَرَ رَسُولُ الله (ﷺ) مُؤَذِّنًا ، فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ : **مَنْ كَانَ سَامِعًا مُطِيعًا ، فَلاَ يُصَلِّيَنَّ الْعَصْرَ إلاَّ بِبَنِي قُرَيْظَةَ ..** [6]

---

[1] الأكحل : عرق فى وسط الذراع .
[2] رفيدة هى امرأة من أَسْلَم كانت تداوى الجرحى فى خيمة لها بالمسجد .
[3] سيرة ابن هشام .
[4] الكراع : اسم يطلق على الخيل والبغال والحمير .
[5] رواه أحمد باقى مسند الأنصار .
[6] سيرة ابن هشام .

وتَسَارَع المسلمون فى الوصول إلى حصون بنى قُرَيْظة قبل صلاة العصر .. فمنهم من صلاَّهَا فى الطريق ، ومنهم من انتظر حتى وصل وصَلَّى ، **وأجاز النَّبِىُّ (ﷺ) فعل الفريقين** [1] ..

وحاصر المسلمون حصون بنى قُرَيظة خمسة وعشرين يومًا حتى استسلموا بشرط أن يحكم فيهم حليفهم السابق « سعد بن معاذ » .. الذى كان رَاقِدًا فى الخيمة بالمسجد ، وقد توقَّف نزيف الدم مدة الحصار استجابة لدعائه الذى توجَّه به إلى الله حين أُصيب قائلا : **اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَبْقَيْتَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئًا فَأَبْقِنِي لَهَا ، فَإِنَّهُ لاَ قَومَ أَحَبّ إِلَيَّ أَنْ أُجَاهِدَ مِنْ قَوْمٍ آذَوا رَسُولَكَ ، وكَذَّبُوهُ ، وَأَخْرَجُوه .. وَإِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنا وَبَيْنَهُمْ فَاجْعَلْهُ لِى شَهَادَة ، ولا تُمتْنِى حَتَّى تُقِرَّ عَيْنِى مِنْ بَنِى قُرَيْظَة ..** [2]

وسنحت الفرصة لـــ « سَعْدِ بن مُعَاذ » ، فها هو يُدْعى ليحْكُمَ فى أمر بني قريظة بناء على طلبهم ، ويُقْبِلُ « سَعْدٌ » على حِمَارٍ .. فَلَمَّا دَنَا من رسول الله ، قَالَ (ﷺ) : (**قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ**) .. فقاموا إليه ، وقال له رجال من قبيلة « الأَوْس » : **يَا أَبَا عَمْرٍو ، أَحْسِنْ فِي مَوَالِيك ، فَإِنَّ رَسُولَ الله (ﷺ) إِنَّمَا وَلاَّك ذَلِكَ لِتُحْسِنَ فِيهِمْ** .. فقال « سَعْدٌ » : **عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ عَهْدُ الله وَمِيثَاقُهُ أَنَّ الْحُكْمَ فِيهِمْ هو ما حَكَمْتُ به ؟** .. قَالُوا : **نَعَمْ** .. قال : **وَعَلَى مَنْ هَاهُنَا ؟** – من النَّاحِيَةِ

---

[1] عن عائشة (رضى الله عنها) للشيخين .. ويُفهم من ذلك أن البعض أخذ بظاهر الحديث فصلَّى بعد الوصول ، وفهم الآخرون أن المراد هو الإسراع بالوصول فصلُّوا فى الطريق العصر فى وقتها .

[2] رواه الترمذى كتاب السير .

الَّتي فِيهَا رَسُولُ اللهِ (ﷺ) وَهُوَ مُعْرِضٌ عَنْه خافضًا بَصَرَه إجْلاَلاً لَهُ – فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) : (**نَعَمْ**) .. فقَالَ « سَعْدٌ » : **فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الرِّجَالُ ، وَتُقْسَمَ الأَمْوَالُ ، وَتُسْبَى الذَّرَارِيّ وَالنِّسَاءُ** .. فلما سمع النبى (ﷺ) هذا الحكم قال : (**لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقِعَةٍ** [١])[٢] ..

وحينئذ أقرَّ اللهُ عين « سعد بن معاذ » مُسْتَجِيبًا لدعوته (**ولا تُمِتْنِى حَتَّى تُقِرَّ عَيْنِى مِنْ بَنِى قُرَيْظَة**) وانفجر الدم من جُرحه مرة أخرى بعد توقُّف دام خمسة وعشرين يومًا .. فحُمِل إلى خيمته بالمسجد ، وذهب إليه رسول الله (ﷺ) ، و« أبو بكر » ، و« عمر » (رضي الله عنهما) .. واحتضنه النبى (ﷺ) فجعلت الدماء تسيل على رسول الله (ﷺ) ، فقال « أبو بكر » : **وَا انْكِسَار ظَهْرَاه !!** .. فقال النبى (ﷺ) : (**مَهْ** [٣]) .. فقال : « عمر » : **إِنَّا لله وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون** .. [٤] وأخذ الكُلُّ فى البكاء حتى إنّ السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) تقول : **فوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِه ، إِنِّى لأَعْرِفُ بُكَاءَ أَبِى بَكْرٍ مِنْ بُكَاءِ عُمَرَ** .. [٥]

ويتوجَّه النبى (ﷺ) إلى الله وهو يحتضن « سَعْدَ بن مُعَاذ » قائلاً : (**اللَّهُمَّ إِنَّ سَعْدًا قَدْ جَاهَدَ فِى سَبِيلِكَ ، وصَدَّقَ رَسُولَكَ ، وقَضَى الَّذِى عَلَيْهِ ، فَتقَبَّلْ رُوحَهُ بِخَيْرِ مَا تَقَبَّلْتَ بِهِ رُوحًا**) .. ويفتح « سعد بن معاذ » عينيه ، وينظر إلى رسول الله (ﷺ) ويقول : **السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ .. أَمَا إِنِّى لأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ** ..

---

[١] أرقعة : سماوات . [٢] سيرة ابن هشام . [٣] مَهْ : كلمة زجر .
[٤] أُسد الغابة لابن الأثير . [٥] أُسد الغابة لابن الأثير .

فيقول له النبى (ﷺ) : (**هَنِيئًا لَكَ أَبَا عَمْرُو .. هَنيئًا لَكَ أَبَا عَمْرُو**)[1] ..

ويعود النبى (ﷺ) إلى بيته .. وإذا بـــ « جبريل » (عليه السلام) يَنْزِل عليه ويقول : **يَا نَبِيَّ اللهِ ، مَنْ هَذَا الَّذِى فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، واهْتَزَّ لَهُ الْعَرْشُ ؟!..** فخرج رسول الله (ﷺ) مسرعًا ، يجرُّ ثوبه إلى خيمة « سعد بن معاذ » ، فوجده قد قُبِضَ .. ويعود رسول الله (ﷺ) بعد دفن « سعد بن معاذ » ، ودموعه تتساقط على لحيته ، يقول لأصحابه : (**اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذ**)[2].. ويقول : (**لَقَدْ نَزَلَ مِنَ الْمَلائِكَةِ فِى جَنَازَةِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ سَبْعُونَ أَلْفًا ، مَا وَطِئُوا الأَرْضَ قَبْل .. وبحق أعطاه الله تعالى ذلك**)[3] ..

ويرتفع صوت أم « سعد بن معاذ » بالبكاء وهى تندبه وتقول :

وَيْـــلُ أُمِّ سَعْــد سَعْــدًا ... بَرَاعَــــةً ونَجْــــدا

وَيْـــلُ أُمِّ سَعْــدً سَعْــدًا ... صرامــــة وجــــــدا

ويسمعها رسول الله (ﷺ) فيقول : (**كُلُّ نَادِبَةٍ كَاذِبَةٌ إِلاَّ نَادِبةُ سَعْدٍ**)[4]..

وقد مات (رضي الله عنه) وهو ابن سبع وثلاثين سنة فقط .. وكان عمره حين أسلم إحدى وثلاثين سنة : ست سنوات فقط عمره فى الإسلام ، ومع ذلك كان أكثر الناس بَرَكَة على الإسلام ..

هَنِيئًا لَكَ أبا عَمْرو .. هَنِيئًا لك أبا عَمْرو ..

هَنِيئًا لَكَ يا مَنْ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، واهْتَزَّ الْعَرْشُ لِمَوْتِه ..

---

(١) رواه ابن سعد فى الطبقات الكبرى .

(٢) رواه البخارى كتاب المناقب .

(٣) أُسد الغابة لابن الأثير .

(٤) أُسد الغابة لابن الأثير .

سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ (رضى الله عنه)

لم تكد قُرَيش تسمع بوَفْد الأنصار الذين جاءوا يبايعون رسول الله (ﷺ) فى « العَقَبَة » حتى استشاطوا غضبًا ، وخرجوا لتأديب هؤلاء الذين يُريدُون احتضان مَنْ سَبَّ آلهتم ، وسفَّه أحلامهم .. فلم يدركوا منهم إلا « سَعْدَ بن عبادة » سَيِّد الأنصار ، وحامل رايتهم .. فأوثقوه ، وساقوه إلى مكة .. وأوسعوه ضربًا .. ولم يخلصه من أيديهم إلا « جُبَيْر بن مُطْعِم » الذى كان « سعد » يدير له تجارته بالمدينة .. فكان « سعد » بذلك الأنصارى الوحيد الذى نال من أذى المشركين ما ناله المهاجرون الأوائل ..

وعاد « سعد » إلى المدينة ، وبدأ الإسلام يدخل بيوت قبيلته من الْخَزْرَج حين علموا بإسلام زعيمهم وسَيِّدهم وأعظمهم جُودًا وكرمًا ..

ويهاجر النبى (ﷺ) إلى المدينة ، ويستقبله « سعد بن عبادة » .. ويحمل إليه كل يوم جَفْنَةً مَمْلُوءة ثَرِيدًا ولَحْمًا تدور معه حيث دار ، ويتكفَّل بثمانين رجلاً من المهاجرين يقدم لهم الطعام .. فكان أكثر الأنصار إنفاقًا وإطعامًا ، وكان يسأل الله سعة الرزق قائلا : **اللَّهُمَّ هَبْ لِي مَجْدًا ، ولا مَجْدَ إلاَّ بِفِعَالٍ ، ولا فِعَالَ إلاَّ بِمَالٍ .. اللَّهُمَّ لاَ يُصْلِحُنِي الْقَلِيلُ ولاَ أصْلُحُ عَلَيْه** [1] .. فقد اعتاد الجودَ والكرم

[1] رواه البيهقى فى شُعب الإيمان .

فى بيت أبيه : « عُبَادَة » ، وبيت جَدِّه : « دُلَيْم » ، ونَشَّأَ ابنه : « قَيْسًا » على ذلك حتى قال عنه رسول الله (ﷺ) : (**إِنَّهُ مِنْ بَيْتِ جُودٍ**)[1] ، وقال عنه الصحابة : **إِنَّ قَيْسَ بن سَعْد بن عُبَادَة من أعظم النَّاس جُودًا وكَرَمًا** ..[2]

ويروى « قَيْس بن سعد » عن حرص أبيه على نيل بركة رسول الله (ﷺ) فيقول : زَارَنَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فِي مَنْزِلِنَا ، فَقَالَ : (**السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ**) .. فَرَدَّ « سَعْدٌ » رَدًّا خَفِيًّا .. قَالَ « قَيْسٌ » : فَقُلْتُ : **أَلاَ تَأْذَنُ لِرَسُولِ اللَّهِ** (ﷺ) ؟! فَقَالَ : **ذَرْهُ يُكْثِرُ عَلَيْنَا مِنَ السَّلاَمِ** .. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : (**السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ**) .. فَرَدَّ « سَعْدٌ » رَدًّا خَفِيًّا .. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : (**السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ**) ، ثُمَّ رَجَعَ ، وَاتَّبَعَهُ « سَعْدٌ » فَقَالَ : **يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي كُنْتُ أَسْمَعُ تَسْلِيمَكَ ، وَأَرُدُّ عَلَيْكَ رَدًّا خَفِيًّا لِتُكْثِرَ عَلَيْنَا مِنَ السَّلاَمِ** .. قَالَ : فَانْصَرَفَ مَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فَأَمَرَ لَهُ « سَعْدٌ » بِغُسْلٍ فَاغْتَسَلَ ، ثُمَّ نَاوَلَهُ مِلْحَفَةً فَاشْتَمَلَ بِهَا ، ثُمَّ رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يَدَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ : (**اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَرَحْمَتَكَ عَلَى آلِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ**)[3] ..

ويشهد « سَعْد بن عُبَادَة » غزوة « بَدْر » مع رسول الله (ﷺ) .. ويُبْلِى فيها بلاءً حَسَنًا .. فقد كان من أَمْهَر الرُّماة ، ويصبح جُنْدِيًّا من جنود رسول الله (ﷺ) ، وحامل راية الأنصار ، ويشهد المشاهد كُلَّها حتى جاءت غزوة « الْخَنْدَق » ، وأحاط المشركون بالمدينة من كل جانب ، وأرسل النبى (ﷺ) إلى « سَعْد بن عُبَادَة »

---

[1] أُسد الغابة لابن الأثير . [2] أُسد الغابة لابن الأثير . [3] رواه أبو داود كتاب الأدب .

سيد الْخَزْرَج ، و« سَعْد بن مُعَاذ » سيد الأَوْس يستشيرهما فى إعطاء « عُيَيْنَة بن حِصْن » ثلث ثمار المدينة على أن ينصرف بِمَنْ معه من قبيلة غَطَفَان ، فيقل عدد المشركين المحاصرين للمدينة فقالا له : **يَا رَسُولَ الله ، إن كُنْتَ أُمِرْتَ بِشَىْءٍ مِنَ الله فَافْعَلْه ، وإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ ، فوالله ما نُعْطِيهم إلاَّ السَّيْف** .. فقال رسول الله (ﷺ) : (**لَمْ أُومَرْ بِشَىْءٍ ، وإِنَّمَا هُوَ رَأْىٌ أَعْرِضُهُ عَلَيْكُمَا**) .. فقالا : **يَا رَسُولَ الله ، ما طَعِمُوا بِذَلِكَ مِنَّا قَطُّ فِى الْجَاهلِيَّة ، فكَيْفَ الْيَوْمَ وقَدْ هَدَانَا اللَّهُ بِكَ !!**[1] .. فَسُرَّ النبى (ﷺ) بقولهما ، وعمل برأيهما ، وسلط اللَّهُ الريح على المشركين فكفأت قُدورهم ، وهدمت خيامهم ، فانصرفوا ، وكفى الله المؤمنين القتال ..

وتمضى الأيام .. وتأتى غزوة « الفَتْح » .. فتح مكَّة ، ويذهب إليها رسول الله (ﷺ) فى عشرة آلاف مقاتل .. ويعطى راية الأنصار لـــ « سَعْد بن عُبَادَة » ، ويأمر بمرور الكتائب على « أبى سُفْيَان » الذى أَسْلم وجاء يفاوض النبى (ﷺ) فى حَقْنِ الدماء ، وحماية قريش ، مقابل استسلام الجميع .. وحين مَرَّ « سَعْد بن عُبَادَة » على « أبى سُفْيَان » ورآه تذكَّر ما ناله من عذاب وإهانة يوم « العَقَبَة » ، وتذكَّر ما فعلته قريش بالمسلمين الأوائل ، فقال لـــ « أبى سُفْيَان » : **الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ ، الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْحُرْمَة ، الْيَوْمَ أَذَلَّ الله قُرَيْشًا** .. فارتعد « أبو سفيان » ، وذهب إلى رسول الله (ﷺ) وقال له : **يَا رَسُولَ الله ، أَمَرْتَ بِقَتْلِ قَوْمِكَ ؟ زعم**

[1] أُسد الغابة لابن الأثير .

سَعْدٌ أنه قاتلنا .. وأخْبَرَه بمقالة « سعد » ، فقال رسول الله (ﷺ) : (**يا أبَا سُفْيَان ، الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَرْحَمَةِ ، الْيَوْمَ أَعَزَّ اللَّهُ قُرَيْشًا**) .. وأمر (ﷺ) بأخذ الراية من « سَعْدٍ » ، وإعطائها لابنه « قَيْس بن سعد » [(١)] ..

ودخل رسول الله (ﷺ) مكَّة دون قتال ، وأمر مناديًا فنادى : **مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ دَارَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ** [(٢)] ..

وتمضى أيَّام ، ويسمع النبى (ﷺ) أن بعض قبائل العرب من هوازن ، وثقيف قد عزموا على قتاله .. وخرجوا جميعًا بأموالهم ، ونسائهم ، وأولادهم حتى لا يَفِرّ منهم أحد ، وتكون الفاصلة .. فقد فُتحت مكة ، وأسلم أهلها جميعًا ، ويوشك أن تدين جزيرة العرب كلها بدين « مُحَمَّد » .. ويخرج النبى (ﷺ) للقائهم وتحدث غزوة « حُنَيْن » وينتصر المسلمون فيها نصرًا مؤزَّرًا بعد أن كادت الهزيمة تلحق بِهِم – لقول بعضهم : **لَنْ نُغْلَبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ** [(٣)] – لولا أن الله عفَا عنهم بعد ما أراهم أن كثرتَهم لم تُغْنِ عنهم شيئًا .. وضاقت عليهم الأرض بِمَا رَحُبَت ، وولَّوْا مُدبرين .. وأنزل الله سكينته عليهم بعد ذلك حين نادى فيهم رسول الله (ﷺ) : (**إِلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ ، أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِب ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِب**)[(٤)] ..

وفرَّت القبائل المهاجمة تاركة وراءها : الأموال ، والأطفال ، والنساء ، والغنم ،

---

(١) رواه ابن عساكر ، وذكره ابن الأثير فى أُسد الغابة . (٢) رواه أبو داود كتاب الخراج .
(٣) سيرة ابن هشام . (٤) ورد بنحوه فى عيون الأثر لابن سيد الناس .

والجمال .. فغنمها المسلمون ، وكانت أكبر وأعظم غنيمة غنمها المسلمون بفضل الله تعالى ..

وبدأ رسول الله (ﷺ) فى توزيع الغنائم ، واختصَّ قُرَيْشًا وحديثى العهد بالإسلام من أهل مكَّة بالكثير منها ، ولم يعط الأنصار شيئًا .. فقال بعض الأنصار : **لَقِيَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) قَوْمَهُ** .. وسرت الإشاعة بينهم أن النبى (ﷺ) غير راجع معهم ، فقد أسلم قومه ، ودانت له مكَّة ، وسوف يَسْتَقِرُّ بها ويتركهم .. وَدَخَلَ عَلَيْهِ « سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ » فَقَالَ : **يَا رَسُولَ اللَّه ، إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الأَنْصَارِ شَيْءٌ** .. فقَالَ له رسول الله (ﷺ) : (**فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ ؟**) .. قَالَ : **يَا رَسُولَ اللَّه ، مَا أَنَا إِلاَّ امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي** – منتهى الصدق ، والشجاعة ، واللَّباقة ، والأدب فى الكلام والتعبير ، فهو يريد أن يقول إنه مِنْ رَأْيِ قومه وتفكيرهم – فقال له رسول الله (ﷺ) : (**فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ**) .. وجمع « سَعْد بن عُبَادَة » قومه من الأنصار فى سَقيفَة جُهِّزَت لذلك ، ولم يؤذن للمهاجرين بالدخول إلا القليل منهم .. بينهم : « أبو بكر الصديق » ، و« عمر بن الخطاب » (رضى الله عنهما) ، ثم جاء رسول الله (ﷺ) ودخل عليهم وقال : (**يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ .. مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ : وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ ؟ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ اللَّهُ ؟!**

وَعَالَةً [1] **فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ ؟! وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ؟!)** .. قَالُوا : **بَلَى ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ** .. ثم قَالَ : (**أَلاَ تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ ؟)** .. قَالُوا : **وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ ؟!** .. قَالَ : (**أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ : أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ ، وَمَخْذُولاً فَنَصَرْنَاكَ ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ ، وَعَائِلاً فَأَغْنَيْنَاكَ .. أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ** [2] **مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا ، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلاَمِكُمْ ؟! .. أَفَلاَ تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فِي رِحَالِكُمْ ؟ .. فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَوْلاَ الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ شِعْبًا ، لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ .. اللَّهُمَّ ارْحَمِ الأَنْصَارَ ، وَأَبْنَاءَ الأَنْصَارِ ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ)** [3] ..

فبكى الأنصار حتى بلَّلت دموعُهم لِحَاهم ندمًا على ما قالوه وظنوه ، وفرحًا وانشراحًا بعودة رسول الله (ﷺ) معهم إلى مدينتهم .. تلك المدينة التي كانت ملاذًا للمسلمين الأوائل ، وحِصْنًا لهم ، وستظل تَنْفِي خَبَثَها كما يَنْفِي الكيرُ خَبَثَ الْحَدِيد ، ويَأْرِزُ الإيمان إليها كما تأرزُ الحيَّة إلى جُحْرِها كما وصفها رسول الله (ﷺ) ..

---

[1] العائل : الفقير .

[2] اللعاعة : البقية اليسيرة من الشئ .

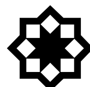
[3] رواه أحمد مسند المكثرين .

وهكذا كان وفاء رسول الله (ﷺ) للأنصار الذين آمنوا به ، وصَدَّقُوه ، وآووه ، وواسَوه ، وعزَّروه ، واتَّبعوا النور الذى أُنْزِل معه ... وظل رسول الله (ﷺ) بالمدينة يعيش بين أهلها ، فقد اختارها دارًا له ، ومقرًّا حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى ، وأصبح ترابــــها مثوىً لِجَسَدِه الشريف ..

واجتمع الأنصار فى سَقِيفَة بنى ساعِدَة ليبايعوا « سَعْد بن عُبَادة » على الخلافة ، فلما علم « أبو بكر » بذلك أخذ « عمر بن الخطاب » وذهب إليهم ، فقالت الأنصار : (**مِنَّا أَميرٌ ، وَمِنْكُمْ أَميرٌ**) ، فقال « عمر » : **سَيْفَان فى غِمْدٍ وَاحِدٍ إذًا لا يَصْطَحِبان .. يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) أَمَرَ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يَؤُمَّ النَّاسَ ؟** قالوا : **بلى** .. قال : **فَأَيُّكُمْ تَطِيبُ نَفْسُهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ ؟** قالت الأنصار : **نَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ نَتَقَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ** .. فبايع الناس « أبا بكر » (رضي الله عنه) بالخلافة .. [1]

وسافر « سَعْد بن عُبَادَة » إلى الشام ، ومات (رضي الله عنه) بِهَا بعد أربع سنوات .. ولحق بالسابقين الأوَّلين الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ..

رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وأَرْضَاكَ يا سَيِّدَ الأَنْصَارِ ، وحَامِلَ رَايَتِهِم ..
وجَزَاكَ عَنْ جِهَادِكَ فِى سَبِيلِهِ خَيْرَ مَا جَازَى بِهِ الْمُجَاهِدِين ..



---

[1] رواه أحمد مسند العشرة المبشرين بالجنة ، والنسائى فى السنن الكبرى .

مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ (رضى الله عنه)

رجل إذا ذُكِرَ تشوَّقت القلوب إليه ، وجرت العيون بالدمع عليه .. رجل قال فيه « عمر بن الخطاب » (رضي الله عنه) - وهو على فراش الموت : **لَوْ كَانَ حَيًّا لاسْتَخْلَفْتُهُ ، ثم قَدِمْتُ عَلَى رَبِّى فَسَأَلَنِى : لِمَ اسْتَخْلَفْتَهُ ؟ قُلْتُ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله (ﷺ) يقول : (يَأْتِي مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَامَ الْعُلَمَاءِ بِرَتْوَةٍ [1])**[2] ..

رجل كانت الْحِكْمَة تخرج من فِيهِ .. فكان يقول : **اجْتَنِبْ مِنْ كَلامِ الْحَكِيمِ الْمُشَبِّهَاتِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا : مَا هَذه ؟! وَلاَ يُثْنِيَنَّكَ ذَلِكَ عَنْهُ ، فَإِنَّهُ لَعَلَّهُ أَنْ يُرَاجِعَ ، وَتَلَقَّ الْحَقَّ إِذَا سَمِعْتَهُ ، فَإِنَّ عَلَى الْحَقِّ نُورًا** [3] .. ويقول : **صُمْ ، وَأَفْطِرْ .. وصَلِّ ، ونَمْ .. واكْتَسِبْ ولا تَأْثَمْ .. ولا تَمُوتَنَّ إلاَّ وأَنْتَ مُسْلِم .. وإيَّاكَ ودَعْوَةَ الْمَظْلُوم ..** [4]

وكان إذا تَهَجَّد من الليل قال : **اللَّهُمَّ نامَت الْعُيونُ ، وغَارَتِ النُّجُومُ ، وأنْتَ حَيٌّ قَيُّوم .. اللَّهُمَّ طَلَبِى للجَنَّةِ بَطِيء ، وهَرَبِى مِنَ النَّارِ ضَعِيف .. اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِى عِنْدَكَ هُدًى تردُّه إِلَيَّ يَوْمَ القِيَامَة .. إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَاد ..** [5]

---

(1) رتوة : أى رمية بسهم .
(2) رواه الطبرانى ، وابن سعد ، وأبو نعيم ، وذكره ابن الأثير فى أُسد الغابة بزيادة (أو رَتْوَتَيْن) .
(3) رواه أبو داود كتاب السُّنَّة . (4) رواه أبو نعيم فى حلية الأولياء .
(5) أُسد الغابة لابن الأثير .

أسلم وعمره ثمانية عشر عامًا ، وكان من السبعين الذين حضروا « بيعة العقبة » من الأنصار ، وقد شهد غزوة « بَدْرٍ » وشهد غزوة « أُحُد » والمشاهد كلها مع رسول الله (ﷺ) ، وما تخلَّف عنه قط ، وآخى رسول الله (ﷺ) بينه وبين « عبد الله بن مسعود » ..

وكان من الأربعة الذين أمر رسول الله (ﷺ) بأخذ القرآن عنهم بقوله : (**خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَة : مِنْ : عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ ، ومُعَاذِ ابْنِ جَبَلٍ ، وأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ**) [1] .. وكان يقول عنه : (**وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلاَلِ وَالْحَرَامِ : مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ**)[2] ..

وهو من الصحابة الذين أذن رسول الله (ﷺ) لهم بالفَتْوَى فى عهده وفى بلده ، وهم : « أبو بكر الصِّدِّيق » ، و« عُمَرُ بْنُ الخطَّاب » ، و« عُثْمَانُ بْنُ عَفَّان » ، و« عَلِيُّ بْنُ أبى طَالِب » ، و« عبدُ الرَّحْمَن بْنُ عَوْف » ، و« أُبَىُّ بْنُ كَعْب » ، و« مُعاذُ بْنُ جَبَلٍ » ، و« زَيْدُ بنُ ثَابِت » (رضى الله عنهم أجمعين) ..

كان شديد الأَدَمَة [3] وَضِيئًا ، برَّاق الثنايا [4] ، كثير الصمت ، لا يتكلَّم إلا على شوق الجالسين إليه .. فإذا تكلَّم خرج من فمه نور ودفء .. وكان من أحْسَن الناس وَجْهًا ، وكان من أحْسَن الناس خلقًا ، وكان من أسمح الناس كفًّا [5] حتى ادَّان دينًا كثيرًا ، فلزمه غرماؤه [6] فاعتكف فى بيته .. فذهبوا إلى رسول الله

---

[1] رواه البخارى كتاب المناقب . [2] رواه ابن ماجه فى المقدمة . [3] الأدمة : السُّمرة .
[4] الثنايا : الأسنان الأمامية . [5] كناية عن الجود والكرم . [6] غرماؤه : أى الدائنون .

(ﷺ) يشكونه إليه ، فأرسل إليه فحضر وحضر معه غرماؤه ، فقالوا : **يا رَسُولَ الله خُذْ لنا حَقَّنا** .. فقال النبى (ﷺ) : (**رَحِمَ اللَّهُ مَنْ تَصَدَّقَ عَلَيْهِ**) .. فتصدَّق عليه ناس ، وأبَى آخرون ، فخلعه رسول الله (ﷺ) من ماله ، فاقتسموه بينهم ، فأصابَهم خمسة أسباع حقوقهم ، فقال لهم رسول الله (ﷺ) : (**لَيْسَ لَكُمْ إلاَّ ذَلِك**) – وهذا هو المعروف بقسمة الغرماء ، والذى سنَّه رسول الله (ﷺ) ، ويُعمَل به حتى الآن – ثم أرسله رسول الله (ﷺ) إلى اليمن ليُفَقِّه أهلها ، وقال : (**لَعَلَّ اللَّهَ يَجْبُرُكَ ، ويُؤَدِّى عَنْكَ دَيْنَكَ**)[١] .. ثم سأله قائلا : (**كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ ؟**) .. قال : **أَقْضِي بِكِتَابِ اللَّهِ** .. قال : (**فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّهِ ؟!**) .. قال : **فَبِسُنَّةِ رَسُولِ الله (ﷺ)** .. قال : (**فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) ، وَلا فِي كِتَابِ اللَّهِ ؟!**) .. قال : **أَجْتَهِدُ رَأْيِي ولاَ آلُو** [٢] .. فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) صَدْرَهُ وَقَالَ : (**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ**)[٣] ..

وقد التقى به رسول الله (ﷺ) يومًا فقال له : (**كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا مُعَاذُ ؟**) قال : **أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا بالله تعالى** .. فقال رسول الله (ﷺ) : (**إِنَّ لِكُلِّ قَوْلٍ مِصْدَاقًا ، ولِكُلِّ حَقٍّ حَقِيقَة ، فَمَا مِصْدَاقُ مَا تَقُول ؟!**) .. قال « معاذ » : **يَا نَبِيَّ الله ، مَا أَصْبَحْتُ صَبَاحًا قَطُّ إِلاَّ ظَنَنْتُ أَنِّى لا أُمْسِى ، وما أَمْسَيْتُ مَسَاءً قَطُّ إِلاَّ ظَنَنْتُ أَنِّى لا أُصْبِحُ ، وما خَطَوْتُ خَطْوَةً إِلاَّ ظَنَنْتُ أَنِّى لا أُتْبِعُهَا**

---

[١] أُسد الغابة لابن الأثير . [٢] أى لا أقصر فى ذلك . [٣] رواه أبو داود كتاب الأقضية .

أُخْرَى .. وكَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَى كُلِّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا ، مَعَهَا نَبِيُّهَا ، وأَوْثَانُهَا الَّتِي كَانَتْ تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ ، وكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عُقُوبَةِ أَهْلِ النَّار ، وثَوَابِ أَهْلِ الْجَنَّة .. فقال رسول الله (ﷺ) : (**عَرَفْتَ فَالْزَمْ**)[1] ..

ويقول « أَنَسُ بْنُ مَالِك » (رضي الله عنه) : أَتَانِى « مُعَاذُ بْنُ جَبَل » مِنْ عِنْد رَسُولِ اللهِ (ﷺ) فقال : (**مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ مُخْلِصًا بِهَا قَلْبُه دَخَلَ الْجَنَّة**) .. فذهبت إلى رسول الله (ﷺ) فقلت : يَا رَسُولَ الله ، حَدَّثَنِى « مُعَاذٌ » أَنَّكَ قُلْتَ : (**مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ مُخْلِصًا بِهَا قَلْبُه دَخَلَ الْجَنَّة**) .. فقال (ﷺ) : (**صَدَقَ مُعَاذٌ .. صَدَقَ مُعَاذٌ .. صَدَقَ مُعَاذٌ**)[2] ..

ويقول « عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُود » (رضي الله عنه) يومًا لأصحابه : **إِنَّ مُعَاذًا كَانَ أُمَّةً قَانِتًا للهِ حَنِيفًا ولَمْ يَكُن مِنَ الْمُشْرِكِين** .. فقال له رجل : يابن مسعود ، إن الله عز وجل يقول : (إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ)[3] .. فقال « ابن مَسْعود » : **إِنَّ مُعَاذَ بن جَبَل كَانَ أُمَّةً قَانِتًا للهِ حَنِيفًا ولَمْ يَكُن مِنَ الْمُشْرِكِين** .. فأعاد الرجل قوله .. فقال « ابن مسعود » : **هَلْ تَعْرِفُ مَا الأُمَّة القَانِت ؟**.. فقال الرجل : الله ورسوله أعلَم .. فقال « ابن مَسْعود » : **الأُمَّة : الذى يُعَلِّم الْخَيْرَ ، ويُؤْتَمُّ به .. والقَانِتُ : الْمُطِيع للهِ ورَسُوله .. وإِنَّ مُعَاذَ بن جَبَل كَانَ يُعَلِّمُ الْخَيْرَ ، ويُؤْتَمُّ بِهِ ، وكَانَ مُطِيعًا للهِ ورسوله** ..[4]

---

[1] رواه أبو نعيم فى حلية الأولياء . [2] أُسد الغابة لابن الأثير . [3] سورة النحل آية ١٢٠ .
[4] رواه ابن عساكر .

وقد مكث « مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ » (رضي الله عنه) فى اليمن يُعَلِّم الناس القرآن ، ويفقِّههم فى الدين ، ويقضى بينهم فيما يختلفون فيه حتى انتقل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى الرفيق الأعلى .. وعاد فى خلافة « أبى بكر الصديق » (رضي الله عنه) وقد أثرى وكثر ماله ببركة دعوة النبى (صلى الله عليه وسلم) له : (**لَعَلَّ اللَّهَ يَجْبُرُكَ ، ويُؤَدِّى عَنْكَ دَيْنَكَ**) .. ويتلقَّاه « عُمَرُ ابْنُ الخطَّاب » (رضي الله عنه) ويقول له : **يَا مُعَاذ ، انزل عن شَطْرِ مَالِكَ لِبيْتِ الْمَال** .. فيأبى « معاذ » ذلك .. فيذهب « عمر » إلى « أبى بكر الصديق » ويقول له : **يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ الله (صلى الله عليه وسلم) ، شَارِكْ مُعَاذَ بن جَبَل فى مَالِه** .. ويأبى « أبو بكر » (رضي الله عنه) ، ويفاجأ « عُمَر » فى الصباح بــ « معاذ بن جبل » يأتيه مهرولا ، وهو يبكى ، ويقول : **يا عُمَر .. لَقَدْ رَأَيْتُ الليلة فى مَنَامِى ، أَنِّى أَخُوضُ خَوْضَةَ مَاءٍ أَخْشَى الغَرَقَ ، فَجِئْتَ أَنْتَ يا عُمَرُ فَخَلَّصْتَنِى .. هاك شَطْر مالِى ، أَنْزِل عَنْهُ لِبَيْتِ الْمَال** .. وينطلق « عمر » مع « معاذ » إلى « أبى بكر الصديق » يعرض عليه شطر مال « معاذ » ، ويرفض « أبو بكر » أن يأخذه – فقد علم أن مال « معاذ » صفو حلال – فينظر « عمر » إلى « معاذ » ويقول : **الآن يا مُعَاذُ ، حَلَّ وطَابَ** [1] .. ويبقى « معاذ بن جبل » بالمدينة المنوَّرة حتى يوفده « عُمَرُ بْنُ الخطَّاب » (رضي الله عنه) إلى الشام ليُفَقِّه الناس فى الدين ويُقْرئهم القُرآن ..

ويقول « أبو مُسْلِم الْخَوَلَانِىّ » : دخلتُ مَسْجِدَ حِمْص فوجدْت بضعة وثلاثين رجلاً يُحَدِّثون عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكلهم شيوخ ، ووجدت رجلاً

---

[1] ذكره ابن عبد البر بنحوه فى الاستيعاب .

وضيئًا ، برَّاق الثنايا ، صامتًا لا يتكلم - ينظر إليه الشيوخ بِهَيْبَة وتوقير ، فإذا اختلفوا فى حديث رجعوا إليه فأفتاهم ، فقلت لجليس لى : من هذا الرجل ؟ لقد وقع حُبُّه فى قلبى ، فقال : **هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ صاحب رسول الله (ﷺ) ، وإِمَام العلماء ، البَدْرِىُّ العَقَبِى الْخَزْرَجِىُّ الأَنْصَارِىُّ ..** (١)

وتمضى الأيام .. ويتولَّى « مُعَاذُ بْنُ جَبَل » (رضي الله عنه) إمارة الشام بعد موت « أَبِى عُبَيْدَة بن الْجَرَّاح » أميرها فى خلافة « عُمَر بن الخَطَّاب » (رضي الله عنه) ، ولا يمكثُ فى هذه الإمارة إلا شهورًا قليلة حتى يظهر طاعون (عَمْوَاس) وإذا بـــ « معاذ بن جبل » يتجه إلى الله بالدعاء : **اللَّهُمَّ أدخلْ على آل مُعَاذٍ حَظَّهُمْ مِنْ هَذَا** (٢) .. فقد علم أن الطاعون شهادة لأمة محمد (ﷺ) .. ويستجيب الله لدعائه ، وتموت زوجتاه بالطاعون ، ثم يمرض ابنه الوحيد « عبد الرحمن » ، ويموت هو الآخر بالطاعون .. ويبقى « معاذ » ينتظر نصيبه منه .. ولا يمكث إلا قليلاً حتى يُصابَ به ، ويُغْشَى عليه تارة ، ويفيق تارة فيقول : **غُمَّنِى غَمَّك ، فَوَعِزَّتِكَ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّى أُحِبُّكَ ..** (٣)

ويثقل عليه المرض ، ويدخل عليه أصحابه يعودونه ، فيجدونه يبكى فيقولون له : **أَتَبْكِى يا مُعَاذ ؟ وأَنْتَ صَاحِبُ رَسُول الله (ﷺ) ، وأنت إمامُ العُلَمَاءِ يَوْمَ القيامة !!!** فيقول (رضي الله عنه) : **والله ، ما أَبْكِى جَزَعًا مِنَ الْمَوْت أَنْ حَلَّ بِى ، ولا عَلَى دُنْيَا تَرَكْتُها بَعْدِى ، وإِنَّمَا هُمَا القَبْضَتَان ، فلا أدرى من**

---

(١) رواه أحمد ، ومالك ، وأبو نعيم . (٢) أُسد الغابة لابن الأثير . (٣) أُسد الغابة لابن الأثير .

أَىِّ القَبْضَتَيْن أنا ؟! [١] .. مُشيرا إلى حديث رسول الله (ﷺ) : (**إنَّ الله قَبَضَ قَبْضَتَيْنِ ، فقال : هَذه للْجَنَّة ولا أُبالي ، وهَذه للنَّارِ ولا أُبالي**) [٢] ..

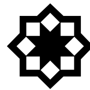
ويشتدُّ عليه المرض ويسأل : **هَلْ أَصْبَحْنا ؟** .. فيُقَال له : **لَمْ يأتِ الصَّبَاحُ بَعْد** .. فيقول : **اللَّهُمَّ إِنِّى أعوذُ بكَ منْ لَيْلَةٍ صباحُها إلى النَّار** .. [٣]

ويسمعه أصحابه يقول : **اللَّهُمَّ إِنِّى كُنْتُ أَخَافُكَ ، ولَكِنِّى الْيَوم أَرْجُوك .. اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّى لَمْ أَكُنْ أُحِبُّ الدُّنْيَا وطولَ البَقَاء فيها لكَرْى** [٤] **الأنْهَار ، ولا لِغَرْسِ الأشْجَار .. ولَكِنْ لظَمَإِ الْهَوَاجِر ، ومُكَابَدة السَّاعَات ، ومُزَاحَمَة العُلَمَاء بالرُّكَبِ عند حلَقِ الذِّكْر** [٥] .. ويخفت صوته ويهمس قائلا : **مَرْحَبًا بِالْمَوْت .. مَرْحَبًا .. زَائِرٌ حَبِيبٌ جَاءَ عَلَى فَاقَة** [٦].. [٧]

وتصعد روحه إلى بارئها وهو ابن ثمان وثلاثين سنة فقط .. طَيِّبًا مُطَيَّبًا .. طَاهِرًا مُطَهَّرًا ..

سَلاَمٌ عَلَيْكَ يا إِمَامَ الْعُلَمَاء .. سَلاَمٌ عَلَيْكَ يَا مُعَلِّمَ القُرْآن ..

ورَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وأَرْضَاك ..



(١) أُسد الغابة لابن الأثير .
(٢) رواه البزّار فى مسنده بنحوه .
(٣) أُسد الغابة لابن الأثير .
(٤) لكَرْى : لحفر .
(٥) أُسد الغابة لابن الأثير .
(٦) فَاقَة : شدة احتياج إليه .
(٧) أُسد الغابة لابن الأثير .

وبعد ، أيها القارئ الكريم ..

فَلعلَّك عشْتَ لَحَظَاتٍ مع نماذج من البشر ، فريدة : إيمان راسخ ، ويقين لا يتزعْزَع ، وطاعة مطلقة ، وحُبّ لِرَسول الله (ﷺ) يفوق أى حُبٍّ ، وأُخُوَّة فى الله صادقة ، وشجاعة نادِرَة ، وصَبْر على الأذى لم يُسمع بِمِثْله ، وزُهْد فِى الدنيا ، ورَغْبَة فيما عند الله ..

كل ذلك قد اجتمع فى بضعة وثلاثين رجلاً فى بدء الإسلام بمكَّة ، آمنوا بِهَذا الدين الذي يدعو إلى العدل ، والإحْسَان ، وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء ، والْمُنْكر ، والبَغْى ، وآمنوا برسول الله (ﷺ) الذى يأمر بالصِّدْق ، والصِّلة ، والعَفَاف ، وبرّ الوالدين ، وحُسْن الْجوَار .. أمور يصْلُحُ بِهَا الفَرْدُ ، ويصْلُحُ بِهَا المجتمع ، وتجعل الناس يعيشُون فى أَمْنٍ وسَلاَمٍ .. يعطف غَنِيُّهُم على فَقِيرهم ، ويَرْعَى كبِيرُهُمْ صغيرَهم ..

ومكَّة فى ذلك الوقت بلا جيش نظامى ، أو قوات للشرطة ، أو حكومة ، وإنما بضعة عشر رجلاً يتزعَّمُون القبائل .. وبيوتــهم غير مُحَصَّنة .. ليس لهم حُرَّاس .. أسلحتهم لا تتعدَّى : السُّيوف ، والرِّماح ، والسِّهام .. يقومون بتعذيب المسلمين عذابًا يفوق احتمال البشر : من كَيٍّ بالنار ، وضَرْبٍ بالسِّياط ، ومَنْعٍ للطَّعَام والشَّراب ، وإصهارٍ فى الشمس الحارقة ..

وهنا يبرز تساؤل مُلِحّ : لماذا صَبَر النبى (ﷺ) وأصحابه ثلاث عشرة سنة على الأذَى ، والعَيْش فى مجتمع فاسِقٍ فَاجِر ، شَهِد الله عليهم بالكفر فى كتابه

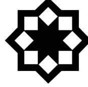
العزيز ؟! .. ولماذا لم يأمر النبى (ﷺ) هؤلاء الرجال الذين كانوا يَحْمُونه بأجْسَادِهِمْ ، ويخاطِبُونَهُ بقولهم : **بِأَبِى أنْتَ وأُمِّى يا رسول الله** ، وبقولهم : **فِدَاكَ أبِى وأُمِّى يا رَسُول الله** .. لماذا لم يأمرهم باغتيال صناديد قريش ورُءوس الكُفْر فى سَاعَة منْ ليل أو نَهَار ؟! لماذا لم يستول على مكَّة ، ويُقِمْ حُكْمًا إسْلاَميًّا ؟! لماذا لم يُكَلِّفْهُمْ باختطاف أطفال المشركين ونسائهم ليكونوا رهَائِنَ لَدَيْه ، ويُساوم عَلَيْهم ؟! لماذا انتظر النبى (ﷺ) حتى تَم اللِّقاء فى غزوة « بَدْرٍ » بعد الْهِجْرَة بعام ونصف حيث قُتل صناديد مكَّة ، ورءوس الكُفْرِ فى مواجهة ، ومبارزة شُجَاعَةٍ ؟!..

ذلك لأن الإسْلام ليس دين غدْر وخيانة ، ولأن رجاله لا يسْعون إلى السُّلْطة ، ولا يطْمَعُون فى زِينَة الدُّنْيا .. ذلك لأن الإسْلام دين اختيار واقْتِنَاع ، وليس دين : قَهْرٍ ، وتَسَلُّطٍ ، وإجْبَار .. دين يعتَمدُ أساسًا على ضمائر أتباعه ويقينهم .. دين تقوم دولته على مُرَاقَبَة الأفراد لله ، وتقْوَاهُ فى السِّرِّ والعَلَن .. دين أتْبَاعه شُمُوسٌ لِلْهُدَى ، وكَوَاكِبُ لِلسُّلُوكِ ، وليسوا إرهابيين وقتلة .. يَسْتَحِلُّون الدِّمَاءَ والأمْوَال بِغَيرِ حَقٍّ .. دين يتعامل الناس فيه بحسب الظاهر ويتركون القُلُوب ، وما انطوت عليه لِمَنْ يَعْلَم السِّرَّ وأَخْفَى .. دين يُحْسِنُ أَتْبَاعُهُ الظَّنَّ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ .. دِينٌ لا اتِّهام فِيه بغَيْر دليل .. دين تقوم دَوْلَتُه على السَّمَاحة والْحُبِّ والتَّراحُم .. دين ينتشر في ربوع الأَرْضِ بسُلُوكِ أتْبَاعِه ، وحُسْنِ أخْلاَقِهم .. لا بالإِرْهَابِ ، والعُنْف ..

وصدق الله العظيم إذ يقول : (لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن

يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[1] ..

وصدق الرسول الكريم (ﷺ) إذ يقول : (**إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاق**)[2] .. ويقول : (**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ**) [3] ..



---

(1) سورة البقرة آية ٢٥٦ .

(2) رواه البيهقى فى سننه .

(3) رواه البخارى والترمذى والنسائي .

الكتاب القادم

٩ نِسَـــــاءٌ مُؤْمِنَـــــات

- بَراءَةُ أمِّ البَشَر مما نُسِبَ إليهــا .
- مَرْيَــمُ العَــــذْرَاء البَتُـــــول .
- أُمَّهَـــــاتُ المُؤْمِنِيــــــــن .
- قُــدْوَة النِّــساء مِــنَ الصَّحَابِيَّات .
- المرأة كما يَجِبُ وكما أرادها الله أن تكون .

الفهـــرس

رقم الإيداع ١٧٥٧٢ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 – 14 –1449 - 6

إصدارات

فضيلة الشيخ / ياسين رشدي

١- سلسلة كتب الطريق إلى الله (خمسة عشر كتابًا) .

٢- التفسير الجامع لمعاني القرآن الكريم .

٣- شرح كامل واف للأحاديث النبوية التي أوردها الإمام البخاري في صحيحه .

٤- مجموعة من الإجابات الواضحة على أسئلة في مواضيع شتى تَهُم المسلم في دينه ودنياه .

هذا .. والجدير بالذكر أن جميع الإصدارات السابقة متوفرة على شرائط مسموعة ومرئية وأسطوانات (cd) ، وموجودة أيضًا على الموقع الإلكتروني لجمعية المواساة الإسلامية www.mouassa.org

لجنة نشر الثقافة

جمعية المواساة الإسلامية بالإسكندرية